



العدد (٢) شوال ١٤٤٥هـ - أبريل ٢٠٢٤م

تصدر عن جمعية الأدب والأدباء في المدينة المنورة

صاحب السمو الملكي
الأمير سلمان بن سلطان
بن عبدالعزيز أمير منطقة
المدينة المنورة في
مجمع الملك عبدالعزيز
للمكتبات الوقفية



جمعية الأدب والأدباء ومركز
سعود البابطين ينظمان ندوة في
الرياض ترصد جهود الراحل الكبير
عبدالعزیز البابطين

الإبل المطمئنة لنظرية العقد
الاجتماعي...
كيف كسرت السيارة ظهرها؟!
تركي الدخيل





يتقدم رئيس وأعضاء مجلس إدارة جمعية الأدب والأدباء
وكافة منسوبي الجمعية، بأصدق عبارات التهاني والتبريكات
لمقام ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير

محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

- حفظه الله -

بمناسبة الذكرى السابعة لبيعة ولي العهد
سائلين الله تعالى أن يحفظ هذه البلاد المباركة،
ويديم عليها الأمن والأمان.



@Literatureksa



0598810559



literatureksa@gmail.com



رئيس وأعضاء مجلس الإدارة ومنسوبو جمعية الأدب والأدباء يتقدمون
بخالص الشكر والتقدير،

لصاحب السمو الملكي

الأمير سلمان بن سلطان بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله -

أمير منطقة المدينة المنورة

وسمو نائب أمير منطقة المدينة المنورة

صاحب السمو الملكي

الأمير سعود بن خالد الفيصل - حفظه الله -

على ما وجدوه من حفاوة ودعم وتشجيع لأداء رسالة الجمعية الثقافية لأهالي

المدينة المنورة بشكل خاص والمملكة العربية السعودية بشكل عام



جمعية الأدب والأدباء ومركز
سعود البابطين ينظمان ندوة
في الرياض ترصد جهود الراحل
الكبير عبدالعزيز البابطين



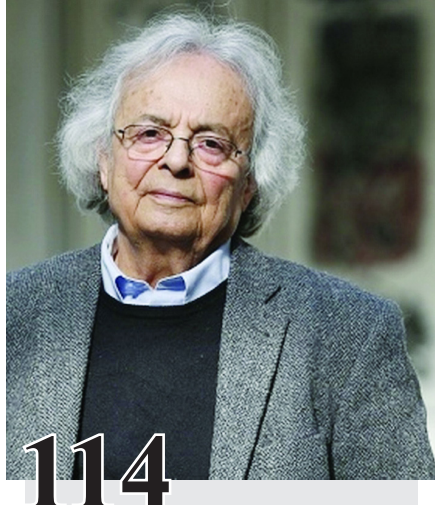
انفتاح المسرح السعودي.
عرض « سقوط عن نص دافئ »
أنموذجا



جمعية الأدب والأدباء تقيم
ورشة عمل بعنوان "كيف تكتب
روايتك الأولى"



إشكالات النقد الثقافي
بين أعين التلذذ والمراقبة



"ها أنت أيها الوقت": سيرة
شعرية ثقافية"



حضور واسع من المثقفين
والأدباء في حفل تكريم الأديب
الأستاذ الدكتور حمد بن ناصر
الدخيل

المشرف العام:
حمزة الشريف

مدير التحرير
د/إبراهيم القحطاني

رئيس التحرير
حاتم الرويثي

المنسق العام:
صلاح الشهاوي

المنسق الإعلامي:
ماجد العلوي
عبدالله عسيري
ملاك الأحمد

الترجمة:
سلطان الشريف

التصميم:
أحمد الخولي

المدير الفني:
مروان الرحيلي

الافتتاحية

ينطلق العدد الثاني من مجلة أحد الثقافية الصادرة عن جمعية الأدب والأدباء بمنطقة المدينة المنورة وبمباركة كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن سلطان بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة المدينة المنورة، وذلك لتكون واجهة ومنصة لمرتادي الأدب، وقاصدي المعرفة، وتعمل على الحديث عن النقلة النوعية في الثقافة المحلية وما وصلت إليه في شتى الفنون، برعاية كريمة من سمو وزير الثقافة الأمير بدر بن عبدالله بن فرحان آل سعود وتحمل على عاتقها إتاحة المجال للناشئة من أبناء الوطن العزيز لنشر إبداعاتهم الأدبية المختلفة.

والمجلة ترحب بكل ما من شأنه المساهمة في الرقي بالطرح الثقافي الذي يخدم جميع الأجناس الأدبية التي دائماً ما تطالعنا بتحديثاتها المواكبة للتفاعل مع الأدب العالمي وجديد النظريات النقدية الحديثة. وتسعد المجلة باستقبال جميع مقترحاتك - أيها القاريء العزيز - عبر إيميل المجلة literatureksa@gmail.com حيث ستظل شريك النجاح الذي ستواصل معه بإذن الله المجلة إبداعاتها وإشراقاتها التي ستضيء درب المحبة وجمال اللقاء .



6

جمعية الأدب والأدباء توقع مذكرة تعاون مع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



132

الإبل المطمئنة لنظرية العقد الاجتماعي... كيف خسرت السيارة ظهرها؟!

جمعية الأدب والأدباء توقع مذكرة تعاون مع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة



أحد الثقافية- فيصل الثبيتي

في المجال الثقافي والأدبي والعلمي. هذا وقد
مثّل أ.د. فهد الوهبي "مدير عام مركز بحوث
ودراسات المدينة المنورة" ومثّل الجمعية أ. حاتم
الرويثي "رئيس مجلس الإدارة" يأتي ذلك
ضمن عدة اتفاقيات وقعتها الجمعية بهدف
إثراء المحتوى الأدبي.

وقعت جمعية الأدب والأدباء مذكرة تعاون
مع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
لخدمة حضارة المدينة المنورة وتراثها
ولتبادل الخبرات وتحقيق الأهداف المشتركة



خالد الحربي مستشاراً لجمعية الأدب والأدباء

أحد الثقافية- مروان الرحيلي

تبارك أسرة جمعية الأدب والأدباء للأستاذ / خالد الحربي
تعيينه مستشاراً للجمعية، متمنين له مزيداً من النجاح والتوفيق.
هذا ويعتبر الحربي من الكفاءات الثقافية المتميزة في المملكة العربية السعودية.

جمعية الأدب والأدباء تشارك في معرض القاهرة الدولي للكتاب هـ

أحد الثقافية-عبدالله عسيري



بتواجد أكثر من ١٢٠٠ دار نشر من ٧٠ دولة من مختلف دول
العالم، شاركت جمعية الأدب والأدباء توزيع أكثر من ألف مطوية
تعريفية عن الجمعية وأهدافها وأعمالها، وبلغ عدد المستفيدين
من خدمات الجمعية أكثر من ١٠٠٠ زائر و زائرة.
كما تم تسجيل وحصر الأدباء في قائمة سجلات الجمعية التي
بلغت أكثر من ٤٠٠٠ أديب وأديبة.
تأتي هذه الجهود بهدف التعريف بالجمعية في أوساط مثقفي
مصر، وزوار معرض الكتاب الدولي بالقاهرة.



إقبال كبير على جناح جمعية الأدب والأدباء في مهرجان الكتاب والقراء



أحد الثقافية-حمزة الشريف

المقدمة من الجمعية للمجتمع.

هذا ونظمت جمعية الأدب والأدباء ضمن فعاليات وبرامج مهرجان الكتاب والقراء بنسخته الثانية المقام في مركز الأمير سلطان الحضاري بخميس مشيط، مسابقة لأدب المقالة عن فئتين "الكبار"

شهد جناح جمعية الأدب والأدباء في مهرجان الكتاب والقراء بخميس مشيط إقبالا كبيرا من الزوار والمستفيدين؛ للتعرف على الخدمات والبرامج



المتنوعة التي تستعرضها في الركن المخصص لها في مهرجان "الكتاب والقراءة".

بالتنافس للفوز بنشر المقالة في مجلة "أحد" التابعة للجمعية، وفئة "أدباء المستقبل" بجوائز قيّمة لتنمية جيل أدبي واعد.

ويجسد المهرجان قيمة ثقافية تنطلق من المملكة إلى العالم، في حدث يثري المشهد الثقافي، ويتيح فرصة للجمهور للاطلاع على التجارب الأدبية المتنوعة، ويحتفي بالأدباء المحليين والعالميين بصفتهم الأكثر تأثيراً في سلسلة الإنتاج الثقافي والحضاري، حيث تحتضن الفعاليات جميع أطياف المجتمع، وتقدم برامج تجمع بين الأدب والتفاعل والترفيه.

يذكر أن جمعية الأدب والأدباء تشرف عليها وزارة الثقافة، وتهدف إلى تمكين المهتمين والمهتمات بالأدب والمشاركة المجتمعية في المجال الأدبي، وتسعى إلى تكوين منظومة مهنية وطنية رائدة في مجال الأدب، والإسهام في نمو الثقافة الأدبية في المملكة، وتشجيع المواهب الأدبية ورعايتها، من خلال مبادراتها



جمعية الأدب والأدباء تصدر رابع إصداراتها بعنوان (الإبل في التراث العربي)



صلاح عبد الستار الشهاوي

الإبل في التراث العربي

للتأليف: صلاح عبد الستار الشهاوي



أجمعت نصوص التراث العربي نظمها ونثرها على أن طبيعة العلاقة بين العربي وجملة أو ناقته قد تجاوزت كل حدود العلاقة بين إنسان وحيوان إلى ضرب من الانسجام المطلق والتناغم التام. إلى لون من التماهي يكاد الجمل أن يصبح معه امتداد لصاحبه أو صورة أخرى له. فإذا رأيتها معاً حسبت اللقاء بينهما أزلياً كأن الواحد منهما لم يخلق إلا للآخر. وكأنها يتكاملان. لذلك لم يكن بدعاً أن ترى الجمل في أشعار العربي ينطق بهجوم صاحبه يتألم لأله ويتأوه لوجعه. كأنه إذ يجمله ومتاعه إلى وجهاته المختلفة في نبعته البعيدة إنما يجمل وسأوسه وآماله. يشد من ازدهر ويدفعه إلى الثبات ويشاركه مواجهة الصعاب يعانها بدلاً عنه كما يعاني أغراضه وأشياءه وحالات وجوده المضطربة المختلفة.

والإبل كانت ركوبة الصحراء، وتلك منة من الله عز وجل على سكان الصحاري، ذلك أن الرحلة في طلب الماء والكلأ كانت تغل عباد حياتهم، فكان فضل الله في تكوين ذلك الحيوان المناسب. يقوي على الحمل والسير، ويصبر على العطش والحر، وله في اخفاقه ما يفهر به سخاخ الرمل. ومن هنا لم يكن غريباً أن يسمي العرب الناقة سفينة الصحراء، أو سفينة البر، ويعملوها في مقام سفينة البحر.

واليوم تغيرت أسباب العيش وتبدلت أنماط المعمران واستبدلت سفينة الصحراء بالسيارة الفارعة وغيرها من وسائل النقل التي لا تكاد تشعر معها بالصحراء. لكنك لا تستطيع عند رؤيتك لصورة الجمل إلا أنك تتوقف عندها. ولا تدري كيف تعود بك إلى ماضٍ حقيق. تشعر أنها أليفة لديك، ليست غريبة عنك كأنك عشت اللحظة التي تجسدها وترى نفسك فيها. ويهزك الشياق غريب إليها شبيه بحنين الناقة إلى فصيلها الذي أبعد عنها.

وهذا الكتاب محاولة بسيطة لتوضيح علاقة العربي بجملة وتقديره إياه وبيان العلاقة القوية التكاملية بينهما، نأمل أن نكون قد وفقنا في ذلك.



أحد الثقافية- ماجد العلوي

هذا ويضم الكتاب بين دفتيه تسعة فصول:

- الفصل الأول:

أصل الإبل العربية وشكلها ومميزاتها

الفصل الثاني:

الإبل في القرآن والسنة والفقه الإسلامي

- الفصل الثالث:

إبل الشعراء صفات جامعة لجمال الخلق والخلق

ناقدة الشاعر صاحبة نادرة الوجود، مطية العبور إلى الآمال والأحلام

- الفصل الرابع:

بمناسبة موافقة مجلس الوزراء على تسمية عام ٢٠٢٤ بـ "عام الإبل"؛ للاحتفاء بالقيمة الثقافية الفريدة التي تمثلها الإبل في حياة أبناء الجزيرة العربية، وتأسيس مكانتها الراسخة، وتعزيز حضورها محلياً ودولياً، باعتبارها موروثاً ثقافياً أصيلاً، ومكوناً أساسياً في البناء الحضاري.

يسرنا أن نرف إليكم رابع إصدارات جمعية الأدب والأدباء بعنوان (الإبل في التراث العربي) للمؤلف صلاح الشهاوي.

اللغة العربية لغة الإبل وأحوالها

الإبل وأحوالها في اللغة العربية

- الفصل الخامس:

علاقة الإبل بالغناء العربي

الحدا أول الغناء العربي

- الفصل السادس:

الإبل في مؤلفات التراث

الفصل السابع:

التفاؤل والتشاؤم

- الفصل الثامن:

الإبل في أدب الأمثال العربية

- الفصل التاسع:

الإبل في حكايا التراث

يأتي هذا الإصدار لتحقيق أهداف الجمعية

بدعم الحراك الثقافي تحت قيادة وزير الثقافة

سمو الأمير بدر بن عبد الله بن فرحان آل سعود-

الإبل في المعتقدات الأسطورية العربية بين حفظه الله-

جمعية الأدب والآداب ترعى مسابقة ديوان ينبع الشعري



مسابقة ديوان ينبع الشعري

شكرة المسابقة ..
مسابقة لكافة نبي شعري تنوع عن مدينة ينبع (البحر - الخيل - الصناعة)

ضوابط المسابقة ..

- 1- أن يكتب الندي بالخط العربي فائزاً بالمواضع.
- 2- أن لا يقل الندي عن عشرة أبيات بحد أدنى.
- 3- أن يكون الندي جديداً لم يسبق نشره.
- 4- بحق للجمعية المسؤولية عن المسابقة فطاعة ونشر الفائزين الواردة لها والتعريف بها بأي صورة دون الرجوع لمتناتها في حال إدراجها. وبعد المشاركة بالمسابقة بكتابة مؤمنة على ذلك.
- 5- مشاركة لجنة التحكيم المسابقة من ناحية من أمانة وإشادة المسابقة.
- 6- المشاركة مدفوعة بمكافأة الشكر والشكرات من داخل الوطن ومن خارجه.
- 7- آخر موعد لتناول المشاركات 2023/12/30م

جوائز المسابقة ..

1	أفضل ندي	6000 ريال
2	أفضل ندي	5000 ريال
3	أفضل ندي	4000 ريال
4	أفضل ندي	2500 ريال
5	أفضل ندي	2500 ريال

سيتم اختيار النديين الفائزين وأبناء أصيلة شريفة لهم وجودة على مختلف صناع إنتاج الحضارة.
ترسل المشاركات على البريد الإلكتروني: literatureksa@gmail.com ، البريد الإلكتروني: literatureksa@gmail.com ، البريد الإلكتروني: literatureksa@gmail.com

literatureksa



أحد الثقافية- سلطان الشريف

جمعية الأدب والآداب بمنطقة المدينة المنورة

سعادة الدكتور إبراهيم القحطاني؛ مساء

أمس الثلاثاء ١٠-٨-١٤٤٥هـ على مسرح

معهد ينبع التقني بمدينة ينبع الصناعية حفل

تكريم الشعراء الفائزين في مسابقة ديوان ينبع

الشعري

يأتي ذلك ضمن اهتمامات الجمعية في دعم

الحراك الثقافي في منطقة المدينة المنورة.

احتفاءً بالقيمة المحورية للشعر في الثقافة

العربية على امتداد تاريخ العرب؛ صدرت

موافقة رئيس مجلس إدارة جمعية الأدب

والأدباء أ.حاتم الرويثي على رعاية الحفل

الختامي لمسابقة ديوان ينبع الشعري.

هذا وقد مثل نائب رئيس مجلس إدارة



علي القحطاني مستشاراً إعلامياً لجمعية الأدب والأدباء

أحد الثقافية - صفاء الأحمد

تبارك أسرة جمعية الأدب والأدباء للأستاذ / علي بن سعد القحطاني تعيينه مستشاراً للجمعية، متمنين له مزيداً من النجاح والتوفيق. هذا ويعتبر القحطاني من الكفاءات الثقافية المتميزة في المملكة العربية السعودية ويملك خبرة إعلامية تتجاوز ٢٥ سنة في صحيفة الجزيرة الثقافية السعودية.

جمعية الأدب والأدباء تقيم ورشة عمل بعنوان "كيف تكتب روايتك الأولى"



أحد الثقافية - حمزة الشريف



أ.سليمان الرادادي. تأتي هذه الجهود تماشياً مع رؤية جمعية الأدب والأدباء المتواصلة والرامية إلى دعم ورعاية وتحفيز المواهب المحلية الثقافية الشابة لخدمة الوطن.

أقامت جمعية الأدب والأدباء ورشة عمل بعنوان "كيف تكتب روايتك الأولى" بتاريخ ١٨ أكتوبر ٢٠٢٣م قدمها رئيس مجلس الإدارة أ.حاتم بن فهد الرويثي لطلاب المرحلة الثانوية والبالغ عددهم ٢٥ طالب، بحضور مشرف وزارة التعليم ومدير إدارة النشاط الطلابي أ.عبدالله الشايع ومدير إدارة النشاط الطلابي بمنطقة المدينة المنورة أ.علي المطيري ومدير النشاط الثقافي بمنطقة المدينة المنورة



أرقام وإحصائيات

جمعية الأدب والأدباء بمنطقة المدينة المنورة

عدد المشاريع 6	عدد المستفيدين 31794	عدد الزوار 1136702
عدد إصدارات الكتب 4	عدد الندوات الثقافية 63	عدد البرامج 20
عدد المشاركات الدولية 2	عدد الشراكات المجتمعية 11	عدد إصدارات المجلات الثقافية 2
عدد المتطوعين 5	عدد البحوث المنشورة 1	عدد المشاركات المحلية 3
عدد المستفيدين من المنصة الوطنية للتبرعات 216	عدد الفرص التطوعية 12	عدد ساعات العمل التطوعية 124
عدد الصوالين الثقافية 7	عدد قاعدة بيانات حصر الأدباء 4900	عدد الأعضاء 17
عدد الكتب في مكتبة الجمعية 500	عدد المسابقات 6	عدد المتبرعين للجمعية 12000+

وما زال للمجد .. بقيّة



الباحث الأديب محمد ربيع الغامدي لـ مجلة لـ «أحد الثقافية»: التراث يحضر في القصة كأنه جني استدعاه مشعوذ في بيت مهجور



مسعدة اليامي: السعودية

ضيف العدد الأديب القاص الباحث المستشار التربوي الأستاذ محمد ربيع الغامدي من منطقة الباحة، كتب العديد من الأعمال في المورث الشعبي وله العديد من المجموعات القصصية على سبيل المثال لا الحصر: — مفردات الموروث الشعبي في الباحة ١٤٠٩ هـ ، الزراعة التقليدية في منطقة الباحة ١٤١١ هـ ، ذاكرة الفواجع المنسية (حكايات شعبية) ١٤٣٣ هـ ، -المفاضة (قصص قصيرة) ١٤٠٦ هـ -البرطأونات (قصص قصيرة) ١٤٣٥ هـ، الثوب الحنبلي (قصص قصيرة) ١٤٣٦ هـ، التنور (قصص قصيرة) ١٤٣٧ هـ، لها ترجمات إنجليزية وفرنسية وفارسية، خان الخياطين (قصص قصيرة) ١٤٣٨ هـ — وتتسم كتاباته القصصية بالإنسانية فمن يقرأ للغامدي يشعر بمدى واقعة ما يكتب من مشاهد الحياة اليومية الطبيعية البسيطة، وكيف كور ذلك في عمل قصصي أدبي ينضح بالفكر والأسلوب الملامس لمشاكل الإجتماعية .

الأمسيات القصصية الحضورية قليلة، منها أمسية في نادي جدة الأدبي، وأخرى في نادي أبها، وثالثة في نادي الباحة. لكن لي حضور منبري في مجالات أخرى منها المسرح، ومنها الإعلام والأدب، ومنها الفصحى والعامية، ومنها السيرة الشعبية، ومنها الحكايات الشعبية.

مبادرة كريمة من نادي الباحة

* كُرمّت في ملتقى القصة الأولى بمدينة الباحة — ماذا تقول عن ذلك؟

كان ذلك في مبادرة كريمة من نادي الباحة الأدبي، جمعتني بزملاء أفاضل نالهم ما نالني من التكريم وهم: الدكتورة هناء حجازي، والأستاذ جمعان الكرت، والأستاذ محمد زيّاد. كان التكريم تتويجا لمسيرة يبدو أنها حافلة لكل واحد منّا.

مكتبة المدرسة بقرية الحبشة

* كيف بدأت علاقتك بالقصة (قراءة و كتابة)؟

بدأت في مكتبة مدرستي الابتدائية بقرية الحبشي في الباحة، مدرستي التي كانت نائية بعيدة عن السيارة والكهرباء كان فيها مكتبة صغيرة وكان أهم ما فيها قصص كامل كيلاني وكان أقرب ما فيها إلى نفسي تلك المزدانة بالصور، المكتوبة بالبنط العريض ومنها: أحلام بسبسه، دندش العجيب، الأرنب الذكي.. الخ

وأول قصة قرأتها- خارج حدود المدرسة- هي قصة «المكّاس» وقد لا تصدقني إذا قلت لك إنها قصة منشورة في كتاب من كتب الوعظ، لكنها لم تكن مباشرة أو وعظيه. سمعت أبي يقرأها فلفتت انتباهي للكتاب الذي يضمها، وهو كتاب الكبائر المنسوب للذهبي. كنت في أواخر الصف الثالث فأصبحت أتردد على «حلّانة» أبي التي يحفظ فيها كتبه، وأطالع هذا الكتاب العجيب. كان فريدا في بابه يقوم على إيراد عدد من المحرّمات التي ينبغي

شُبّت عن الطوق

* كيف ترى حال القصة اليوم ؟

لقد حققت القصة القصيرة تقدما هائلا (مقارنة بعمرها المحلي والعربي الذي يتراوح بين قرن من الزمان وقرن ونصف) وشبّت عن الطوق فأخذت موقعها اليوم على المسار العالمي.

نجاح مواز لنجاح النصوص

* ماذا تقول عن ترجمة القصة للأدباء والأديبات من السعودية، للغات الأخرى؟
مجهود شخصي يقوم به الكاتب لخدمة نصوصه القصصية، هذا إن كانت الترجمة على نفقة الكاتب، أما إن كانت تتم عبر مؤسسات ثقافية أو عبر مترجمين (على الحياء) فإنها نجاح مواز لنجاح تلك النصوص في لغتها الأصلية.

تقنية مذهلة و تهئي الراحة

* كيف رأيت الأمسيات القصصية الافتراضية التي صاحبت أزمة كورونا و ذلك في ضوء تجربتك؟

تقنيات العمل عن بعد تقنيات مذهلة، تدني البعيد، وتهيء الراحة النفسية (أوراقك وقهوتك بجوارك)، وتوفر المال والجهد على طرفي العمل، وقد سعدت بها كثيرا على مدى عشرين لقاء افتراضيا، كان أبعدا مكانا تلك الأمسية التي خصصها الدكتور أحمد المريني من المغرب للتداول حول بعض منجزات ذلك العام الأدبية والفنية، وقد أضاف مجموعتي: ألف ثمينة وثيمة إلى تلك المنجزات ودار حديثي ليلتها حول تلك المجموعة.

الأمسيات القصصية

* حدثنا عن أمسياتك القصصية على مدى مشوارك و خاصة التي نفذت حضورياً؟

تجنبها سمّاها الكبائر، وأوصلها إلى أكثر من خمسين، يتحدث بالتفصيل عن كل كبيرة على حده، فيورد آية تتحدث عنها، ثم حديثاً شريفاً، ثم أبياتاً من الشعر، ثم موعظة قصيرة، ثم قصة مكتملة الجوانب مبنية على ما قام عليه السرد العربي القديم.

أما بداياتي في الكتابة فقد جاءت فجاءة متأثراً فيها بأبطال السير الشعبية (أبو زيد، الزير سالم، عنتر الخ) وعندما قرأت قصصاً قصيرة لكتاب كبار في بداية المرحلة الثانوية توقفت عن طموح الكتابة وعدت إلى متعة القراءة، إلى أن كتبت نصاً عنوانه الكلاب وشاركت به في مسابقة القصة عبر إذاعة جدة، وعندما فتحت المذياع صدفة (وقد مضى بعض البرنامج) فوجئت بها مذاقة وبصوت مقدم البرنامج نفسه المرحوم مطلق الذيابي، كان ذلك في ١٣٩٧ أو في ١٣٩٨ هـ.

بناء علاقة وجدانية مع الإذاعة السعودية

*** ما أهم الكتب التي شكلت لك رافداً ووعاءاً للقصة، وماذا تقول لنا عن علاقتك بخير جليس ؟**

عندما انتقلت إلى الطائف عام ١٣٨٣، زاملت في مدرستها العظيمة: اليمانية الأميرية (ابن خلدون حالياً) زاملت ابن أختي (الدبلوماسي لاحقاً) المهندس عبدالله بن أحمد آل حامد وكان قريباً من سني بل جميعاً يومها في الصف الرابع، ولما كان مولعاً بالقراءة فقد أرشدني إلى مكتبة المدرسة، وأوصاني باستعارة: «حيّ بن يقظان» قصة ابن طفيل الشهيرة ولكن بتبسيط صديقنا العظيم كامل كيلاني.

بالنسبة لي كانت حي بن يقظان عالماً غريباً، كانت زلزال، إنها قصة تشدك من عنوانها العجيب، إلى تفاصيلها الأعجب، وفوق ذلك ما فعلته بي تلك القصة من تأملات تأكل وتشرب وتنام وتصحو معي، وقد ورطت أبي معي عندما رويتها لها

مقتضبة فطلب الكتاب نفسه فاستعترته له ولم يهدأ له بال حتى عثر في مكتبة المؤيد بالطائف على القصة الأصل لمؤلفها ابن طفيل.

التحمت لاحقاً بالقاص السعودي الرائد محمود عيسى المشهدي الذي كان ينشر قصصه القصيرة في مجلة قافلة الزيت ومنه عرفت أن القصة يمكن لها أن تدخل بيوت الناس وأن تستكشف قضاياهم.

وبنيت علاقة وجدانية مع الإذاعة السعودية، التي كانت وما تزال منصة وطنية عظيمة تحتضن مستمعها على اختلاف منابهم وحاجاتهم وميولهم. سمعت فيها نماذج كثيرة من السرد «المؤدرم» مثل رواية المرحوم حامد دمنهوري ومزّت الأيام، التي جرى تحويلها إلى مسلسل يومي أظنه كان في رمضان من عام ١٣٨٥ هـ، وامتعتنا الإذاعة السعودية بسهرة تمثيلية عن رائعة هيمنجواي العجوز والبحر، كما كانت توالي إذاعة السير العربية مثل الزير سالم، وأبو زيد الهلالي عبر برنامج لطيف ظريف اسمه: "قال الراوي". تطورت بي الرحلة إلى مدارج فيها أحمد السباعي وعبدالله سعيد الزهراني وأعلام القص في تلك الحقبة من مصر والشام، وكنت أجد بعض تلك القصص في مكتبة عبدالله بن عباس المحقة بمسجده في الطائف أو في مكتبة مدارس دار التوحيد بالطائف أو في المكتبات التجارية.

أما خير جليس فقد ورثت حبه من والدي الذي كان يقتني القليل من الكتب، وعندما اشتد عظمي بدأت رحلة الاقتناء ولعل من أقدم الكتب التي اقتنيتها كتاب "سيرة بطل" لمحمد حسين زيدان، و"عبد العزيز والكيان الكبير" للمؤلف نفسه، وكتاب "رحلة إلى الربع الخالي" لرفيق النتشة، وقد ساعدني رخص أسعار الكتب حيناً، أو وجود مكتبة السيّد الذي كان يبيع الكتب المستعملة، وأكثر من ذلك كان هناك من يبيع الكتب المستعملة يتنقل



ومكسرات الصالحين، والنخلة السكرية التي في بيتنا، وعازف الصرنائي، وحفلة عمى الألوان، والمغارة البرتقالية المقدسة.

تعدت كتابة التراث في ألف ثيمة و ثيمة

* كيف تسعى إلى توظيف التراث في كتابة القصة وما أهم الكتب التراثية التي تمتح منها فكرة القصة؟

لم أتعمد ذلك إلا في مجموعة: ألف ثيمة و ثيمة، حيث اشتبكت مع عناصر من الموروث السردى العالمى (دون كيشوت و سندريللا) وعناصر من الموروث السردى العربى (ألف ليلة وليلة و كليلة ودمنة) وعناصر من الموروث السردى المحلى (حكايات من تهامة والسراة) أما في بقية قصصي التي لاحظت فيها شيئاً من ذلك فقد حضر التراث كما يحضر جنى استدعاه مشعوذ في بيت مهجور بعد أن أغراه بالبخور وبالقسم الدهموشي.

مولود امتلائت رثتيه بالهواء

* (التنور، ثديها الذي، خان الخياطين،

بها على عربة داخل الأحياء، فكان الكتاب حاضرا ولعله كان يبحث عنا مثلما يبحث عنه.

سمة اتسم بها أبناء جيلي

* قرأت لك بضع من مجموعاتك القصصية لا أخفيك شعرت أنك «تشيخوف» السعودية في القصة الإنسانية البسيطة، و الشاهد على ذلك مجوعتك (منازلات الإمبراطور الأعمى) و غيرها - ماذا تقول لنا على ذلك العمل الذي وحدت الفكرة فيه عن المشاكل التي حدثت بسبب انتشار فيروس كورونا؟

شكرا على هذا الوصف، ولعله ينطبق على كثيرين من أبناء جيلي فالقصة الإنسانية قد سيطرت على كثيرين منا.

أما منازل الإمبراطور الأعمى، فإنها مجموعة قد خرجت من تحت عباءة جائحة كورونا، ولن تختلفي معي في وصف تلك الجائحة بالحدث المريع الذي ينضم إلى قوائم الأحداث المريعة جنبا إلى جنب مع أشد الزلازل والبراكين فتكا.

لقد ضربت تلك الجائحة يومنا التقليدي في الصميم، أغلقت علينا أبواب بيوتنا، أغلقت وجوهنا، وجاء اليوم الذي سمعنا فيه المؤذن يقول: صلوا في رحالكم بدلا من حي على الصلاة، والإمام يقول: تباعدوا. بدلا من استوتوا اعتدلوا سدوا الخلل! هناك من فقد حياته، وهناك من فقد تجارته. حتى جلساتنا العائلية طغت عليها أخبار الجائحة وإحصاءاتها في الداخل والخارج، والصين والخفافيش ومناعة القطيع بكل ما تحمله هذه الثلاث الأخيرة من خوف ومن قلق.

من داخل تلك الأيام المعتلة جاءت تلك المجموعة، وكنت أثناء كتابتها عالقا في حي المنار بجدة، فاختلفت كل معالم الحي بأحداث المجموعة، وإلى اليوم إذا عبرت ذلك الحي أكاد أرى بئر الخفافيش،



جزءاً مني، ثم أنسج القصة دفعة واحدة، فإن لم أفعل ذلك قد أفقد السيطرة على الفكرة. لكنني أنسجها دفعة واحدة ثم أقلبها على نار هادئة حتى تأخذ شكلاً يرضيني فأفرض عنها لتأخذ طريقها إلى القارئ.

احتاج مزيد من التجربة

* بعد هذا المشوار الحافل في كتابة القصة بماذا تنصح من يتتبع خطوات ذلك الطريق؟
أحتاج مزيداً من التجربة ومزيداً من العمر كي أنصح غيري، أما الآن فلا.

فكرة مناسبة وجميلة

* ماذا تقول لنا عن يوم القصة العالمي - وماذا عن تجاربك مع ذلك اليوم؟

فكرة الأيام فكرة جميلة ومناسبة لأنها تعود وتكرر في كل عام، فألى معانيها الوجدانية القيمة تحمل تلك الأيام مكاسب مهنية أيضاً، تدعم تقدم فن القصة، وتصل بين تجاربنا المحلية، كما

البرطاونات) - كيف تتم عملية اختيار العنوان للمجموعة القصصية - والقصة؟
لا أشغل نفسي بذلك، بل أنشغل بجمع القصص أولاً، فإذا اجتمعن في يدي جاء العنوان كصرخة مولود امتلأت رثاه بالهواء فجأة.

النجاح لا يعرف التثأب

* الريادة نجاح، التكريم نجاح - فكيف يحافظ الأديب المثقف على تلك المسؤوليات؟
بمتابعة كل جديد في ميدانه، من يحظى بتكريم أو ريادة عليه ألا يتشاءب مهما غالبه الناس.

أعز على الفكرة

* ما هي طقوسك في كتابة القصة - وقراءة القصص؟

إذا حضرت الفكرة عضضت عليها بالنواجذ والأنياب، أدونها فوراً، ثم أضعها على سطح المكتب، وتبقى تحت نظري أسبوعاً أو أسبوعين، وربما شهراً أو شهرين، وربما تزيد إلى أن تصبح

العدد (٢) أبريل ٢٠٢٤ م



الوعاء الورقي، ويعني أن الورق ما يزال على رونقه جاذبا للقارئ وللمؤلف وللناشر على حد سواء.

غبار الطباشير لا يزال يملئ صدي

* الطفولة قصة - المراهقة قصة - الشباب قصة - الحب في حياة الإنسان أكبر قصة و قدرك أم أحمد - فماذا تقولنا عن جمال تلك القصص؟

الطفولة رحلة الكشف الأولى، والدهشة الكامنة التي لا يطلع عليها أحد، مرحلة فهم العلاقات الأرضية والسماوية، هي مرحلة الصدق الأولى والأخيرة في حياتنا. أما قصة المراهقة فهي القصة الأعجب، يتحاور فيها الشبق مع الحياء وأنا بينهما حكم مرتشي، لكنها مرحلة قامت على أطرافها علاقة حميمة بمجلات الوطن العربي من الكويت إلى الدار البيضاء ومن القامشلي حتى عدن. أما الشباب فهي مرحلة قدمتها قربانا لمهنتي في التعليم، بقي منها أكثر من عشرين كراسا من كراريس تحضير الدروس، وغبار الطباشير الذي ما يزال في

كان ذلك الوعاء حجرا فنقل لنا الحجر ٢٨٢ قانونا من تشريعات حمورابي، وكان ذلك الوعاء فخارا فنقل لنا التوراة، وكان ذلك الوعاء صدورا وأفئدة فحفظ القرآن الكريم، ثم كان جلدا فنقل إلينا القرآن مدونا. كل هذا قبل أن يكون الورق. ليت فكرة السفر إلى الزمن الماضي تتحقق فنتوقف في زمن التحول من الحجر إلى الفخار مثلا، سنشاهد الكثير من عجائب رفض الجديد والتشبث بالقديم مثلما نشاهد اليوم عجائب رفض الكتب الرقمية والتخندق حول الكتب الورقية مع أنها أوعية في الحالتين، وسوف يحقق الوعاء الرقمي ما حققه الوعاء الورقي وزيادة، ولم يبعد أحدهما الآخر (حتى الآن) ولن يبعده إلا أن يتحول البشر بشكل جارف نحو الوعاء الرقمي أو نحو الوعاء الورقي، أو أن تتعطل بيئة أحدهما بصورة كلية.

أننا لم ننفلص عن الكتاب الورقي

* كيف ترى حال الكتاب مع مشروع التوسع في معارض الكتب من قبل وزارة الثقافة؟ هذا يعني أننا لم ننفلص تماما عن رفيق دربنا



الحكايات الشعبية سادة ثم بادت

* وهل كانت لك مشاركة بألمسية في مقهى -

كيف رأيت الحضور و التفاعل؟

كانت لي مشاركتين، الأولى في بدايات المقهى وفي أيامه الأولى، عن: الزمن الأجل من الجميل. رصدت فيها بعض التحولات الاجتماعية التي كانت في الباحة وعموم مناطق الحجاز، والثانية منذ عدة ليال وكان موضوعها: السير الشعبية، حكايات سادت ثم بادت.

صدري ومئات الطلاب الذين أحببتهم مثل آبائني، إنهم يقابلوني بوفاء لا نظير له يضيف لشجرة عمري مزيداً من أغصان خضراء. وأما أم أحمد فإنها أجمل تلك القصص، ما أخلقت ظني الحسن عند العسر، وما أخلقت ظنها الحسن عند اليسر، صابرة على عجري وبجري، ولها نصيب من قدرتي وقدرتي.

أسماء من سواحل الخليج إلى البحر الأحمر

* كيف ترى مبادرة مقهى الشريك الأدبي اليوم

بعدما وصل إلى (٨٠) مقهى في مدن المملكة؟

مبادرة صائبة، وقد اخترت وصفها بالصائبة تأكيداً على نجاحها، وإمكان اعتبارها البديل الأمثل للأندية الأدبية التي بان عليها الترهل. مع ذلك فهناك استدراك لابد منه، أنا ما رأيت من مقاه (عن كثر) سوى مقهى توليفي في الباحة، إدارة واعية مثقفة، وأفق واسع، وتنوع في المواضيع والأساليب والأسماء امتدت من سواحل الخليج حتى سواحل البحر الأحمر، ولعل بقية الثمانين على الوتيرة نفسها أو على مقربة منها.

الكاتبة:

مسعدة اليامي صدر لها ست مجموعات قصصية هي (صوت الشوارع عن نادي نجران الأدبي، مواء القطط نادي الجوف الأدبي، أريد رجل في حياتي دار السكرية، أوراق شرعية نادي الباحة الأدبي، البديلة مؤسسة الحازمي، تحت أقدام الحروب نادي مكة الأدبي) و ثلاث كتب عبارة عن الحوارات واللقاءات التي أجريت في الصحف والمجلات (اللقاءات الصحفية مؤسسة ربيع الغامدي، مرافئ على الإبداع اللقاءات الصحفية نادي الحدود الشمالية، تحت ضوء القمر حوارات صحفية مضيئة في سماء صاحبة الجلالة

انفتاح المسرح السعودي. عرض « سقوط عن نصّ دافئ » أنموذجا



حامد بن محمد - ناقد تونسي





يتواصل للسنة الثالثة على التوالي عرض العمل المسرحي السعودي « سقوط عن نص دافئ » حيث عرض ضمن فعاليات « مهرجان الكتاب والقراء » الذي تحتضنه المنطقة الشرقية، بتنظيم من هيئة الأدب والنشر والترجمة، وعرض خلال شهر مايو ضمن فعاليات « مهرجان المدينة المنورة للكتاب ». هذا العمل الذي اعتبرته - من خلال مشاهدة سابقة في إطار أيام قرطاج المسرحية ٢٠٢١ - فتحا للمسرح السعودي باعتبار المآلات الجمالية المضمونية التي طرحها. وما تواصل عروض المسرحية خلال هذه السنوات إلا دلالة على هذا النجاح والممارسة الناضجة. عرض علق بذكرياتي الفرجوية وساهم في بلورة اهتمامي بالمادة الثقافية والفنية السعودية. في هذا المقال أردت سبر أغوار هذا العرض الحامل البذور تفرّع وانفتح المنجز المسرحي السعودي.

عبدالهادي الشاطري، عبد الجليل الحرابة، خالد الهويدي. إضاءة: مكّي عبد الله، مكساج وصوت: حسين الخاتم، تصوير: علي الجلواح.

عرض يبحث في راهنية الكلمة بين الذاتي وتموضعها عبر السياقات، هذه الكلمة التي تعبر مآلاتها، فتستحدث طرقاً تنفتح فيها على الطوارئ والعوارض. في الكلمة اشتغال على الشكل والمضمون وما تتركه من أثر في سير الوقائع.

في النص بسط لحكاية «كلمة» التي تجد نفسها في نص لا تنتمي إليه، فتسقط عنه وتبحث عن المؤلف ليعيدها إلى نصّها الأصلي. من ثمة تخوض رحلة الصراع بعد رفض الكاتب مساعدتها، وتنفتح على أوجه من الصراع مع المحرّر والرقابة تنتهي بإعدامها.

القصة مألوفة وهي مدار اشتغال عام في عديد الأعمال التي تبحث في عالقة المؤلف بالكلمة والرقابة والمحرّر. إلا أنّ أغلب هذه الاشتغالات تجعل من المؤلف محور الأحداث. في هذا النص تصبح الكلمة مدار الفعل وجوهر العمل. فإرادة النص تكمن في تحويل الكلمة من صفتها المجردة إلى صفة المحسوس. هي شخصية في العرض، قادرة على التأثير وإثارة الفزع والتعاطف، يقول الكاتب المسرحي.

«هوارد باركر»: «يجب أن يكون المسرح تجربة مرهقة: أعظم إنجاز للكاتب هو إنتاج شخصية تثير القلق». هذا التوجّه مكّن من إلباس الكلمة حيثيات وانفعالات الكائن الجسدي بما يصبح جوهرًا معبرًا عن النوازع والرغبات؛ حركة ونطقًا وصمتًا. تثوير المعنى صلب هذا الاختيار منح العمل مآلات ناضجة تنوّعت بين الكوميديا والتراجيديا، وهو ما أعطى العرض أحجيات اشتغاله صلب هذه الثنائيات: السخرية والجدية. تحويل الكلمة إلى شخصية ركحية مكّن من

«خطوة ناجعة للمسرح السعودي في سياق جديد منفتح وفاعل. نضج في الممارسة واشتغال في مباحث الراهني وانفتاح خارج المحلي».

كلمات دُونتها في ذاكرة هاتفي بعد متابعة عرض «سقوط عن نصّ أصلي» يوم ٩ ديسمبر/ كانون الأول خلال الدورة ٢٢ لأيام قرطاج المسرحية ٢٠٢١.

عمل مسرحي لفرقة «Shado» السعودية. تأليف: أحمد البن حمضة، إخراج: محمد جميل عسيري. تمثيل: محمد جميل، فهد الغامدي، أحمد الحمدان،



حمل القصة والنص إلى الركح عبر سلاسة في التنقل بين المشاهد. حيث رسم سياقاً بصرياً وحركياً تنتقل عبره الأحداث، وتتواتر في انتظام جماليّ من ناحية الوضعيات ولعب الممثلين. كان السياق الدرامي على الركح متناسقاً، في إطار تنقل من عقدة إلى عقدة دون أن يلاحظ المتفرّج تكراراً أو ثقلاً في التيمات الموظفة.

بعد مشهد البداية تدخل «كلمة» هي الشخصية المحورية وجوهر الأحداث. كلمة تجد نفسها في نص لا يشبهها، هي صورة للتمرّد والبحث عن الحق، انفتاح على جدوى حضور الكلمة في مكانها الصحيح. هذه التمثّلات التي تفتحها الكلمة تسحب المتفرّج إليها، تجعله يغوص في رحلتها، وهو يبحث عن ذاته. تختار الكلمة السقوط عن النص الذي حشرت فيه، تهرب بحثاً عن المؤلف باعتباره الحل الذي تراه قادراً على إعادتها إلى نصّها الأصلي. في

تحميلها كلّ رسائل العرض. لغة النص كانت بالعربية الفصحى في توظيف تعبيرى بسيط وفاعل، عبر عبارات نافذة وجمل قصيرة في إطار حوارى نسقي ومتسارع، يتماشى وطبيعة الصراع في العمل. ينطلق العرض عبر مشهد صامت، يدير فيه المؤلف ظهره للجمهور، وهو منهمك بأوراقه والكتابة.

مشهد أوّل يفتح ذائقة المتفرّج على تخيل عفوي، يعتقد في أنّ المؤلف هو جوهر الأحداث، باعتبار ما ذكرناه سابقاً حول اشتغال الموضوع. الزاوية التي يفتحها معطى البداية تتغير في تبعات الأحداث. وكأنّ المخرج يقوم بمحاسبة الذائقة الفرجية الاستسهالية ويدعوها لفعل السؤال والاستثناء. مشهد المكاشفة

الأول مع المتفرّج كان بسيطاً ووظيفياً بعيداً عن التمائم والبهرجة البصرية المفرغة. نجح المخرج في

هذا التقابل بين المحرّر والكلمة يشي بمنظومة الغرف الخلفية التي تعمل في إطار واحد، ضدّ أي تيار مائز أو باحث عن كسر جدار السائد. الكلمة بحضورها المتمرّد

وبفردانية معاناتها لا تستكين لرأي المحرّر. تواصل البحث عن أرض منبتها الحقيقية، وتعلن أنّها حرّة لا تقبل مقترحات المحرّر بتمثّلاتها الشكلية، لينتهي بها الأمر عند الرقابة. تدفع في محاكمة من جانب واحد ثمن هروبها عبر إعدامها (اكتبوا إن كلمة هاربة سقطت في قاموس الكلمات المنسية) كما تقول آخر

جملة من النص، ليبقى سؤال ما بعد العرض هل الكلمة الحرّة تموت؟ هل الكلمة ذاتها أم ما تشير له من دروس في ثنايا السياقات والظروف؟ محمل إشكاليّ كبير اشتغل عليه العرض لا بغاية التلقين بقدر ما هو دعوة لتشغيل السؤال والتفكّر. العمل إخراجي اشتغل في نطاق لعب ركحي فارغ _ ديكور بسيط تمثّله أكداش الأوراق _ أو حسب

أثناء ذلك تعيّن الرقابة شخصين لملاحقتها، بعد جهد تلتقي المؤلف، لكنّها تجده في وضعية ارتباك وتوجّس. لباس فوضوي وجسد منهك وملامح خوف. حالة تفتح المأل على سياق حضور الكلمة ومدى قدرتها على التأثير في ذات المؤلف. مسارب متعدّدة تفتحها المقابلة وسرعان ما تغلق بمجرد تقديم الكلمة لطلبها؛ حيث كان ردّ المؤلف في اتّساق مع هذا التاريخ الطويل من اللاجدوى في البحث والكتابة والاشتغال، حيث أوجز رده في إطار الرفض: « أسف لا أستطيع المساعدة، خرج النص عن سلطتي هو ملك المحرّر الآن » من هناك يفتح الحدث على مقابلة أخرى في ارتباط بسياق بحث الكلمة عن خلاص.

تلتقي المحرّر بصفته التعبيرية الراضية لكلّ الرؤى المتمرّدة، ليكون الصراع أشدّ ضراوة لا من ناحية العنف، ولكن بقدر مضمّن في التنكيل، عبر مقترحات مهينة للكلمة، منها العودة إلى النص الهاربة منه أو تزيين حضورها فيه بصفة ساخرة.





بالمتمّمات. ذلك يعطي أبعاداً للتلقّي متنوّعة المآلات. هذا ما انتصر فيه العرض، والتقى بما طرحه بيتر بروك في تعريفه لمسرح المجال الفارغ: « المسرح هو فنّ يتميّز بنوع من التدمير الذاتي. إنّه فن مكتوب على الرمال، وفي كلّ مساء يجمع مجموعة من البشر يتميّزون بالتنوّع، وربّما بالاختلاف، وهو يقيم حواراً معهم عبر الممثلين الذين يقومون بأداء الأدوار».

يقول « بريشت »: « المسرح ليس مرآة المجتمع بقدر ما هو مطرقة تسعى لتشكيله» العرض ليس بريشتياً بمعنى دعوة العقل، ومن ثم تحفيزه للتغيير في إطار تعليمي ملحمي، لكن يستدعي فعل المطرقة لإزالة حاجز النمطية، من أجل فتح المجال

مفهوم « بيتر بروك » « المساحة الفارغة » التي تفسح المجال للعب الممثل وحركته وتعبيره الجسدي في الصمت والنطق ولكن بخطوات مدروسة. هذا ما بدا جلياً في حركة الممثلين وفي مستوى النص المنطوق على الركح، حيث يوجد تناسق بين ذاتي في إطار لعب يحمل سمات الإبداع في أبرز تجلياته. أحسست في إطار المتابعة أنّ الممثلين حاملون لمشروع العمل عمقا وشكلا، أي أنّهم ليسوا مجرد مؤدين فقط. في هذا دلالة على مدى تكامل الفكرة والإخراج والأداء. وهذا ما انعكس على رأي الجمهور الذي تماهى وتفاعل ما بين مشاهد العرض. الاشتغال في إطار الفضاء الفارغ يكشف مدى النضج التمثيلي والإخراجي لأنّه يدفع بالجوهري لا

حضورها كوتر حسي متواصل داخل الحركة والصراع، في توظيف نفسي أخرجها من صفة المرافقة إلى الفعل المحسوس. إذ أنّ ربط الموسيقى بنص أو موضوع يجعلها في مرتبة أعلى من هسهسة الآلات كما يذهب إلى ذلك «هيغل». كما أنّ تموضع الموسيقى في العرض كان ناجعا، بحيث لا توجد إسقاطات تزيينية وهذا يتماشى مع قول «مايرهولد»: «وعندما يتوجب وجود الموسيقى في المسرحية فعلينا أن نجد لها المكان الملائم» كما كان الالتقاء بين الموسيقى والإضاءة جميلا عبر التماهي الثنائي؛ فهي عالية وساطعة في مشاهد الملاحقة والهروب وحالة خلال التذكر واستحضار المواقف الجميلة، فقوية عند الصراع بين الكلمة والمحّرر. حضور الفعل الموسيقي أجج تيمات التضاد والانفعالية، وأقام لغة صوتية نافذة في رسم حالات الشخصيات.

في عرض «السقوط عن نص دافئ» خلال ٤٠ دقيقة حضرت الفرجة بكل تفاصيلها، حركات ميكانيكية تشبه السينما، استعمال الإضاءة والموسيقى والتقطيع بين الحركات وكأنك تشاهد عملية مونتاج، حركات صامتة من دون كلام لإعطاء الجسد فرصة التعبير في عدد من المشاهد، تماهي بين الديكور والممثل والموسيقى والنص المنطوق لتتكامل عناصر الفرجة والمشهدية المقدمة. مسرحية تسحب إليها لتلاسن الراكد والمتجذر؛ لكنّها لا تعطي درسا، فقط تستفز إيجابيا روح السؤال والاشكاليات.

عمل - بمجرّد انتهاء مشاهده - يجعلك تدرك معنى الروح الجامحة في تشكيل البناء: نصا، حركة، أداء، إخراجا...

يضعنا العرض أمام قناعة «هنا مسرح، هنا صدق ومشروع». عمل على محمل البساطة، في إطار لا يدركه كثر «السهل الممتنع الصعب» غير مثقل بالمادة المعرفية والإسقاط التنظيري.



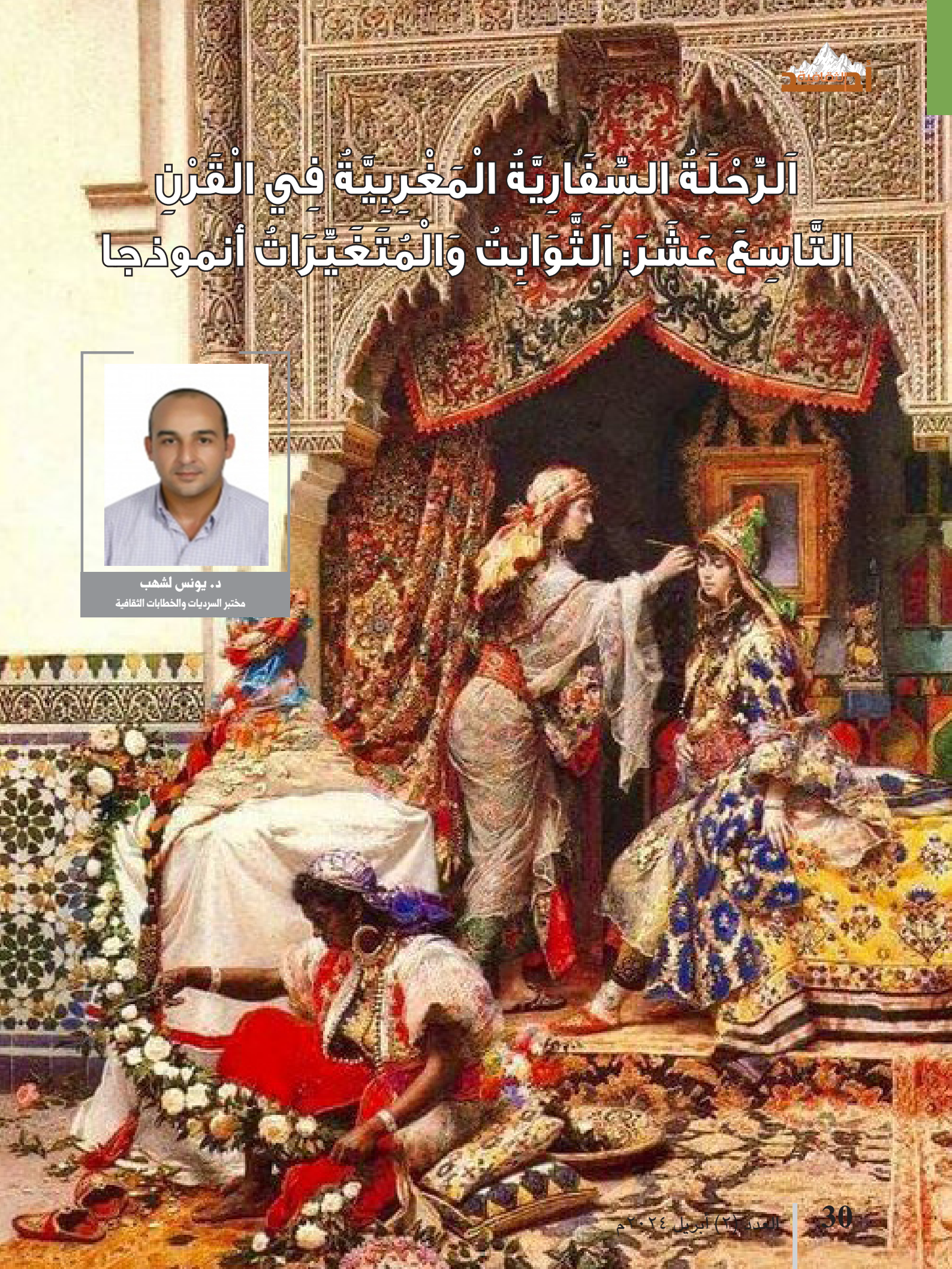
الحيوي لاشتغال السؤال والتفكير.

تشكّلت في عرض «سقوط عن نص دافئ» رؤية سينوغرافية وظيفية، أعطت المشهدية سمات تعبيرية فاعلة تماهت خلالها حركات الممثل مع الإضاءة والموسيقى وميكساج الصوت، لعبت الإضاءة في اشتغالها على العتمة والإيماء والكشف دورا توليديا للحدث في ارتباط بمآلات الشخصيات والحوار. هذا إلى جانب توظيف اللون الذي مال للأحمر في رمزيات العنف والخوف، إلى جانب الأزرق الذي لعب دورا في كشف إيقاعية داخلية لدى الممثلين، هذا وكان للأسود القاسي دور تأليفي في تشغيل دواخل الصراع من الناحية النفسية. أكوام أوراق على الركح، هيكل طويل صنع من الورق. الموسيقى حملت تيمات

الرَّحْلَةُ السَّفَارِيَّةُ الْمَغْرِبِيَّةُ فِي الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ: الثَّوَابِتُ وَالْمُتَغَيِّرَاتُ أَنْموذجاً



د. يونس لشهب
مختبر السرديات والخطابات الثقافية



فِي الْبَدْءِ كَانَتِ الرَّحْلَةُ

لقد وجدت الرحلة، مطلق الرحلة، منذ كان الإنسان، ليمشي في مناكب الوجود ويسير وينفر في فلك الزمان والمكان، ما شاء الله تعالى له أن يمشي ويسير وينفر، متزوداً للرحلة الكبرى، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، [سورة البقرة، الآية ١٩٧]. حتى إذا تراكمت النصوص الرحلية، كشفت عن نوع أدبي تام الاستواء، غص الثمار والأفياء، ضارب بسهامه في الجنس النثري، لا يكاد يخلو منه أدب من الآداب، وإليه تشرّب عزائم الأدباء والكتّاب. ولعلّ اتصال النوع الرحلي بجوهر الإنسان، وصدوره عنه، هو ما جعل من نصوصه نصوصاً حوارية، بعبارة «باختين»، أو نصوصاً جمعاً، باصطلاح «رولان بارت»،^(١) جمعت فأوعت ضروباً وألواناً من المعارف والتجارب والعلوم، على نحو كادت معه أن تكون، أو كانت، ديوان الإنسان، وسجل الأمم والشعوب، ومستودع مآثرها وعلومها، غير مدافعة.

وإذا كان ذلك كذلك، فالمعول أن تكون قراءة تلكم النصوص على قدرها، فتكون، إن صحت العبارة، قراءة جمّعة، وقراءة حوارية، تستدعي مداخل متعددة، ومقاربات مختلفة التخصصات.

وتحاول هذه الورقات، وبجهد المقل، أن تلامس نمطاً من أبرز أنماط النوع الرحلي، وهو الرحلة السفارية. ويقصد بها الرحلة التي تكون الغاية من سفر صاحبها القيامَ بسفارة لدى دولة أجنبية. وقد يضطلع بكتابتها السّفير نفسه، إن كان من رجال العلم والأدب، أو أحد الكتّاب الذين رافقوه. وقد كان للمغاربة قصب السبق في هذا النمط، فلم يجارهم أحد من العرب في مضمار الرحلات السفارية، وكلها كُتبت ابتداءً من أيام السعديين.^(٢)

وسينصرف الوكد إلى تبين ثوابت الرحلة السفارية المغربية ومتغيّراتها، في مرحلة مخصوصة من تاريخ

المغرب، هي القرنُ التّاسعُ عشرُ، كانت حاسمة في تحديد ملامح ما يُصطلح عليه في التحقيب الثقافي بالمغرب الحديث، وهو الذي بدأ مطلع القرن العشرين.^(٣) وقد كان ذلك من خلال ثلاثة متون راسخة القدم في بابها، وتمثّل ثلاث جهات مختلفة: رحلة محمد الصفار (ت ١٨٨١) إلى فرنسا،^(٤) ورحلة محمد الفاسي (ت ١٨٦٨) إلى إنجلترا،^(٥) ورحلة أحمد الكردودي (ت ١٩٠٠) إلى إسبانيا.^(٦)

وانسجاماً مع المقدمة المنهجية السابقة، كان الاعتماد على مداخل أربعة، وهي:

- المدخل التاريخي: يتناول السياق التاريخي للرحلات الثلاثة. وقد اقتضاه سكوت الرحّالين الثلاثة عن أسباب الرحلة وبواعثها، على عادة الرحّالين السّفاريتين من قبلهم، في اعتبار ذلك من أسرار الدولة التي لا ينبغي كشفها.

- ومدخل العتبات: ويقف على الخطابات الموازية التي تواكب النص الرئيسي، نص الرحلة، بدءاً بالعنوان، ومروراً بصدور الرحلات، وانتهاءً بمقاطعتها.

- ومدخل الكتابة: ويهتم بتصوير الكتّاب/الرحّالين الثلاثة مفهوم الكتابة في النمط السّفاري وآلياتها.

- ومدخل المضمون: ويعرض مضامين الرحلات الثلاثة، منعماً النظر في الموضوعات المهيمنة، وفي انتظامها وفق منظورين أساسيين: الانبهار بالحدّاث الغربية، ورفع العقيرة بتحديثها.

- ومدخل الغيرية: ويرصد تمثّل الرّحالة المغربيّ للآخر وللفضاء، وإجابة النصوص الثلاثة عن سؤال النهضة: لماذا تقدّم الآخرون الكفار وتأخر المسلمون؟

وقد توجت بخاتمة تستجمع أهم الخلاصات التي انتهت إليها مقاربة ثوابت خطاب الرحلة السفارية ومتغيّراتها، من خلال النصوص الثلاثة، وتبعا للمداخل السابقة.

المدخل التاريخي

* السياق التاريخي العام

تعاقب على حكم المغرب خلال القرن التاسع عشر ستة سلاطين: المولى سليمان (من ١٧٩٢ إلى ١٨٢٢)، والمولى عبد الرحمن (من ١٨٢٢ إلى ١٨٥٩)، والمولى محمد الرابع (من ١٨٥٩ إلى ١٨٧٣)، والمولى الحسن الأول (من ١٨٧٣ إلى ١٨٩٤)، والمولى عبد العزيز (من ١٨٩٤ إلى ١٨٩٦)، والمولى عبد الحفيظ (من ١٨٩٦ إلى ١٩١٢).

وقد ظلت الدول الأوروبية إلى أواخر القرن الثامن عشر تحتفظ للمغرب بهيبته، فدأبت، مثلاً، على أداء ضريبة سنوية ليستديم الصلح بينها وبينه في البحر. وكانت العلاقات بين الطرفين قائمة على التوازن والتكافؤ، بما جعل المغرب لا يشعر بأي تهديد، ولا يرى داعياً لتغيير بنياته التقليدية وتجديدها. وبحلول القرن التاسع عشر، أتت المدنية الغربية أكلها، فاستخدمت القوة البخارية والكهربائية، وتوصلت إلى مخترعات تقنية قلبت الأوضاع، ووسعت الفجوة بين الطرفين. ولم يقتبس المغرب، أول الأمر، من هذه المدنية، شأنه في ذلك شأن سائر العالم الإسلامي، بل وجدناه يتخذ موقف الحذر المتوجس من جموح هذه المدنية وتسلاطها. فكان ما كان من سياسة الاحترار، التي اتبعها المولى سليمان، فأغلق الموانئ وأبطل سنة الجهاد البحري، سنة ١٨١٧، لما رآه من تفوق عسكري وتقني غربي لا قبل للمغرب به. وقد نجحت هاته السياسة بادئ الأمر، بسبب انشغال أوروبا بما ماجت به من أحداث، كالثورة الفرنسية وحروب «نابليون بونابرت». لكن تلك السياسة لم تعد ممكنة في عهد المولى عبد الرحمن، خاصة بعد احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠، وبعد هزيمة وادي إيسلي، قرب وجدة، سنة ١٨٤٤، وهي التي كانت، على حد قول صاحب الاستقصاء،

مصيبّة عظيمة، وفاجعة كبيرة، لم تُفجّع الدولة الشريفة بمثله^(٧). وكان من تبعات ذلك، من جهة، اندلاع ثورة القبائل، حيث ثار، مثلاً، أهل رباط الفتح على عاملهم، وثارت قبائل الشياظمة بالصويرة. لكل هذه التداعيات، أُلقينا السلطان عبد الرحمان يستدعي ضباطاً من الخارج لتنظيم الجيش والبنيات الأخرى المتهلهلة. كما أصدر ظهير يأمر فيه بإصلاح التعليم بالقرويين. وبهذا يعتبر ثاني اثنين حاولا إصلاح التعليم بالقرويين، بعد المولى محمد بن عبد الله. ومن جهة أخرى توقيع المغرب معاهدة طنجة في ١٠ دجنبر ١٨٤٤، مع فرنسا، حدّدت عدد قواته ومنعت تجمعها، وفرضت عليه التنكّر للأمير عبد القادر الجزائري، ومنحت فرنسا امتيازات تفضيلية، ومعاهدة ٨ مارس ١٨٤٥ التي رسمت الحدود بينه وبين الجزائر الفرنسية. وأرغم، بعد ذلك، على توقيع معاهدة مع إنجلترا في ٩ من دجنبر ١٨٥٦، يقر فيها لإنجلترا بامتيازات كثيرة.

وخلفه ابنه المولى محمد الرابع، الذي أرغم على المصادقة على معاهدة مع إسبانيا في ٢٦ ماي ١٨٦٠، بعد حرب تطوان، تفرض نظام حماية الأشخاص، وحق الرعايا الإسبان في الملكية العقارية، وحق إسبانيا في موانئ المغرب ومصايد الساحلية، وأخرى مع فرنسا سنة ١٨٦٣، نصت على تقوية مكانة الحماية القنصلية بالمغرب، فكانت فاتحة نظام الحماية والتسلط على المغرب، ووقفت عقبة كأداء أمام كل مسعى للإصلاح. وكان عليه، أيضاً، أن يواجه سنة ١٨٦١ الثائر الخطير، في ناحية كورت، الجيلالي الروكي، ففضى عليه، كما قضى على ثورات داخلية، مثل ثورة الرحامنة، واضطرابات الأطلس المتوسط.

ويمضي السلطان الحسن الأول على النهج

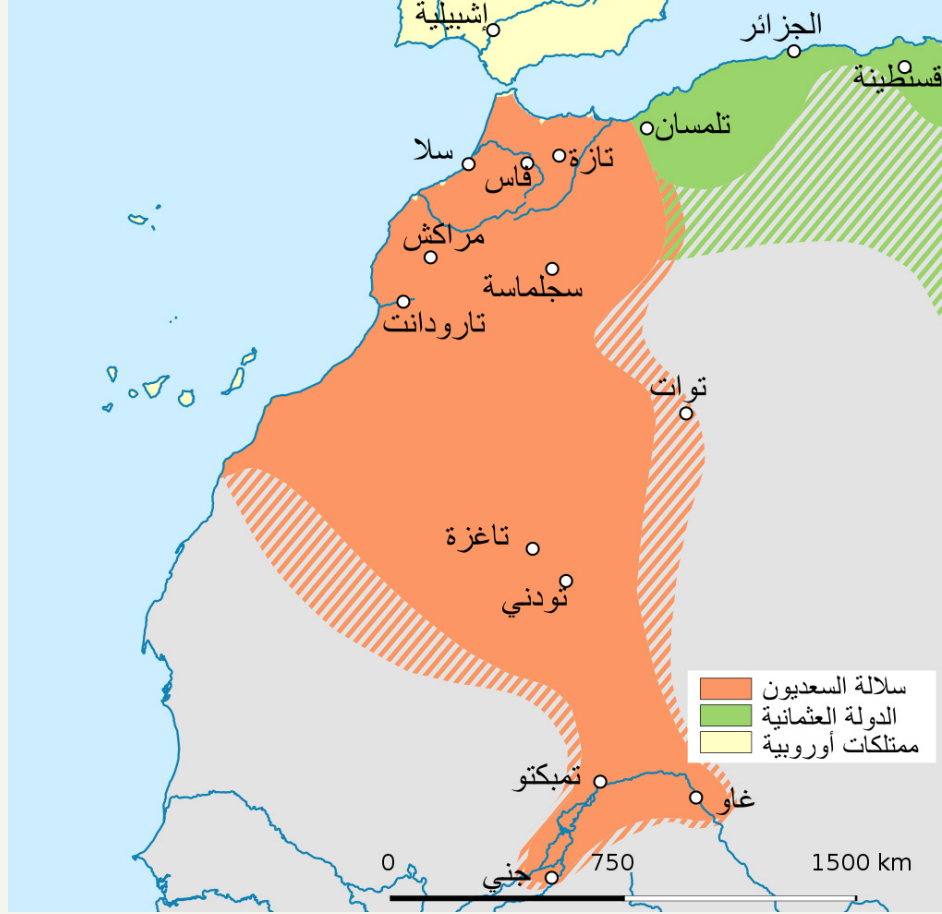
الأسطول المغربي، أو الصناعي، بإقامة معامل للزجاج والسكر والقطن... غير أن الرغد جل عن الهاجن.

ويرث المولى عبد العزيز، ولما يتجاوز الثالثة عشر من عمره، كل هذه المسؤوليات الجسام. وقد كان حاجبه المستبد بآ أحمد، وهو من زنوج جيش البخاري، وصيًا على العرش، فتسلط على الملك. فعقدت البيعة للمولى عبد الحفيظ في ١٦ غشت ١٩٠٧.^(٨)

* السياق التاريخي الخاص

في خضم التحولات الداخلية والخارجية التي ألمت إلى جانب منها، نشطت الدبلوماسية المغربية، يحدوها الأمل في الدفاع عن وضع المغرب، مستفيدة من تصارع القوى الأوروبية على المغرب. فطالعتنا مجموعة من

الرحلات السفارية، اخترت منها المتون الثلاثة المذكورة، وكان لكل سياق خاص تدرج فيه. أمّا رحلة الصفار إلى فرنسا فكانت سنة ١٨٤٥، وقد اختار السلطان عبد الرحمن بن هشام عامله على تطوان الحاج عبد القادر أشعاش، لرئاستها، لسبب أساسي عبرت عنه رسالة السلطان إلى الرجل، يكمن في ثرائه الذي يؤهله لتحمل مصاريف الرحلة السفارية.^(٩) وصحبه فيها أمينان؛ صهره محمد بن الحاج محمد اللبادي والحاج العربي بن عبد الكريم العطار، إضافة إلى كاتبه المفتي والعدل محمد بن عبد الله الصفار التطواني، الفقيه العلامة المشارك المطالع. وكانت الغاية منها مفاوضة فرنسا بشأن معاهدة ١٠ من شتنبر ١٨٤٤، المتعلقة بضبط الحدود مع الجزائر الفرنسية. واستغرقت الرحلة ما يقارب الثلاثة أشهر قضتها البعثة بفرنسا، فقد



المغرب زمن السعديين

الإصلاحي نفسه، فنراه يبدأ أولاً بتوطيد استقرار الدولة، مستنفداً في ذلك رداً كبيراً من زمن حكمه، قضاه في إخماد الفتن واستخلاص الجبايات وفض النزاعات. وسعيًا منه إلى تخليص المغرب من مساوئ الامتيازات، عقد مؤتمر مدريد عام ١٨٨٠، لكن النتيجة جاءت بما لا تشتهي سفنه، فتقرر الإبقاء على تلك الامتيازات والحمايات للدول الثلاث، إنجلترا وإسبانيا وفرنسا، وتعميمها على جميع الدول التي حضرت المؤتمر.

هذا، وقد بذل المولى الحسن الأول جهوداً معتبرة لتحديث المغرب، إن على المستوى الإداري، بإنشاء وزارات محددة الاختصاصات، وبإحداث عمالات كبرى تضم مقاطعات صغرى، أو عسكري، بالاستفادة من الخبرات الأوروبية، وإنشاء دار السلاح بفاس، ومصنع للبارود بمراكش، وشراء سفن أوروبية، لإحياء



كان الخروج من مرسى تطوان ضحوة السبت ١٣ ذي الحجة ١٢٦١ هـ الموافق ١٣ دجنبر ١٨٤٥، والرجوع إليه في ٨ ربيع الأول ١٢٦٢ هـ الموافق ٧ مارس ١٨٤٦.

وجاءت رحلة محمد الطاهر الفاسي إلى فكتوريا، ملكة إنجلترا سنة ١٨٦٠، وهي إحدى بعثتين سفاريتين،^(١٠) أرسلها المولى محمد بن عبد الرحمن، بعد هزيمة تطوان، واحتلال إسبانيا تطوان منذ فبراير ١٨٦٠، رغبة في أن تتدخل إنجلترا لدى الطرف الإسباني. وقد كان فيها

المولى عبدالعزيز

الأمينان عبد الرحمن العاجي

ومحمد الشامي، ومعهما محمد الطاهر الفاسي، كاتب السلطان محمد بن عبد الرحمن. وقد دامت الرحلة أربعة وخمسين يوما، مذ غادروا طنجة يوم السبت ٢٥ ذي القعدة ١٢٧٦ هـ الموافق ١٤ يونيو ١٨٦٠، إلى حين عادوا إليها يوم ١٩ محرم ١٢٧٧ هـ الموافق ٧ غشت ١٨٦٠.

وانصرفت رحلة أحمد الكرودوي سنة ١٨٨٥، إلى ألفونسو الثاني عشر، ملك إسبانيا. وقد عيّن المولى الحسن الأول على رأسها القائد عبد الصادق الريفّي، وكان من أفرادها الفقيه أحمد بن محمد الكرودوي الفاسي، أحد كتاب السلطان الحسن الأول.^(١١) وكانت مدة الرحلة زهاء الشهر، وكان من المقرر أن تنطلق من طنجة يوم ٢٥ شعبان ١٣٠٢ هـ، لكن البعثة اضطرت إلى المكث فيها خمسة أشهر وعشرة أيام، ريثما انجلى الطاعون عن إسبانيا، فكان الإبحار منها يوم السبت ١٣ صفر ١٣٠٣ هـ الموافق ٢٠ نونبر ١٨٨٥، ورجوعهم إليها يوم الأربعاء ٢٣ ربيع الأول

١٣٠٣ هـ، الموافق ٢٩ دجنبر ١٨٨٥.

مَدخلُ الْعَتَبَاتِ: أَلْعَنَاوِينُ وَالصُّدُورُ وَالْمَقَاطِعُ

لا تخلو المتون الثلاثة من خطابات موازية تسير القد بالقدم مع النص المركزي، نصّ الرحلة. وسيكون التركيز على العتبات الآتية: العنوان، والمطلع، والمقطع.

تنفرد رحلة الكرودوي بالاهتمام بعتبة العنوان، والطريف أن اختيار العنوان عنده بعيد عن الصدفة والاعتباط؛ فهو محفل يتوجّج كتابة الرحلة، وبؤرة تستقطب خيوطها الدلالية، يقول: «وَلَمَّا تَفَتَّحَتْ أَزْهَارُ رَوْضِهِ [يَقْصِدُ التَّقْيِيدَ] الزَّاهِرِ، وَتَمَّ انْتِظَامُ لَآلِي عَقْدِهِ الْبَاهِرِ».^(١٢)

ويذكرنا هذا العنوان بعناية المؤلفين في تراثنا باختيار عناوين كتبهم، وتجويدها، وعيا منهم بأهمية عنوان الكتاب، فهو أول ما يطرق سمع المتلقي. ومن أجل ذلك افتتنوا في اختيار الألفاظ العذبة الجزلة، وحرصوا على تناسب الألفاظ العنوان وجمله، إن على مستوى جرس الكلمات، أو على مستوى إجراء

لِعَزَّتِهِمُ الْعَظِيمَةَ كُلَّ أَعْجَمِيٍّ وَمُعَرِّبٍ [...] وَشُكْرًا لَهُ
سُبْحَانَهُ عَلَى مَا وَهَبَ مِنْ أَسْبَابِ النَّجَاحِ وَالظَّفَرِ،
وَاسْتَعْمَلَنَا فِي مَا يُرْضِيهِ مِنْ مَحْمُودِ السَّفَرِ، وَسَيَّرَنَا
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»^(١٩)

ولقد تطّرد في صدور الرحلات الثلاثة موضوعاتُ
(thèmes) ثابتة مخصوصة، إلى جانب الثابت
السابق، تثبّت انتماء النصوص إلى النمط السفاري،
وإن تفاوتت في عرضها تقديمًا وتأخيرًا، ولعل أهمها:
- جهود السلطان في الدفاع عن الأمة، وفي إحياء
معالم الدين: وتكون هاته الموضوعات مناسبة يعبر
فيها الكاتب/الرحالة عن صورة السلطان المثلى،
السلطان الذي يُحَسِّنُ الْمَلِكَ وَتَشْرُفُ بِهِ الْخَلَاةُ،
خاصة وأنه سليل الدوحة النبوية الشريفة. فتوالى
العبارات تترى، تنثال شعرا ونثرا.^(٢٠)

- عزم السلطان على إيفاد السفارة: ويجعل
الصفار، أو يكاد، قرار السلطان ذاك قرين إلهام
إلهي، إذ يقول: «فَإِنَّهُ لَمَّا شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ
[يَقْصِدُ السُّلْطَانَ] وَالْأَهْمَةُ لِأَن يُوَجَّهَ نَائِبًا عَنْهُ
لِعَظِيمِ جَنْسِ الْفَرَنْسِيِّسِ»^(٢١) بينما ينظمه
الفاصي والكردودي في سلك ما تعودته خلفاء الأمة
وأئمتها، منذ زمن سيدنا محمد ﷺ.^(٢٢)

- الثناء على قرار السلطان عقد السفارة.^(٢٣)
- الغاية من السفارة: أتى الرحالون الثلاثة على
غاية الرحلة، وهي لا تخرج عن دأب السلطان
وحرصه على انتظام مصالح دولته.^(٢٤) وإن
كان الكردودي يشير من طرف خفي، إلى إحدى
غايتين: تجديد ما أبرمه المغرب من معاهدات
مع النصارى، أو رفء ما انتلّم منها.^(٢٥) وأيا يكن
الأمر، يظل مسوَّغ الرحلة، في النصوص جميعا،
فضفاضا بعيدا عن التحديد، قلّ أو كثر، ولقد
سبق أنهم كانوا يعدون ذلك من أسرار الدولة
التي لا ينبغي الكشف عنها. والملاحظ أن الوعي
بمفهوم السفارة والسفير قائم في النصوص

السجع بين فواصل العنوان، وعلى أن يكون دالا على
موضوع الكتاب.

يعدنا العنوان بالطريف واللطيف، أو بالنكد
والنغص، منذ كلماته الأولى؛ فكلمة «التحفة» تعني:
«الطُرْفَةُ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَغَيْرَهَا مِنَ الرِّيَاحِينَ. وَالتُّحْفَةُ:
مَا اتَّخَفَتْ بِهِ الرَّجُلُ، مِنَ الْبَرِّ وَاللُّطْفِ وَالنَّغْصِ،
وَكَذَلِكَ التُّحْفَةُ»^(١٣) و«السَّنِيَّةُ»: «الرَّفِيعَةُ»^(١٤). وهذا
النعت يلغي الجانب السلبي في معنوته «التحفة»،
والدال على النغص، فكان هاته الكلمة تخصّص
سابققتها، وتستبقي مدلولاتها الإيجابية فقط، رابطة
إياها بـ«الحضرة»، وهي «الْمَشْهَدُ، تَقُولُ: «كَلَمْتُهُ
بِحَضْرَةِ فُلَانٍ»، أَيْ: بِمَشْهَدٍ مِنْهُ. وَهِيَ أَيْضًا: قُرْبُ
الشَّيْءِ، تَقُولُ: «كُنْتُ بِحَضْرَةِ الدَّارِ»»^(١٥)

وتجدر الإشارة إلى أن العنوان المقترن برحلة محمد
الفاصي، «الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية»، ما
هو من وضع المؤلف، بل وضعه المحقق.^(١٦)
وإذا ولينا شطر ما يمكن أن نسميه عتبة صدر
الرحلة، أي مقدّماتها، وجدناها جميعا تفتّح بعبارات
التحميد، بعد البسمة والصلاة على سيدنا محمد
ﷺ، وهي عبارات تضيف ضربا من الانسجام
على الخطاب، أن كانت وثيقة الصلة بالنوع الرحلي،
بتضمنها إشارات إلى الرحلة من مثل الحركة
وتسيير الخلائق في البر والبحر، والسفر والسير في
البر والبحر. فهذا ابن عبد الرحمن الفاسي يفتتح
رحلته بالقول: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ الْحَمْدُ
لِلَّهِ الَّذِي بِيَدِهِ الْحَرْكَةُ وَالسُّكُونُ»^(١٧) وغير بعيد
عن ذلك قول الصفار: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.
الْحَمْدُ لِلَّهِ مُسَيِّرِ الْخَلَائِقِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»^(١٨) وقول
الكردودي: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ حَمْدًا لِمَنْ
اخْتَارَ آلَ الْبَيْتِ الْمُحَمَّدِيِّ لِلْخِلَافَةِ بِالْمَغْرِبِ، وَذَلَّلَ

والفاسي، (٣٤) ونبرة الاعتداد بالنفس، ونجد صداها في رحلة الكردودي. (٣٥) فالأولان يقرآن بالعجز والضعف والتقصير، بل ويعود الصفار إلى التماس الاعتذار، عما اعتور رحلته من التقصير وعدم التحبير. (٣٦)

وإذا رمنا تفسير هذا التفاوت بين النبرتين، لعل رسوخ قدم الكردودي في مضممار الكتابة والأدب والشعر، (٣٧) أن يكون ما جعله واثقا من أدبيته، مستيقنا جودة كتابته الرحلية وفراستها، خاصة وأن رحلته انمازت بجودة الأسلوب والتزام السجع، حتى إذا أخرجها للناس وجدنا قاضي الجماعة وشيخ المحدثين في المجلس السلطاني أحمد بن سودة (ت ١٣٢١ هـ) يقرؤها، واصفا إياها بشيخنا وقدوتنا، وخاتمة المحققين وإمام المدققين والجامع لأشتات العلوم. (٣٨)

والطريف أن الكردودي ينقض في مقطع رحلته ما غزله في عتبتَي العنوان والصدر، فيقول: «وَالْأَ مَا غَمَرُورُ مِنْ أَغْتَرَّ بِزُخْرِفِهِمْ، وَأَعْتَقَدَ صِدْقَ مَحَبَّتِهِمْ وَنَصِيحَتِهِمْ». (٣٩) فألغى بذلك ما كان أثبتة للحضرة الحسنية عندهم من المحبة والتعظيم، ليميل كل الميل عن يقين الاستحسان والتعجب المذكورين، إلى شك الاستغراب وريبته.

مَدْخُلُ الْكِتَابَةِ: مِنْ قَوَاعِدِ النَّمَطِ إِلَى مَحْفَلِ الْكِتَابَةِ

إنَّ النوع الرحلي، ومعه النمط السفاري، نوع طلع علينا مستويا تام الخلق، ولا نعرف كتابا تراثيا أفردته صاحبه لبسط مقومات النوع الرحلي ودراستها. بيد أن هذا الواقع ما كان لينفي صدور كتاب الرحلة السفارية عن تصور واضح لتلك المقومات. وربما يكون وضوح التصور ذاك تعلقة إجماعهم عن الانصراف إلى الدراسة النقدية النظرية للنوع السفاري. ودليل ذلك أن النصوص الثلاثة، مثلا، لا تخلو من إشارات، قد تسعف، على قلتها،

الثلاثة، لكن التعبير عنه متفاوت؛ فالصفار يعبر عنه بنائب السلطان، (٣٦) والفاسي بالباشدور، (٣٧) معربا المصطلح الإسباني (el embajador)، على حين يستعمل الكردودي المصطلح المعروف، أي السفير. (٣٨) وقد يكون ذلك لأن الرحلات الثلاثة تصوّر مراحل تداول المصطلح في الثقافة المغربية ورسوخه فيها، بدءا من التصوّر الفضفاض التقريبي، مرورا بالتعريب في أدنى مستوياته، حتى استقام أصيلا تام الاصطلاحية في مرحلة متأخرة، على نحو ما نجده عند الكردودي.

- وقوع الاختيار على الكاتب ضمن الوفد السفاري: ولعل الدافع الأساسي إلى اختيار الكتاب الثلاثة هو تسجيل وقائع الرحلة وتدوينها، إضافة إلى مهمات أخرى مما يضطلع به الكاتب في مثل تلك المواقف، ويبدو ذلك في قول الفاسي مثلا: «[...] لِأَجْلِ الْقِيَامِ بِبَعْضِ الْوُظَائِفِ، وَلَمَّا عَسَى يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي تِلْكَ الْمَوَاقِفِ، مِنْ كِتَابَةِ أَوْ تَقْيِيدِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ». (٣٩)

- الدعاء للسلطان بالنصرة على أهل العصيان. (٣٠) وتخرج عن الاطراد السابق موضوعتان، وهما: - التهيب من الإقدام على كتابة الرحلة: تنفرد بهاته الموضوعية رحلة الصفار، فهو يصف عمله في تواضع بأنه مجرد تسويد للأوراق، معلنا كونه حاطب ليل، وليس من خيل ميدان الكتابة الرحلية، ملتصا العذر من أولي الإنشاء والبلاغة. (٣١)

- الاعتداد بالنفس: ونجد هذا في رحلة الكردودي، الذي جعل رحلته تقييدا سلك عقده فريدا، بل إنه لم يجد حرجا في القول: «[...] تَفَتَّحَتْ أَزْهَارُ رَوْضِهِ الزَّاهِرِ، وَتَمَّ انْتِظَامُ لَأَلِيِّ عَقْدِهِ الْبَاهِرِ». (٣٢)

نقف في مقاطع الرحلات الثلاثة على نبرتين: نبرة التواضع، وقد ترددت في ثنايا رحلتي الصفار



باريس

في تَحْصِيلِهِ»^(٤٣)

وثانيها الإمتاع، ويتحقق من خلال ما ترصده الرحلة السفارية من الأعاجيب، ومن ما يستحسن ويستغرب ويتعجب منه.^(٤٤) وإلى ذلك، تخضع كتابة الرحلة السفارية لآلية الاختيار والانتقاء، وذلك أن الرحالة يسجل «كل» ما مرّ بسمعه وبصره أولاً،^(٤٥) ثم ينتقي منه ويختار. ومعيّار الاختيار هو في المقام الأول ذوق الرحالة/ الكاتب الخاص، كما عند الصّفار، الذي لا يحتفظ إلا بما رآه أو سمعه في رحلته السفارية، مما أرّقه أو راقه،^(٤٦) وعند الكردودي، وهو ينتقي ما استحسن سماعه أو مرّاه، ولا يثبت في نصه إلا ما شاهده من الأعاجيب.^(٤٧) ونلّفني معياراً ثانياً، عبّر عنه الفاسي حين قال: «وَأَقْتَصَرْتُ عَلَى الْمَقْصُودِ بِالذَّاتِ».^(٤٨) فمعيّار الاختيار عنده قائم، على ما يبدو، على تعاقد بينه وبين قارئه النموذجي، وبهذا يمكن القول إن

في وضع ملامح ذلك تصوّر، وفي بيان وعي أولئك الكتاب/الرحالين بالكتابة السفارية وآلياتها.

لقد وقر في صدورهم أن كتابة الرحلة السفارية ليس ترفاً، وإنما هي، على حد قول الصّفار: «مَنْ الْحَزْمِ لِمَنْ تَغَرَّبَ عَنْ وَطَنِهِ وَنَأَى».^(٤٩) وهي قبل ذلك وبعده كتابة اغتراب، تتخلّق في حمأة لقاء بالآخر الغريب المختلف.

وتتجه الكتابة في هذا النمط إلى تحقيق جملة غايات ووظائف، أولها الإفادة، ويتأتى ذلك بما ترخر به من العلوم والعبر، وثمرات مخالطة البشر. (٤١) ويزداد عنصر الإفادة متى كان القطر، وجهة السفر، مجهولاً لم يؤرّخ له ولم يُشَرِّ إليه.^(٤٢) واللافت أن هذه الوظيفة كادت تكون عند الكردودي مشروعا لتحديث المجتمع المغربي، والسعي إلى اللحاق بركب الحضارة الغربية، يقول: «قَصِدَ الْمَزِيدِ لِلِاسْتِعْذَادِ بِأَفْضَلِ مِنْهُ [يَقْصِدُ مَا شَاهَدَهُ عِنْدَ الْآخَرِ]، وَالسَّعْيِ

كتابة الرحلة عنده كانت كتابة موجّهة إلى غرض مقصود، يرّجح أنه رصدُ مظاهرِ قوة الآخر وعواملِها، ولم تكن خالصة لوجه الرحلة السفارية. ومن نظر ثان، يفتح هذا التعاقد النصّ على مستويات للتلقي مختلفة، فمن يقرأ النص، وهو عالم بالمقصود المتفق عليه، ليس كمن يقرأه خالي الذهن.

وينضاف إلى المعيارين السابقين معيار ثالث، أعمله الكردودي، وهو المعيار الأخلاقي، يقول: «وَأَقْتَصَرْنَا فِيهِ [أَيِ التَّقْيِيدِ] عَلَى مَا لَا بَأْسَ بِذِكْرِهِ». (٤٩) فذلك الذي لا بأس بذكره، ينطوي على معيار أخلاقي جمعي، لا يجيز البوح بما يعدّ خروجاً على حدود ما تقبله الجماعة وقيّمها الأخلاقيّة، خاصّة وأن الآخر موضوع أخبار الرحلة ووقائعها آخرُ مخالف في الملة والدين. وهذا ملمح آخر من ملامح حضور المتلقي في خلد المؤلف ووعيه أثناء عملية الكتابة.

وإذا رمنا دواعي كتابة الرحلة وتدوينها وجدناها عند الصفار استجابةً لمن تجب إجابته، وتحتّم طاعته. (٥٠) ونفهم من قوله، إضافة إلى محاولة التماس العذر له في ما قد يعتور نصّه من قصور، أنّ السلطان عبد الرحمن بن هشام أو قائده عبد القادر أشعاش، رئيس الوفد السفاري، هو الذي طلب من الصفار كتابة رحلته. ولعل أحدهما أن يكون القارئ النموذجي، الذي يتوجّه إليه الصفار. والتأليف استجابةً لطلب الخليفة أو السلطان أو أحد الأعيان أو الطلاب أو غيرهم معهود في تراثنا، وتشهد عليه مؤلفات لا يحصيها العدّ، ومنها: موطأ الإمام مالك، وسيرة ابن إسحاق، المؤلفين استجابةً لطلب الخليفة أبي جعفر المنصور، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ألفه استجابةً لبعض طلابه.

بينما كان داعي الكتابة عند محمد الفاسي دافعا ذاتيا، على الأرجح، لخلوها من أية إشارة من شأنها أن تصرف النظر إلى افتراض غيره.

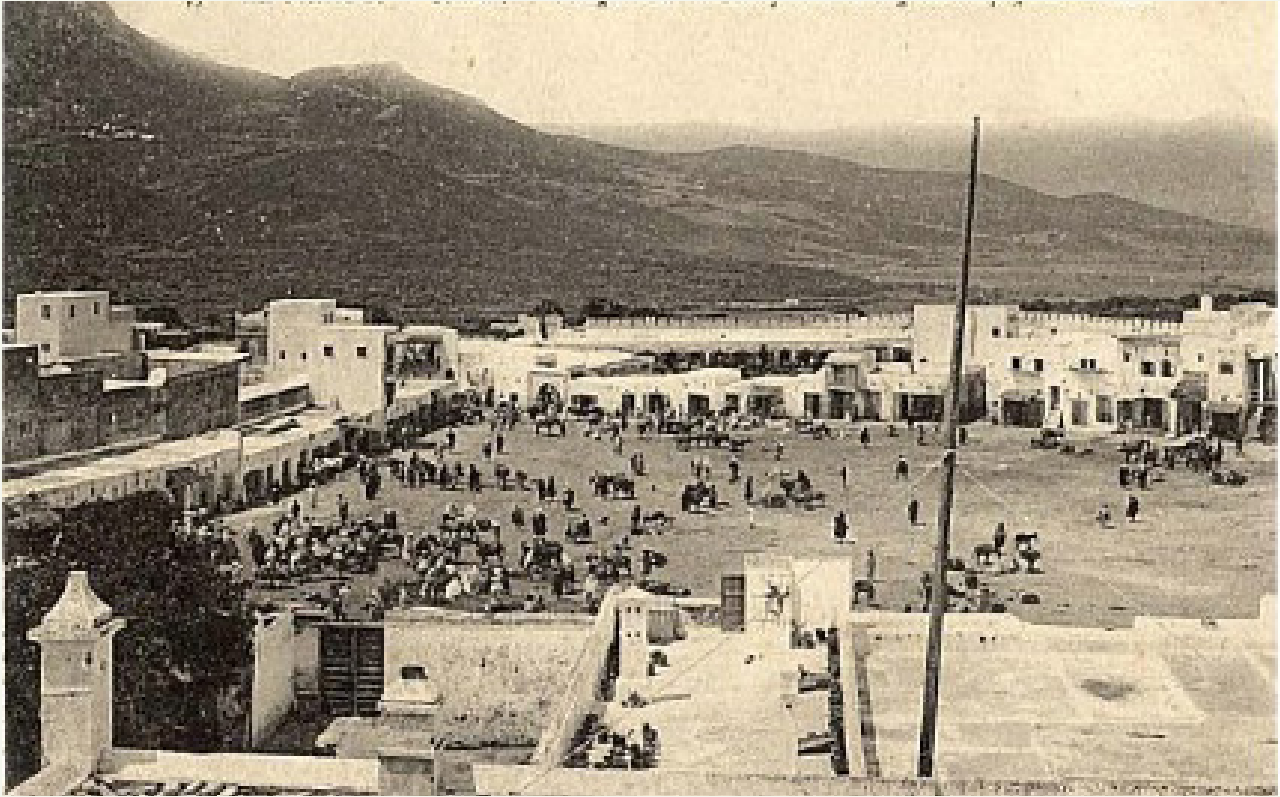
أمّا الكردودي فإنه هو الذي طلب من السلطان الحسن الأول أن يأذن له في كتابة الرحلة، بعدما قدّم له الكراسية الأولى منها، فكان أن نزلت من السلطان منزلة المحب المكرم، فأجابته موقّعا على الكراسية بما نصّه: «أَصَابَ أَصَابَ فِيهِ، فَلْيُكْمَلْ عَمَلُهُ». (٥١)

أختم هذا المدخل بالوقوف على الأطوار التي تتخلق فيها كتابة النص الرحلي السفاري. وفي هذا الصدد، تُجمع النصوص الثلاثة على أن كتابة الرحلة السفارية تمرّ بمرحلتين أساسيتين: مرحلة التقييد، ومرحلة الإخراج النهائي. ولئن اتّفق الرحالون الثلاثة على أن مرحلة التقييد تُعنى بتسجيل «كلّ» ما رآه الرحالة أو سمعه، (٥٢) وعلى أن المرور إلى المرحلة الثانية لا يكون إلا بإعمال آلية الاختيار، (٥٣) فقد اختلفوا في صيغة الإخراج النهائي، بين الصفار الذي يسوّد ما جمعه من أوراق، وبين الفاسي، الذي ينتقل بعد الاختيار إلى مباشرة كتابة النص الرحلي السفاري، وبين صيغة الكردودي القائمة على الإملاء. (٥٤)

إن تواضع الثلاثة على تسمية المرحلة الأولى من كتابة الرحلة بمصطلح التقييد لأمر ينمّ، من جهة، عن خلفية ثقافية لا تنكر، فقد روى عمرو بن العاص أن رسول الله، ﷺ، قال: (قَيِّدُوا الْعِلْمَ)، فقال: «وَمَا تَقْيِيدُهُ؟»، فَقَالَ، ﷺ: (كِتَابَتُهُ)، (٥٥)

وقال الإمام الشافعي: (٥٦) [كامل] الْعِلْمُ صَيْدٌ، وَالْكِتَابَةُ قَيْدُهُ * قَيِّدْ صَيْدَكَ بِالْجِبَالِ الْوَاتِقَةِ فَمِنْ الْحَمَاقَةِ أَنْ تَصِيدَ غَزَالَةً * وَتَرَكْنَهَا بَيْنَ الْخَلَائِقِ طَالِقَةً

ويدلّ، من ثانية، على جانب الفائدة، الملازم للكتابة الرحلية السفارية، إذ التقييد يلازم العلم وخاص به، ونقرأ في اللسان، أيضا: «قَيِّدَ الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ: ضَبَطَهُ». (٥٧)



تطوان

مَدخلُ المَضمُون: بَيْنَ الانبهارِ والتَّحدِّي

أعرج في هذا المدخل على عرض موجز لمضامين النصوص المركزية في الرحلات الثلاثة، محاولا تجاوز الجزئيات والتفاصيل المضمونية، التي ترد في أجزاء أخرى من هاته الورقات. وقبل ذلك، أبادر إلى القول إن انتظام المضمون، من حيث الشكل وطريقة العرض، يبلغ أوجه في نصّ الصفار، الذي بنى رحلته على نظام الفصول، ويقلّ في رحلة الكردودي، الذي اكتفى بعرض عناوين فرعية للموضوعات، ليخفت في رحلة الفاسي، الذي غلب عليه إغفال عناوين ما يشرع فيه من موضوعات، فلم يثبتها إلا في أربعة مواضع من ثلاثين، سدّ مسدّه المحقق في وضع عناوينها. (٥٨)

يتوزع مضمون رحلة الصفار على ستة فصول:

- الفصل الأول: مغادرة تطوان إلى مرسيليا على متن

البابور، الذي بعثه لهم الفرنسيون، والرسو ببور بندر (Port- Vendres)، أول مراسي الفرنسيين، بعد أربعة أيام. ويصف المرسى، وإحكام صنعتها وحسن مداخلها، ومنها كان انطلاقهم في أكداش (coches)، وهي عربات تجرها الخيل، إلى باريس.

- الفصل الثاني: السفر في البر من مرسيلية (Marseille) والدخول إلى طولون (Toulon)، وليون (Lyon)، وأورليان (Orléans) ثم إلى باريس (Paris)، قرار مملكة فرنسا. ويصف عمران المدن الفرنسية، فيذكر البيوت والأسواق والحوانيت والمقاهي والفنادق ومرافقها، ووسائل السفر والتنقل، وهي الأكداش والكراريص التي تجرها الخيول والقطار، والطرق والشوارع والقناطر وطرق الحديد، والنشاط الزراعي والمحاصيل، وأشجار البرتقال والصفصاف

خدامهم. ومقدار مكثهم على المائدة ساعتان، فمن عادتهم إطالة الحديث حال الأكل ليبالغوا في الأكل، وتلك عادة عبّر الرحالة عن امتعاضه منها، حتى كان ومن معه من الوفد السفاري يكرهون مجيء وقت الأكل، لما يعترضهم فيه من الملل والعياء لطول الجلوس، خاصة وأنهم لا يفهمون كلامهم وأن كثيرا من أطعمتهم لا توافقهم. ويبين الصفار، أن القوم حريصين على عدم الإكثار من الشرب حتى يثملوا أو يتمايلوا، وأنهم لا يمتثلون لادخار القوت، ولا يعجنون الخبز في ديارهم، لأن كل ذلك متوفّر في الأسواق. ويختم بعرض أسعار الخبز وزيت الزيتون.

- الفصل الخامس: يذكر فيه مكث الوفد السفاري في باريس، مشيرا إلى قلّة خروجهم من مكان إقامتهم، وهو ما جعل الفرنسيين، على حد قوله، ينظرون إليهم دائما بعين الاحترام والتعظيم. وقد دامت إقامتهم بباريس خمسين يوما، قابلوا في أولها ملك فرنسا، واجتمع الناس ليروا الوفد المغربي، حتى امتلأت الطرق والشوارع. ويصف الصفار مراسيم استقبالهم في قصر الملك، ناقلا تفاصيل القصر وأجزاءه وكسوة الملك والكبراء من حوله، ويتلو الوفد المغربي كلمته بلسانه العربيّ شاكرا مادحا مدّاريا، ويفسرّها الترجمان للملك، ومن بعده يُلقى الملكُ كلمته، التي لم تخل من محبة ومهادنة، بعجميّة، ويفسّرّها الترجمان بالعربية، ثم يناولونه كِتَابَ السُّلْطَان. وبعد ذلك، ينقل الصفار أنشطة الوفد في العاصمة الفرنسية، ومشاركته في الاحتفال بأول السنة الميلادية، وإجابته دعوة كيزو، الوزير المكلف بالبرّانيّ، أي الأجنبيّ، ودعوة الملك إلى ليلة الرقص، التي يقيمها كلّ عام في قصره، ويصف الصفار جَمَالَ بنات الرّوم، واختلاط النساء بالرجال وعاداتهم في الرقص. وكان من المؤسسات الثقافية التي

والرمان، ونظامهم في قطع الأشجار، وما مروا بهم من الأنهار الكثيرة، كالسين (Seine) والرون (Rhône) ولالوار (La Loire)، وثكنات العسكر، وتمثال الصليب، والفابريكات، أي المصانع، وما شاهدوه من تقنيات أثارت استغرابهم، كتحتلية ماء البحر في مدينة تولون (Toulon).

- الفصل الثالث: ذكر مدينة باريس. يصف بيوتها ونمط بنائها ومرافقها كالحمام، وحرص تجار المدينة على الاستعانة بالإشهار لترويج بضاعتهم، وطائفة من عاداتهم كالتنزّه. ويصف مؤسسات ثقافية كالتياترو (le théâtre)، أي المسرح، وما يقدمه من عروض، والكوازيط (les gazettes)، أي الجرائد، عارضا وجهها من أوجه حرية التعبير، المشروطة بعدم الإخلال بالقوانين، حتى وإن طالت سلطانهم أو كبراءهم. ومؤسسات مالية مثل البنك، مبينا أنواعها ووظائفها، وكون علم التجارة عند القوم من جملة العلوم التي تدرّس وتدوّن ولها مكاتب ومدارس. ويصوّر طباع أهل باريس، ومزاحمة نسائها الرجال في التكبّس، وما يتصفون به من ذكاء العقل وحدة الذهن والأدب، وما طبعوا عليه من الخفة والطيش ومن الحدة والأنفة، مع تمام اعتنائهم بالنظافة الظاهرة في بيوتهم وأزقتهم وحوانيتهم وأبدانهم، وما اتسمت به معاملاتهم التجارية من الجد والاستقامة.

- الفصل الرابع: يصوّر الصفار عوائد الفرنسيين في المأكّل. ومن ذلك تعوّدهم الجلوس على الكراسي، وأكلهم بالسكين والشوكة، الشوكة باليد اليمنى والسكين باليسرى، لأن مسّ الطعام باليد عندهم من القذر. وكلّ يأكل في إنائه ويشرب من كأسه. ويطوف الخادم على الجالسين بماعون كبير فيه الطعام فيعرضه عليهم، فمن اشتهاه أخذ منه وإلا امتنع شاكرا الخادم، وهذا، كما يرى الرحالة، مظهر من مظاهر آدابهم حتى مع

سبوتات القصر الملكي

التجفة السنوية

للمحضرة المحسنة

بالمملكة الإسبانية

راي القياس
أحمد بن محمد الكردودي

1981 - 1982

قائمة المحتويات - الريال

رحلة أحمد الكردودي

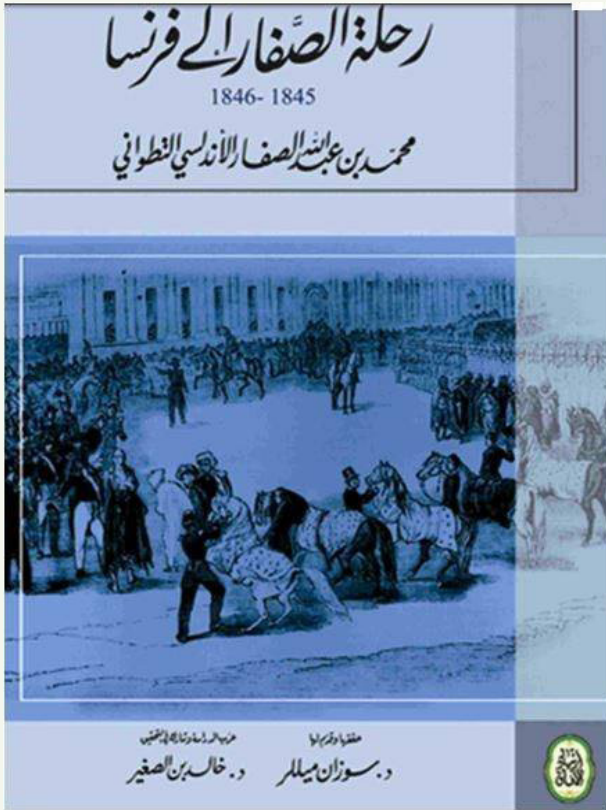
وتقدّر القمرتان مقدار جبايات العام، ويعلن كل ذلك للناس. ويلفت نظره وجود وزراء، كلّف كل واحد منهم بأمر خاص، ويعلل ذلك برغبتهم في إراحة الملك، الذي لا يستقل وحدة بأمور الرعية. ويقارن بين مفهوم العالم في بيئته وفي المجتمع الفرنسي، فيخلص إلى أنه عند الفرنسيين لا يقتصر على من يعرف أصول الدين وفروعه، بل يشمل غيره من أصحاب العلوم العقلية الدقيقة. ويعود إلى استكمال موضوعه، فيعرض الوزراء ومهامهم ومصاريفهم.

ويعرض الفاسي رحلته انطلاقاً من المحاور المضمونية الآتية:

- دخول طنجة واستقبال أقناس، يقصد قناصل، جنسي النكليز والفرنسيين للوفد السفاري.
- ركوبهم البحر: ركب الوفد فرقاطة إنجليزية كبيرة، تسمى الصاعقة، وأنزل في أحسن غرفها، وهي القامرة (cámara)، ولا يفوت الرحالة أن

زارها الوفد المغربي دار الكتب، واطلعوا فيها على مصحف عظيم، يحمله اثنان لكبره، كتب بخط مشرقى لم يُر مثله حُسناً وبهجة. كما استدعاهم الملك لحضور استعراض عسكري، فيتحسّر الصفار على اشتداد أزر الكفار، وضعف شوكة الإسلام. وزاروا قصر اللوفر (Louvre)، ودار الفزك (physique)، بما فيها من آلات غريبة وأشكال عجيبية، ودار الإصطنبا (estampa)، أي المطبعة، والبنطيو (Le Panthéon)، مدفن عظمائهم، وقصر فرساي (Versailles)، وسجل الرحالة ما شاهده فيه من تصويرات الحروب من أول الزمان، مستدركا أنهم لا يصورون إلا الحروب التي كانت لهم فيها الغلبة. كما زار الوفد القمرة الكبيرة (Chambre des Pairs)، أي مجلس النبلاء، وهذه تدافع عن الملك، والصغيرة (Chambre des députés)، أي مجلس النواب، وتدافع عن الرعية وتنصرها وتطلب حقوقها، ومدرسة من مدارسهم، ووقف على المواد المدرّسة فيها، من مثل الحساب والهندسة والفلسفة واللسان، مسجلاً كون التربية البدنية، وهو ما عبّر عنه بالقفز والمشي على الأشياء الرقيقة وعلى الأشياء المرتفعة وغير ذلك، عندهم علماً من العلوم يقرأ ويدرس ويتعلّم، وشدة الحرص على الوقت، فحتى حين أكل المتعلمين يقف واحد في مرقاة ويسرد عليهم كتاباً من علم التاريخ ونحوه. ويحرص الصفار على وصف تفاصيل المؤسسات والأماكن التي زارها، سواء أكانت ترتبط بالشكل والبناء أم بالوظيفة وطريقة العمل.

- الفصل السادس: بيان مداخيل فرنسا ووجوه جباياتها. يقدّم الصفار صورة واضحة عن نظام الجبايات في فرنسا، وكيفية صرفها، وتحدّد في: جبايات الأرض، وغلل الأرض، وخراج الشجر.



رحلة الصفار إلى فرنسا

صغيرة من كاغيد، فجعلها متصلة بجُعبٍ في فم
بَقْرَجٍ، أي إبريق، على نار، وبعد اشتداد غليان
الماء فيه جعلت تدور بقوة ذلك البخار، فرآه
رجل فاستنبت البابور (vapeur) المعروف.

- وصف فَبْرِكَةِ (fábrica) الخشب، أي مصنع
الخشب.

- وصف معرض عام: أتى على وصف مسجد، ذكر
أن قَبْتَه نقلت من الأندلس، مكتوب على أرضها
عبارة (لا غالب إلا الله)، تدوسها الأقدام، فعبر
عن استنكاره وشكا الأمر إلى أحد عظماء الدولة،
فشاركه الاستياء من ذلك، ووعده بمخاطبة أهل
الدولة لإزالته من هناك.

- وصف تدريبات الرماية.

- وصف معرض النبات.

- عجيبة: تتناول فيها تقنية زراعية تمارس في
قباب مركبة من خشب وزجاج، في داخلها أشجار
وأزهار، من شأنها تسريع إثمار الأشجار.

يصف السفينة والقامرة وميزان الطقس، أي
البارومتر.

- دخول ميناء صموت (Portsmouth) الإنجليزي:
يصف الميناء وكثرة ما فيه من العدد والعدة،
وحسن الاستقبال.

- دخول اللندريز (Londres)، أي لندن، قاعدة
مملكة النجليز، ويعرض لوصف المدينة وديارها
التي تتميز بالأعداد على أبوابها، وخیولها،
والفندق الذي نزلوا فيه، ويسمى عندهم البسطة
(posta) أو الهطيل (hotel). لينتقل إلى الدخول
على الملكة، وتسليمها كتاب السلطان، واصفا
جميل الاستقبال وقصر الملكة وقبابه وما في
بساتينها.

- دعوة الملكة الوفد المغربي للعشاء، ولا يفوت
الفاسي فرصة وصف الأواني والثريات والكراسي.

- حضور ثلاثة استعراضات عسكرية: يبدي
الرحالة إعجابه بما رآه فيها من الترتيب العجيب
والأسلوب الغريب.

- حضور مناورة حربية: يتناولها بالوصف
الدقيق، وقد كانت بطلب من الملكة. ويذكر مبلغ
ما يصرف على العسكر كل سنة، وعدد العسكر
البري في الجيش الإنجليزي، استنادا إلى أهل
الخبرة.

- وصف حديقة الحيوانات.

- غريبة: يعرض تحت هذا العنوان وصف الأيل،
وسمّاه الأين (L'élan)، ووصفا للكنغر، وإن كان
لا يسميه.

- وصف معامل السلاح.

- عجيبة: يصف فيها المهاريس، وهي نوع من
المدافع العظيمة، ويذكر أنواعا أخرى من المدافع
أحدثه قريبا.

- سبب اكتشاف القوة البخارية: يذكر الفاسي قصة
الاكتشاف، ويعود إلى أن صبيا كانت بيده ناعورة

لقيه بشاطئها حاكم المدينة وكبرائها وقوادها وعسكرها. وركب الوفد الأكداش (coches) للتنقل برا.

- التزاور: وصف محل اجتماع الإسبان لتدبير أمور الرعية، وفيه صورة المَلِك.
- مشاهدة بعض حصون قادس: وسؤال الوفد المغربي قائدَ المخزن عن الأبراج، بغية معرفة كيفية بنائها، ومقارنتها بأبراج طنجة الجديدة.
- السفر إلى مدريد (Madrid): وإخبارهم بنبا احتضار الملك، لذلك لم يستقبلوهم بالعسكر.
- وصف مدريد، قاعدة ملك الإسبان: يذكر ما أحدثه النصرى فيها من مبان جيدة، وطرق متسعة منبسطة، وما فيها من دكاكين جمعت من أنواع السلع ومنتخب التحف.

- وفاة ملك الإسبان: خوف الوفد بعد ورود نعي الملك من اضطراب الأحوال ووقوع الفتنة، لكن شيئاً من ذلك لم يقع، لوجود اتفاق على كيفية انتقال الحكم من قديم، تكون بمقتضاه زوجته من بعده السلطنة، وإن وضعت حملها فكان ذكراً يؤول الأمر إليه بعد بلوغه، وإلا يرجع لأكثر بنات الملك.

- أول اجتماع بوزير الخارجية الإسباني الجديد أيامَ المأتم: وصف حفاوة الاستقبال، ووعد الوزيرُ الوفدَ بقضاء أغراض السلطان كلها.
- زيارة إصطبلات الملكة: وصف ما فيها من الخيل.

- زيارة متاحف مدريد: وصف ما تزخر به من تماثيل رخامية ضخمة، ومن أنواع المعدن مما لا حصر له، كل معدن مكتوب في ورقة بجانبه اسمه والمحل الذي وجد فيه، ومن أنواع الطيور. ويصف دار الصناعات المغربية، وهي دار جديدة البناء واسعة الفناء. ويتأسف على وجود لوح، فيه آيات من القرآن الكريم، بيد النصرى.

- وصف البنك.
- وصف معمل الزجاج.
- وصف التلغراف (le télégraphe)، أي مكتب البرق: قصده الوفد للاطمئنان على الوضع في المغرب، خاصة وقد وردهم النباً باجتياح الريح الصفراء، أي الكوليرا، مدينة فاس. ويعترف الرحالة بعجزه عن وصف آلية اشتغال التلغراف، فهو مما يدق وصفه ويصعب ذكره.
- وصف قنطرة لندن.
- خروجهم من اللندريز: وقد شيعهم عظماء القوم.
- وصف مرسى صموت.
- تنبيه: ذكر فيه عدد المراكب عند النجليز، وتبلغ مئتين ألفاً.
- العودة إلى ثغر طنجة.

أما الكربوديّ فجاء المضمون الرحليّ عنده على النحو الآتي:

- السفر من فاس.
- الوصول إلى طنجة ووصف تحصيناتها: ويتحدث عن مظاهر عناية السلطان الحسن الأول بالأمور الجهادية. ويحدث أن يجتاح الطاعون المملكة الإسبانية فيبقىون في طنجة ريثما ينجلي الحال.
- ظهور التلفون بطنجة.
- انجلاء الطاعون وركوب الفرقاطة (la frégate)، وهي من السفن الحربية، وجهها إليهم ملك إسبانيا، ووصف مراسيم المغادرة، وفرح السفير الإسباني بالوفد المغربي.
- الإبحار إلى الأندلس: يصف حفاوة الاستقبال، التي لقيهم بها العسكر والطبجية والرؤساء والبحرية على ظهر الفرقاطة، ويذكر نزولهم بالقاهرة، في المحل الرفيع المنتخب منها.
- الوصول إلى مدينة قادس (Cádiz): خصص للوفد المغربي استقبال رسمي حافل، حيث



رولان بارت

- حديقة الحيوان: يصف الرحالة الحديقة وحيواناتها، ويُكِرُّ لوحاتٍ تُصَوِّرُ الملائكةَ وآدم وحواء ومريم وعيسى.
- وصف كنيسة ومحل كتب: وجدوا فيه من كتب المسلمين نحو العشرين مجلداً، من جملتها جزء من صحيح البخاري بقلم مغربي.
- استقبال الملكة السفارة المغربية: بعد انقضاء أيام الحداد العشرة، وتسعة بعدها، استقبلت الملكة الوفد المغربي، فقرأ كلُّ كلمته. ويشير الرحالة إلى أن كلمة الوفد المغربي ترجمت إلى الإسبانية قبل ملاقات الملكة. ويؤكد، في نهاية الاستقبال، إكمال الغرض من السفارة وجميل الكرم الذي قوبلوا به، مستقلاً ما يُحكى عن القوة العسكرية للإسبان، اعتماداً على ما رآته عيناه منهم.
- السفر إلى قرطبة (Córdoba) في بابور البر: كان بقصد زيارة مسجدها. ويسترعي انتباه الرحالة اتصال إنارة المدن الإسبانية كلها ليلاً.
- مسجد قرطبة: يصفه متحسراً على ضياعه من يد المسلمين، بعد خمسمئة وأربعة وأربعين عاماً عاشتها قرطبة في كنف المسلمين.
- الذهاب إلى غرناطة (Granada): وكان ذلك في بابور البر، ومروا في طريقهم إليها بعدة مدن، منها: أنطكيرا (Antequera) وليبينيه (Baena). ولما دخلوها خصهم حاكم المدينة باستقبال حافل، وصحبهم في الأكداش، المعدة لهم، إلى محل نزولهم، فمروا بعقبة غمارة، التي رجع الرحالة أنها كانت محل سكنى فريق من قبيلة غمارة المغربية، وبغابة ملتفة الأشجار، كانت من مقابر المسلمين.
- زيارة الحمراء: يرجع الكرودوي نغمة الحسرة على استيلاء النصارى على تلك المعالم التي كانت للمسلمين بالأمس، وهو يصف بديع بناء قصر الحمراء، وما فيه من النقوش.
- الذهاب لإشبيلية (Sevilla) محل ملوك بني عباد: يصف إشبيلية ودورها وما فيها من الضياع الحسنة، وقصر المعتمد بن عباد، الذي لم يبق منه إلا المشاهد للمعتبر، متحسراً على ماضي المسلمين فيه.
- زيارة معسكر إشبيلية: يصف الرحالة محلّ المعسكر بالاتساع واحتواء كل ما يُحتاج إليه من

حلّ بأرض الإصبنيول، وقضى على أزيد من مئة ألف. (٦١)

والملاحظ أن الاحتفاء المذكور قد أُشْرِبَ في رحلتي الصفار والفاصي انبهاراً وإعجاباً بالحادثة الغربية، لا يقلل منه ما شارك فيه ثالثهما من إنكار بعض مما رأياه من عادات القوم، كمجاري البول التي لا يخلو منها طريق، (٦٢) وما يتخبطون فيه من كفر وضلال، (٦٣) وكاللوحات التي تمثل الأنبياء، (٦٤) ومن لَعْنِ الآخِرِ الغربيِّ، والدَّعَاءِ عليه، والتحرُّسِ على أحوال المسلمين. (٦٥) على حين يتوارى ذلكم الاحتفاء بالحادثة الغربية عند الكرودوي، فتصاعد روحُ التحدي في نصّه، ونرى الأملَ والتفاؤلَ بإمكان التفوُّق على الحادثة الغربية، أو مجاراتها على الأقل، قَدْ اهْتَزَّ وَرَبَا. ولقد كان الكرودوي، وهو ابن داعية التحديث المؤرخ الأديب محمد بن عبد القادر الكرودوي (ت ١٨٥٢ هـ)، (٦٦) صاحب «كشف الغمّة، ببيان أن حرب النظام حق على هذه الأمة»، في كل ذلك يصدر عن وعي عميق بأن الدولة المغربية آخذة في الانسلاخ عن أسمال القديم، بفضل الحركة الإصلاحية التحديثية التي باشرها السلطان الحسن الأول. وكثيراً ما يشيد بها الكرودوي، مركزاً على الجانب العسكري، أو بعبارة: أمور الجهاد. (٦٧)

ويستوقفنا مصطلحُ الجهاد، الذي يتردد صده في أرجاء الرحلة، وكأنما هو رَسُولُ نَفْسٍ تَنَازَعُهَا في عليائها غَايَتَانِ: الواقع والمأمول، واقع التّربص الأوربيِّ بالمغرب، وأملُ استعادة الفردوس المفقود. نلمسُ الواقعَ عندما يصف الكرودوي، مثلاً، تجديد أبراج طنجة والمقصّد منه، يقول: «تُغْنِي عَنْ سَوَاهَا، وَتُخَشِّي الْعَدَى عَظِيمَ بُلُوَاهَا، وَجَلَبَ [...] سِتَّةَ مِنَ الْمَدَافِعِ عَظِيمَةِ الْجَزْمِ، لِمُقَابَلَةِ الْأَعْدَاءِ وَلِلدَّفَاعِ وَالْأَخْذِ بِالْحَزْمِ». (٦٨) ويعلو هاتِفُ المأمول عند حديثه عن مواطن الإسلام بالأندلس، وقد آلت إلى أيدي النصاري، ومن ذلك قوله: «وَنَوَدُّ

الآلات الطبية وأنواع الأدوية وغير ذلك. ويحضر الوفد استعراضاً عسكرياً، يصفه الكرودوي، مفضّلاً الترتيب العسكري المغربي على نظيره الإسباني.

- زيارة مصنع المدافع: يصف المصنع ومرافقه والطرق الخارجة عنه، ويذكر، مرة أخرى، عناية السلطان بأمور الجهاد، وسعيه إلى الاستغناء بالجند المغاربة المدربين عن سواهم من الأجانب. - الرجوع إلى الوطن: ركب الوفد الفرقاطة التي حملته في زهابه، ميمّماً وجهه إلى ثغر طنجة. ثم منها ينتقل للقاء السلطان بفاس.

تتواتر في المضامين السابقة سِمَةُ الاحتفاء بمظاهر الحادثة الأوربية، وبصفة خاصة تلك العمرانية والعسكرية والثقافية، مع رصد الغريب والعجيب في كل ذلك. هذا مع وجود محاور موضوعاتية مطّردة، وعلى رأسها:

- وصف أشواط الرحلة: بدءاً بمغادرة الوطن بحرا نحو الوجهة الأوربية المقررة، وهي لحظة طافحة بالتعبير عن مكابدة فراق الوطن والأهل، مروراً بالبلاد الأجنبية التي زارها الرحالة، وانتهاء بالرجوع إلى مكان الانطلاق. وهذه البنية الدائرية من أبرز مقومات الفن الرحالة.

- الجانب الجغرافي، بوصف البلدان والمواضع، والجانب الإنساني، بوصف عادات الشعوب وخصائصها.

- وصف الاستقبال الذي يحظى به الوفد السفاري. - التخلّص إلى وصف نشاط الوفد السفاري وحرصه على أداء مهمته: وهي مهمة كلّلت بالنجاح في الرحلات الثلاث.

- ذكر الأحوال والكوارث: مثل الرياح الشديدة التي أرغمت مركب الصفار على الرسو بمرسى بندر، والمبيت به. (٥٩) ووباء الرّيح الأصفر، أي الكوليرا، التي داهمت فاس وما والاها، (٦٠) والطاعون الذي

تَطْهِيْرُهُ [يَقْصِدُ قَصْرَ الْمُعْتَمِدِ بْنِ عَبَّادٍ] مِنْ دَنْسِ
الْمُشْرِكِينَ، وَرُجُوعُهُ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ»^(٦٩)، وقوله: «جَعَلَ
اللَّهُ جَمِيعَ ذَلِكَ [أَيَّ قَرْطُبَةَ] غَنِيْمَةً لِلْمُسْلِمِينَ، بِجَاهِ
سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ»^(٧٠). ويحتدم تشوُّفه للمأمول فلا

يُجد غير التوجه إلى خير مسؤول، يقول: «قَاصِدِينَ
قَرْطُبَةَ، أَعَادَهَا اللَّهُ دَارَ إِسْلَامٍ»^(٧١).
وكان مما يعزّز وعيه السابق، ويؤجج سَوْرَةَ
التّحدي، إيمانه الراسخ بتوافر مقومات الحداثة
للدولة المغربية. ونتبين ذلك في ما كان يعقده من
مقارنات، أو على الأصح موازنات، يُرَجِّحُ في أغلبها كَفَّةَ
الدولة المغربية والإنسان المغربي، وأجتزئ بموازنته
بين المغاربة وبين الإسبان، وبين عسكر السلطان
وبين عسكر إشبيلية: يقول في الأولى: «وَعَقُولُ أَهْلِ
مَغْرِبِنَا أَكْثَرُ مِنْهُمْ [أَيَّ الْإِسْبَانِ] حِدَّةً، وَفُطُنْتُهُمْ
بَلَّغَتْ مُنْتَهَى الْأَمْرِ وَحَدَّهُ»^(٧٢). وفي الثانية يقول:

«وَأَيِّنَ ذَلِكَ مِنْ تَرْتِيبِنَا الْعَجِيبِ، الَّذِي لَا يَزِدُّرِيهِ إِلَّا
خَائِنٌ فِي دِينِهِ مُرِيبٌ، فَإِنَّكَ تَرَى خُيُولَنَا الْعَرَبِيَّةَ [...]
عَلَيْهَا فَرْسَانٌ لَا يُدْرِكُ شَأْوَهُمْ فِي الْفُرُوسِيَّةِ [...] إِنْ
زَحَفُوا لِمَوَاطِنِ الْحُرُوبِ، لَا يُغَوِّزُهُمْ شَيْءٌ عَنِ الظَّفَرِ
بِالْمَطْلُوبِ، أَوْ بَرَزُوا لِمُلَاقَاةِ الْعَسَاكِرِ، لَا تَجِدُ مِنْهُمْ
إِلَّا مَنْ هُوَ بِقَرْنِهِ ظَافِرٌ، وَلِعَدُوِّهِ قَاهِرٌ»^(٧٣).

ونجده أحيانا يساوي بين الطرفين، كقوله، وقد
زار معسكر إشبيلية: «وَجَمِيعُ ذَلِكَ مِثْلُ مَا يَفْعَلُهُ
عَسْكَرُ سَيِّدِنَا، لَا فَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَنَا»^(٧٤).

ولا يشول ميزان الطرف الإسباني في نصّ الرحلة
إلا مرةً واحدةً، حين وازن الرحالة بين أبراج طنجة
وأبراج قادس، يقول: «وَفِي هَذَا الْبُرْجِ مَدْفَعَانِ كَبِيرَانِ
أَكْبَرُ مِنَ الْمَدَافِعِ السَّيِّئَةِ الْمَجْعُولَةِ بِتَغْيِرِ طَنْجَةَ [...]
غَيْرَ أَنَّهُمَا يُعْمَرَانِ مِنْ مُؤَخَّرِهِمَا لَا مِنْ أَوَّلِهِمَا،
وَلِأَجْلِ ذَلِكَ يَسْتَخْدِمُهُمَا ثَمَانِيَّةُ أَنْاسٍ لَا خَمْسَةَ عَشَرَ،
وَحَرَكَتُهُمَا [أَيَّ مَدْفَعِي بُرْجِ قَادِسٍ] أَحْفُ بِكَثِيرٍ
مِنْ حَرَكَتِ مَدَافِعِ طَنْجَةَ»^(٧٥). فلا يملك بإزاء ذلك
إلا القول: «وَلَيْتَ مَدَافِعُهَا [أَيَّ طَنْجَةَ] كَانَتْ تُعْمَرُ

مِنْ مُؤَخَّرِهَا كَهَذِهِ [مَدَافِعِ قَادِسٍ]، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَمَا
تَمْنَيْنَاهُ لَكَانَتْ جَامِعَةً مَانِعَةً»^(٧٦).
وأعود في نهاية هذا المدخل لأختم بما ذكرته، أنفاً،
من كون رحلة الكرودوي رحلةً سفاريّةً وزيادةً؛
وذلك أنها قد تجاوزت الخطاب الرحليّ السفاري
المعهود، لتتبوأ منزلة مشروع النهضة المنشود.
مَدْخَلُ الْغَيْرِيَّةِ: الْآخَرُ وَالْفَضَاءُ وَسُؤَالُ النُّهْضَةِ
لقد درج الدرس الفلسفي المعاصر على قصر
الغيرية على الآخر الإنساني، والحال أنّها، في خطاب
الرحلة، تتخذ أشكالاً متعددة، ومنها الثقافة
والفضاء وسائر الكائنات والمفاجآت التي قد تعترى
الرحلة...^(٧٧)
وعليه، سينصب الاهتمام في هذا المدخل على
تَجَلِّيَّاتِ الْغَيْرِيَّةِ أَاسَاسِيَّينَ، وهما: الآخر والفضاء.
غَيْرِيَّةُ الْآخَرِ
تتشرك النصوص الثلاثة في كونها ترصد الغيرية
الأوربيّة: الفرنسيّة في رحلة الصفار، والإنجليزيّة في
رحلة الفاسي، والإسبانيّة في رحلة الكرودوي.
يحكم تصوّر الرحالين الثلاثة الآخر الأوروبي
منطلقان أساسيان: المنطلق الديني والمنطلق
السياسي. يتجلى المنطلق الديني في وضع الآخر
والحكم عليه وفق صورة نمطية مستقرة في المخيال
الإسلامي، هي صورة الكافر النصراني. فهذا
الصفار يفزع لرؤية الصليب، ويظنه صاحبَ جناية
علّقه، لأنه بلغ من الإتيقان ما يجعل من يراه لا
يشك في أنه آدمي مصلوب.^(٧٨) ولا يلتفت الصفار، في
ذلك، إلى جمالية النُحْتِ والفنّ التشكيلي، وإن سجّل
اعتناء الفرنسيين بهما، حتى إنه، على حد قوله، لا
يخلو محلّ ولا بيت من التصاوير والتماثيل،^(٧٩) بل
يسترسل فيعقد فقرات يجادل فيها، من منظوره
الديني، في موقف النصاري، مستعرضاً أدلة عقلية
تفنّد مزاعمهم وتبطل معتقداتهم، استقاها من القرآن
الكريم ومن إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري

جامعة محمد الخامس

سلسلة الرحلات - 3 -
سفارية - 2 -

الرحلة الإبريزية إلى الديار الأندلسية

سنة 1276 هـ - 1860 م

لؤلفه
أبي الحسن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الفاسي

حققه وعناقه عليه الأستاذ

محمد الفاسي
رئيس الجامعة

رحلة محمد الفاسي

ويطل علينا المنطلق السياسي من خلال وسم
الآخر الأوروبي في النصوص الثلاثة بصفات مثل:
الطغاة والبغاة. (٨٦) وكذلك من خلال جنوح الصفار
والكرودوي إلى المداراة، التي اتفقا على عدها أمرا
واجبا؛ يقول الصفار متحدثا عن كلمة رئيس الوفد
المغربي أمام الملك الفرنسي: «وذكره، أيضا، بما يليق
به مما فيه مداراته وذكر جنسه ورعيته بما فيه
لهم مدح [...] وكل ذلك من المداراة الواجبة في مثل
ذلك المقام» (٨٧) ويستدل الصفار على وجوب المداراة
بمثل وأربعة شواهد شعرية وحديث نبوي شريف.
(٨٨) ويزيد عليه الفاسي، مميزا بين المداراة والمداينة،
يقول: «والمداينة واجبة، والمداينة محرمة، والفرق
بينهما، كما قال القاضي عياض: المداراة بذل الدنيا
لأجل صلاح الدين والدنيا، والمداينة بذل الدين
لأجل صلاح الدنيا». (٨٩)

ولما كان الكردودي يصدر عن رؤية قوامها
المجاهرة بتحدي الآخر الإسباني، كادت رحلته تخلو

للقسطلاني. (٨٠)

وقد استرعى انتباه الكردودي، أيضا، ما تحفل به
الحضارة الإسبانية من كبير اعتناء بالفن التشكيلي،
ومن اعتنائه بتناول الموضوعات الدينية من مثل
الملائكة والأنبياء، فسلك مسلك سابقه في رد ذلك
كله إلى الكفر، وفي التدليل على بطلان زعم النصارى
صلب المسيح من القرآن الكريم، (٨١) واصفا الآخر
الإسباني بالرَّجْسِ والدَّنَسِ، (٨٢) وكأنما يرجع على
أسماعنا قوله عز وجل: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا
الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ، فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ
عَامِهِمْ هَذَا﴾، [سورة التوبة، الآية: ٢٨].

أما الفاسي فلم يتجاوز مجرد تصنيف الآخر
الإنجليزي في دائرة الكفر/النصرانية واتباع
الأهواء، (٨٣) بل سعى إلى تفسير الاختلاف بين هوية
الأنا المؤمن وبين هوية الآخر الكافر وتفسير واقع
الهويتين تقديما وتخلفا، فميز بين قسمين من العقل:
العقل النوراني، وهو خاص بالمؤمن، وبه يدرك
المسائل المعنوية كالإيمان بالله وبملائكته ورسله
وكل ما يقرب من رضى الله تعالى، والعقل الظلماني،
الذي خص به الكافر، وبه يدرك الأشياء الظلمانية،
كاستنباط القوة البخارية، التي تزيد الكافرين
إمعانا في كفرهم. (٨٤)

ويلفت الانتباه أن الصفار، وهو يعرض بعض
ملاحح الآخر الفرنسي ذات الصبغة الإنسانية، أي تلك
التي يشترك فيها مع سائر البشر، كان يبحث عن
تأصيل إسلامي للمسألة، فيعود إلى سنة رسول الله
وإلى سيرة السلف الصالح. ونظير ذلك ما فعله بعد
الحديث عن ولع الفرنسيين بالمرسح، (التياترو)، وما
ينطوي عليه المرسح من تأديب النفوس وتهذيب
الأخلاق وراحة القلب والبدن. (٨٥) وقد يكون وراء
ذلك السعي أمران: تسويغ حضوره إلى تلك الأماكن،
أو تقريب الشقة بين هوية الأنا/الرحالة وهوية
الآخر الفرنسي، من خلال المشترك الإنساني.

من نفسحة المداراة، إلا إشارة واحدة، إن صحَّ وضعها موضع المداراة، وهي قوله، بعد زيارة متاحف مدريد: «ثُمَّ خَرَجْنَا مِنْ هَذَا الْمَحَلِّ مُحْسِنِينَ لَهُمْ عَمَلُهُ».^(٩٠)

ويبدو أن خطاب المداراة كان علة تمييز الرحالين الثلاثة في سلوك الآخر الأوروبي بين مستويين: الظاهر والباطن؛ ظاهر ما يلقاهم به من البشاشة والسرور والترحاب أتى نزلوا،^(٩١) وباطن ما يضمّره من رغبة في إخافة الوفد المغربي، بما يعرضه على أعينه من مراكب حربية وسرد للعساكر واستعراضات عسكرية،^(٩٢) ومن التربّص بالمغرب، حتى ألفتينا الصفار، مثلا، يقول: «وَمِنْ بَعْدِ الْعَدِ، أَمَرَ لَنَا السُّلْطَانُ [يَقْصِدُ مَلِكَ فَرَنْسَا] بِسَرْدِ الْعَسَاكِرِ وَاسْتَدْعَانَا لِلْفُرْجَةِ فِيهَا، مُبَالِغَةً فِي إِكْرَامِنَا وَالِإِعْتِنَاءِ بِنَا ظَاهِرًا، لِأَنَّهُ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ هُوَ عِنْدَهُ فِي حُظْوَةٍ، وَزِيَادَةً فِي تَبَكُّيْتِنَا وَالتَّنَكُّيْتِ عَلَيْنَا بَاطِنًا».^(٩٣) ويتوارى المنطلقان السابقان، الديني والسياسي، في بعض اللحظات النصيّة، فنرى خطابا واصفا موضوعيا، لعلّي لا أبالغ أن وصفته بالإناسي (anthropologique)؛ أن كان لا يترك شاردة ولا واردة ترتبط بعادات الآخر وأعرافه، مما وقع تحت أعين الرحالين وتلقفته أسماعهم، إلا وسعها وصفا وتفسيرا. ويحضر هذا المنطلق الحضور الأكبر في رحلة الصفار، ربما لأنها الأطول. وينقل لنا الصفار طائفة مهمة من عادات الآخر الفرنسي في المأكّل والملبس والتجارة والنزهة وعشق النساء والخلوة بهنّ والضيافة والفرجة والغناء والرقص،^(٩٤) تمثل مادة إناسية مهمة، جديرة بأن تخصّ بدراسات مستقلة. بينما يقل حضور هذا المنطلق في رحلتي الفاسي والكرودوي، اللتين اكتفيتا بالجانب الرسمي والعسكري، وما شاهداه من عادات الآخر في حفلات استقبال الوفود السفارية.^(٩٥)

وأختم الحديث عن غيرية الآخر بالتنصيص

على انفراد رحلة الصفار بتقديم صورة للمرأة الفرنسية ذات ثلاث جوانب؛ أولها الجانب الخُلقيّ: تناوله تارة أولى باقتضاب، فذكر أن نساء فرنسا ذوات حظّ من الجمال والبياض وخضب البدن. ^(٩٦) وقرّر في ما يشبه المقارنة بما عهده في نساء أهل بلده، وبلغية لا نُحطّي فيها اصطلاح الفقهاء، قائلا: «وَسَوَادُ الْعَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ مَعْدُومٌ عِنْدَهُمْ، وَالنَّادِرُ لَا حُكْمَ لَهُ».^(٩٧) وعاد تارة أخرى، فأطلق العنان لفرس الوصف، متتبعا محاسن النسوة اللاتي حضرن ليلة الرقص، التي يقيمها الملك كل عام، وكاشفا عن طَرْفٍ من صَدَفٍ سجعه الجميل، الذي لا نجده إلا في ما ندر من مواضع معلومات من نص الرحلة، وكأنما هذا الارتقاء بأدبيّة اللغة قد استتبعه إعجاب بالنسوة وانفعال شديد بحسّنهنّ، يقول: «فَإِذَا تِلْكَ الْقُصُورُ كُلُّهَا قَدْ امْتَلَأَتْ بِبَنَاتِ الرُّومِ، الْبَارِعَاتِ فِي الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ، مُتَجَرِّدَاتِ الْأَجْيَادِ وَالنُّحُورِ، رِقَاقِ الْخُصُورِ، ثِقَالِ الْأَرْدَافِ عِرَاضِ الصُّدُورِ، يُخْجَلْنَ بِحُسْنِهِنَّ الشُّمُوسَ وَالْبُدُورَ، عَلَيْنَهُنَّ مِنَ الْحِلِّيِّ وَالْحَلَلِ مَا لَا يَصِفُهُ وَاصِفٌ، وَلَا يَضْبِطُهُ عَارِفٌ، قَدْ شَمَّرْنَ عَنْ أَذْرُعِ كَأَنَّهُنَّ الْبَرْقُ الْخَاطِفُ، يَبْهَرُنَ الْعُقُولَ بِلَمَاهُنَّ الْمَعْسُولِ، وَرَشَاقَةِ الْقُدُودِ، وَحُمْرَةِ الْخُدُودِ، وَتَنَنِّي الْغُصُونِ وَتَلَيُّنِ الْمَعَاطِفِ».^(٩٨)

والثاني الجانب الخُلقيّ: ويميّز الرحالة بين صنفين من نساء فرنسا: العفيفات، وغير العفيفات، وهؤلاء لا يبالى بهن ويستنكف أهل المروءة من الكلام معهن والسلام عليهن.^(٩٩) وينبّه إلى أن العُرف الفرنسي لا يرى عيبا في رقص المرأة بحضور زوجها مع غيره، ولا في تحدّث النساء مع الرجال، بل إن ذلك هو المطلوب، لكن مع عفة وصيانة.^(١٠٠)

وينضاف إلى الجانبين السابقين جانب ثالث يكمل صورة المرأة الفرنسية كما تمثّلها الصفار، ويتّصل بإسهامها في الحياة الاقتصادية، من خلال مشاركتها

لِلنُّومِ، يَغْطَائِهِ وَوِطَائِهِ وَسُتُورِهِ، وَالْكُلُّ فِي غَايَةِ
النَّظَافَةِ وَاللَّيْنِ. وَقَدْ تَكُونُ أَرْضُهُ مَفْرُوشَةً بِالزَّرَائِي
الْجَيِّدَةِ». (١٠٤) ويصف المطبعة الملكية، ويسميتها
دار الإسطنبا (estampa) قائلاً: «وَهِيَ، أَيْضًا، مِنْ
أَعَاجِبِ الصَّنْعِ». (١٠٥) ويصف الفاسي بورصموت
(Portsmouth)، أول أبواب الفضاء الغيري بالقول:
«وَهِيَ عَظِيمَةٌ جَدًّا، وَبَهَا مِنَ الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ مَا
لَا يُحْصَى كَثْرَةً». (١٠٦) ويقول في وصف لندن،
(اللندريز): «وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ مِنَ الْمَدَائِنِ الْعِظَامِ، مَا
رَأَيْتُ أَعْظَمَ مِنْهَا»، (١٠٧) وفي ديارها: «وَالدَّيَارُ بِهَذِهِ
الْمَدِينَةِ مُتَشَابِهَةٌ، إِلَّا مَا قَلَّ. وَتَتَمَيَّزُ بِالْأَعْدَادِ عَلَى
أَبْوَابِهَا»، (١٠٨) وفي قنطرة بلندن يقول: «وَهَذِهِ الْقَنْطَرَةُ
يَعْجُزُ الْوَاصِفُونَ عَنْ وَصْفِهَا، لِطُولِهَا وَجَوْدَةِ
بَنَائِهَا». (١٠٩)

ولا يكدر صفو هذا الإعجاب بالفضاء الغيري
عند الصفار، إلا ما كان مما نص عليه من مظاهر
القبح، وفق معياره الديني، حين قال واصفا قصر
الوفر: «وَالْحَاصِلُ هُوَ قَصْرٌ مَشِيدٌ ضَخْمٌ ظَرِيفٌ
مُزَخَرَفٌ، لَوْلَا كَثْرَةُ مَا فِيهِ مِنَ التَّصَاوِيرِ، فَإِنَّهَا
تُقَبِّحُ حُسْنَهُ». (١١٠)

ويطلع علينا الفاسي، بعد الذي مر، بعبارات
تعكس رغبته عن الفضاء الإنجليزي، إذ يقول:
«ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ نَظْرَنَا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا كَانَ تَبَعًا
وَإِسْعَافًا فِي خَاطِرِ مَلَكَتِهِمْ، إِذْ طَلَبْتُ مِنَّا ذَلِكَ مَرَارًا،
فَسَاعَدْنَاهُمْ إِلَى رُؤْيَا هَذَا النَّزْرِ الْيَسِيرِ، بَعْدَ أَنْ
أَضْرَبْنَا عَنْ مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ وَرُؤْيَا عَجَائِبَ أُخْرَى
طَلَبُوا مِنَّا إِلَيْهَا الْمَسِيرَ». (١١١)

ويتبين من قوله أنه قد فقد ما عهدناه في الرحالين،
مذ كانوا، من حب استطلاع وتوق إلى معرفة
الفضاءات الغيرية. وهذا ما لا يستقيم بحال، خاصة
بعد الذي عرفناه من تصوّره الكتابة الرحلية، ومن
إعجابه الصريح بالفضاء الغيري الإنجليزي. ولذلك
يمكن أن نرجع ما عبّر عنه في النص الأخير إلى أمرين:

الرجال في العناية بالتَّكْسِبِ عِنَايَةً لَا تَقَاعَدَ فِيهَا وَلَا
تَكَاسَلَ، حَتَّى إِنَّهَا زَاخَمَتْهُمْ إِنْ لَمْ نَقُلْ فَاقْتَهُمْ فِي
ذَلِكَ. (١١١)

غَيْرِيَّةُ الْفَضَاءِ

يتوزّع الفضاء الغيري في النصوص الثلاثة على
قسمين: فضاء تام الغيرية، وفضاء غير تام الغيرية،
إن صح التعبير. ويحضر الأول في رحلتي الصفار
والفاسي، ومحلّ الثاني رحلة الكردودي.

بيان ذلك أن الرحالة في الرحلتين الأوليين يكون
بإزاء فضاء ذي سياق ثقافي وحضاري مغاير كل
المغايرة؛ فلقد انصرفت رحلة الصفار إلى فرنسا،
ورحلة الفاسي إلى إنجلترا، وتوجّهت رحلة الكردودي
إلى فضاء قد كان له عهد طويل بالوجود الإسلامي،
امتد من تاريخ فتح الأندلس، سنة ٩١ هـ على يد
طريف البربري، أو سنة ٩٢ هـ على يد طارق بن
زياد، إلى سقوط مملكة غرناطة، آخر معاقل
المسلمين، سنة ٨٩٧ هـ. (١٠٢) لأجل ذلك، كان إحساس
الكردودي بالفضاء الإسباني/الأندلسي إحساسا
مختلفا، تنازعه النفس فيه إلى زمن الوصال، زمن
الوجود الإسلامي بالأندلس.

وعلى هذا، كان حديث الصفار والفاسي عن
الفضاء الغيري، من أول فضاء ولجاء إلى آخر فضاء،
وبين ذلك ما شاهداه من مدن ومرافق ومؤسسات،
حديث إعجاب وانبهار، تبعاً لإعجابهما وانبهارهما
بالمدينة الأوروبية، وما تزخر به من سيماء الحداثة
والتطور. يقول الصفار واصفاً أول عتبات الفضاء
الفرنسي، مرسى بندر (Port- Vendres): «وَهِيَ
مَرْسَى صَغِيرٌ، لَكِنَّهَا لِاتِّقَانِهَا وَإِحْكَامِ صَنْعَتِهَا وَحُسْنِ
مَدَاخِلِهَا وَبِنَاءِ شَوَاطِئِهَا تَلَحُّقٌ أَوْ تَفُوقٌ الْكَبِيرَةِ». (١٠٣)
ويقول واصفاً الفندق، ويسميه الأوكنضة، من
الكلمة الإيطالية (locanda): «وَهِيَ دَارٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ
بُيُوتٍ كَثِيرَةٍ [...] وَكُلُّ بَيْتٍ فِيهِ فِرَاشٌ وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ



فكتوريا ملكة إنجلترا

الفضاء الإسباني بـماضيهِ الأندلسي، فنراه يحدثنا عن عظمة ما بنته أيدي المسلمين، يقول، مثلاً، واصفاً مسجد قرطبة: «يَدُلُّ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مُلُوكُ الْإِسْلَامِ مِنْ ضَخَامَةِ الْمُلْكِ وَرَفِيعِ الشَّانِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ حَالُ السَّلَفِ الْمُهْتَدِينَ مِنَ الْإِعْتِنَاءِ بِأَمَاكِنِ الدِّينِ».^(١١٢) والرحالة في تلك المقارنة يصوّر ما لحق المآثر الإسلامية بعدما آلت إلى الإسبان، من طمسٍ لهويّتها، وتشويه لمعالمها، يقول: «وَرَأَيْنَا فِي نَاحِيَةِ مَنْ نَوَاجِي الْمَسْجِدِ [يَقْصِدُ مَسْجِدَ قُرْطُبَةَ] فِي طَرَفِهِ كُنُيسَتَهُمُ الَّتِي اقْتَطَعُوهَا مِنْهُ، وَفِيهَا تَصَاوِيرُهُمْ وَمَحَلُّ خُطْبَتِهِمْ، وَمَا يَتَعَبَّدُونَ بِهِ وَيَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ أَصْنَامِهِمْ [...] وَلَمْ تَبْقَ بِهَذَا الْمَسْجِدِ صَوْمَعَةٌ، بَلْ جَعَلُوهَا مَحَلًّا نَاقُوسِهِمْ، وَبَدَّلُوا أَعْلَاهَا بِمَا يُنَاسِبُهُمْ».^(١١٣) ويحرص على نفي ما قد يتبادر إلى الذهن، من إرجاع مزية العمارة بإسبانيا/الأندلس إلى النصارى الإسبان، يقول: «ارْتَحَلْنَا لِإِسْبِيلِيَّةٍ، مَحَلِّ مُلُوكِ بَنِي عَبَّادٍ [...] وَهُوَ بَسِيطٌ فَسِيحٌ، تَمِيلُ النُّفُوسُ إِلَيْهِ

تأكيد حرصه على أداء مهمته ضمن الوفد السفاري، حيث إن إنجاحها هو أولى غاياته ومنتهاها. وكذلك فقد جاء حكمه على الفضاء الغيري فرعاً من تصوّره للآخر الكافر. وفي هذا السياق نفهم تقسيمه الفضاء حسب ثنائية: الجنة/السجن، انطلاقاً من الاستشهاد مرتين بالحديث الشريف: (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)؛ فكأنه أراد أن يسوّغ، من جهة، ما يعلمه من واقع تقابل الفضاءين: الفضاء البدويّ والمتخلف، فضاء الذات، والفضاء المدنيّ والحداثيّ، فضاء الآخر، فلم يعدم الحيلة في مرجعيته الدينية. وأراد من جهة ثانية تقديم الدليل الشرعيّ على سلامة موقفه الزاهد في جنة الفضاء الغيريّ. وبذلك يكون إعراضه عن الفضاء الغيريّ أمراً مقبولاً، إن لم نقل مستحباً، إذ الإضرابُ عن فضاء الكفر غير بعيد عن الإضرابِ عن الكفر نفسه.

ولما كانت غيرية الفضاء، الذي نزل به الكردودي، غيرية غير تامة، وجدناه أكثر من مقارنة حاضر

مِنْ تَصَرُّفَاتِ الْأَقْدَارِ، مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ هَذَا الْمَسْجِدِ الْعَظِيمِ الْمَقْدَارِ [مَسْجِدِ قَرْطَبَةَ]، مِنْ نَقْلِهِ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ لِأَيْدِي الْكُفَّارِ [...] فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَصْرٍ وَلَا عَدٍّ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدٍ».

(١٢٠)

سؤال النهضة

ولنا، بعد الذي مرّ، أن نعرض على النصوص الثلاثة سؤال النهضة، فنسألها: لماذا تقدّم الآخر الغربي وتأخر الأنا المغربي؟

لا بد بداية من الإشارة إلى اتفاق النصوص الثلاثة على كون النهضة منبئة عن العامل الديني، كفرا وإيمانا، فمناطق النهضة والحدثة نوااميس كونية، قوامها الأخذ بمجموعة من الأسباب الحضارية الموضوعية والمادية، ولا اعتبار فيها ألبتة للمعتقد الديني أو لخصيصة خص بها الأوروبيون دون غيرهم. (١٢١)

يُرجع الصّفار ما بلغه المجتمع الفرنسي من تقدّم وحداثة، إلى أسباب ثلاثة:

- صحة الأساس: وذلك أنهم: «يَبْنُونَ أُمُورَهُمْ كُلَّهَا عَلَى أَصَحِّ أَسَاسٍ». (١٢٢)
- وتمام التدبير: ويتخذ مظاهر ثلاثة: ضبط القوانين واحترامها، وإتقان الأمور، والنظام الغريب، يقول: «وَمَدَارُ ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى الضَّبْطِ وَالْحَزْمِ وَالِاعْتِنَاءِ التَّامِّ وَعَدَمِ الْغَفْلَةِ فِي الْأُمُورِ [...] وَوَضْعِ الْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا»، (١٢٣) ويقول: «فَمَا أَحْرَمَهُمْ، وَمَا أَشَدَّ اسْتِعْدَادَهُمْ، وَمَا أَتَقَنَ أُمُورَهُمْ، وَأَضْبَطَ قَوَانِينَهُمْ [...] وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِنِظَامِهِمُ الْعَجِيبِ، وَضَبْطِهِمُ الْغَرِيبِ، وَاتِّبَاعِ قَوَانِينِهِمْ، الَّتِي هِيَ عِنْدَهُمْ لَا تَنْخَرِمُ». (١٢٤) ومما يمكن إلحاقه بتمام التدبير الاعتناء التام والتبصر العام بأمور الدنيا والجد كل الجد في عمارة الأرض بالبناء والغرس وغيره. (١٢٥)

- والتخطيط: وهو ما عناه بقوله: «وَيَسْتَعِدُّونَ لِلْأُمُورِ قَبْلَ وَقُوعِهَا». (١٢٦)

وَتَسْتَرِيحُ، اشْتَمَلَ عَلَى آلافٍ مِنَ الضِّيَاعِ، حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ كَثِيرَةُ الْإِنْتِفَاعِ [...] وَلَيْسَ ذَلِكَ مِمَّا أَحْدَثَهُ النَّصَارَى بَعْدَ اسْتِيلَائِهِمْ عَلَى أَرْضِهَا، بَلْ كَانَ كَذَلِكَ وَقْتُ سُكْنَى الْمُسْلِمِينَ بِهَا». (١١٤) وإن كان يعترف، أحيانا، للعمارة الإسبانية بالإتقان والجمال، في مثل قوله واصفا مدريد: «ذُو أَبْنِيَةٍ مُرْتَفَعَةٍ وَطُرُقٍ مُسْتَقِيمَةٍ تَمُرُّ فِيهَا الْكُرُوصَاتُ وَالْأَكْدَاشُ، فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُرُورَ الْفَرَاشِ [...] وَقَدْ حَارَزَ مِنَ الْحَضَارَةِ أَجْمَلَهَا، وَاحْتَوَى عَلَى دِكَائِينَ جَمَعَتْ مِنْ أَنْوَاعِ السَّلْعِ وَمُنْتَخِبِ التَّحْفِ جِلَّهَا». (١١٥)

ويولي الرحالة المقارنة وجهة أخرى، فيقارن بين الفضاء الأندلسي وبين الفضاء المغربي، ليثبت، بعد التأمل، التشابه بينهما، يقول: «وَعِنْدَ مُرُورِنَا بِأَزَقَّتِهَا [يَقْصِدُ الْحَمْرَاءَ] وَطُرُقَهَا، كُنْتُ أَتَأَمَّلُ فِي أَبْوَابِ الدُّورِ وَأَبْنِيَّتِهَا فَأَجِدُ أَكْثَرَهَا مُنَاسِبًا لِأَبْوَابِ دُورِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَرِيبُ مِنْ بِنَاءَاتِهِمْ بِمَغْرِبِنَا». (١١٦) ويقول أيضا: «وَدُورُ أَبْوَابِهَا [أَيُّ إِشْبِيلِيَّةَ] قَرِيبَةٌ مِنْ أَشْكَالِ أَبْوَابِ دُورِ مَغْرِبِنَا». (١١٧)

ويتجاوز الكردودي المقارنة، فيوازن بين الفضاء الإسباني وبين الفضاء المغربي موازنة ينتصر فيها لفضائه المغربي، كما انتصر من قبل للإنسان المغربي، يقول: «وَمَعَ كِبَرِهِ [يَقْصِدُ الْجَنَانَ] وَحُسْنِ مَنْظَرِهِ، فَمُطْلَقُ جَنَاتِنَا أَشْهَى وَأَحْلَى، وَأَرْفَعُ مَحَاسِنًا وَشَكْلًا، وَقَاهَا اللَّهُ مِنْ رَجَسِ الْكَافِرِينَ وَدَنَسِهِمْ». (١١٨) وَمِنْ هَذَا الْبَابِ، أيضا، جعله المكان المخصص لأنواع الصناعات المغربية في متحف مدريد أحسن مكان في المتحف. (١١٩)

ولم تكن المقارنة بين حاضر الفضاء الإسباني وماضيه الأندلسي أن تخلو من التعبير عن حالات النفس المتحرقة على ضياع الفضاء الأندلسي، تعبيرا لا يفتأ ينكأ مصاب المسلمين في الأندلس، ويبلغ ذروته عند قوله: «وَقَدْ ضِيقْنَا دَرْعًا حِينَ رَأَيْنَا مَا رَأَيْنَا مِنْ اسْتِيلَاءِ الْكُفَّارِ عَلَى أَمَاكِنِ الْمُسْلِمِينَ [...] وَشَاهَدْنَا

هَيَّأتُ لِلآخِرِ الْأُورْبِيِّ أَنْ يَرْتَقِيَ فِي مَدَارِجِ الْحَدَاثَةِ، وَجَمَاعُهَا التَّنْظِيمَ وَالتَّخْطِيطَ وَالْاجْتِهَادَ. وَقَدْ كَانَ الْكُرْدُودِيُّ أَكْثَرَ الثَّلَاثَةِ إِيمَانًا بِقُدْرَةِ الْمَغْرِبِ عَلَى مِطَاوِلَةِ الْغَرْبِ فِي إِدْرَاكِ الْحَدَاثَةِ، لِلْأَسْبَابِ الَّتِي مَرَّتْ بِهَا.

خَاتَمَةٌ كَالْمُقَدِّمَةِ

لَقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا مِنْ هَاتِهِ الْمَقَارِبَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ الْمُدَاخِلِ أَنَّ خُطَابَ الرِّحْلَةِ السَّفَارِيَّةِ، مِنْ خِلَالِ النَّمَاذِجِ الثَّلَاثَةِ الْمُدْرُوسَةِ؛ رِحْلَةُ الصَّفَارِ إِلَى بَارِيسَ وَالرِّحْلَةِ الْإِيبَرِيْزِيَّةِ لِلْفَاسِيِّ وَالتَّحْفَةِ السَّنِيَّةِ لِلْكُرْدُودِيِّ، يَكْشِفُ عَنْ جُمْلَةٍ مِنَ الثَّوَابِتِ وَالتَّغْيِيرَاتِ.

فَعَلَى الْمُسْتَوَى التَّارِيخِيِّ، يَتَضَحُّ أَنَّ الرِّحْلَاتِ تَشْتَرِكُ فِي رِصْدِ مَرَاكِلَ مِنَ الْمَغْرِبِ الْحَدِيثِ، مَغْرِبَ الْقَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ، وَهَذَا ثَابِتٌ عَامٌّ، وَإِنْ كَانَ السِّيَاقُ التَّارِيخِيُّ الْخَاصُّ بِكُلِّ رِحْلَةٍ ذَا فُرَادَةٍ وَخُصُوصِيَّةٍ، قَدْ أَتَيْنَا عَلَى ذِكْرِهَا فِي أَوَانِهَا.

وَيَبْرُزُ ثَابِتٌ ثَالِثٌ تَسْفِرُ عَنْهُ دِرَاسَةُ الْعَتَبَاتِ، أَلَا وَهُوَ الْإِنْجَامُ بَيْنَ مَحْفَلِ الْعُنْوَانِ وَبَيْنَ صَدْرِ الرِّحْلَةِ وَمَقْطَعِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ تَجَارِي فِيهِ الْكِتَابَةُ السَّفَارِيَّةُ أَعْرَافَ الْكِتَابَةِ الَّتِي تَوَاضَعُ عَلَيْهَا الْكِتَابُ فِي تَرَاثُنَا. مَعَ مَا خَصَّتْ بِهِ عَتَبَةُ الْمَقْدِمَةِ مِنْ إِبْرَازِ مَوْضُوعَاتٍ ثَابِتَةٍ، هِيَ: جُهُودُ السُّلْطَانِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْأُمَّةِ، وَفِي إِحْيَاءِ مَعَالِمِ الدِّينِ، وَعَزْمُهُ عَلَى إِيفَادِ السَّفَارَةِ، وَالتَّنَاءُ عَلَى قَرَارِ السُّلْطَانِ عَقْدِ السَّفَارَةِ، وَالحَدِيثُ الْفَضْفَاضُ عَنِ الْغَايَةِ مِنْهَا، وَوُقُوعُ الْإِخْتِيَارِ عَلَى الْكَاتِبِ ضَمْنِ الْوَفْدِ السَّفَارِيِّ، وَالدَّعَاءُ لِلْسُّلْطَانِ بِالنَّصْرَةِ عَلَى أَهْلِ الْعَصِيَانِ. وَشَدَّتْ مَوْضُوعَتَانِ هُمَا: التَّهَيُّبُ مِنَ الْإِقْدَامِ عَلَى كِتَابَةِ الرِّحْلَةِ عِنْدَ الصَّفَارِ، وَالْإِعْتِدَادُ بِالنَّفْسِ عِنْدَ الْكُرْدُودِيِّ، وَجَدْنَا رَجْعَهُمَا فِي مَقْطَعِي الرِّحْلَتَيْنِ، إِعْمَانًا فِي التَّوَاضُعِ فِي الْأَوَّلَى، وَاعْتِدَادًا بِالنَّفْسِ فِي رِحْلَةِ الْكُرْدُودِيِّ.

وَقَدْ كَانَ رَابِعَ تَلْكَمِ الثَّوَابِتِ اتِّفَاقُ الْمُؤَلِّفِينَ الثَّلَاثَةِ

وَيَرِدُ الْفَاسِيُّ تِلْكَ الْحَدَاثَةَ إِلَى عَامِلٍ أَسَاسِيٍّ، هُوَ اجْتِهَادُ الْإِنْجِلِيزِ فِي إِصْلَاحِ الدُّنْيَا، يَقُولُ: «كَيْفَ تَحِيلُوا عَلَى إِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ، حَتَّى أَدْرِكُوا مِنْهَا مَنَافِعَهُمْ». (١٢٧) وَقَدْ بَدَأَ لَهُ أَنَّ هَذَا الْجَهْدَ عَلَى مَنَزِلَتَيْنِ: تَهْتَمُ أَوَّلَاهُمَا بِإِدْرَاكِ الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ وَتَحْصِيلِهَا حَتَّى تَصِيرَ فِي حُكْمِ الضَّرُورِيَّاتِ، لِيَنْطَلِقَ عَنَانَ الْعُقُولِ فِي ثَانِيَتَهُمَا إِلَى اسْتِنْبَاطِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا الْقُوَّةُ الْبَخَارِيَّةُ، وَلَعَلَّ هَذَا مَا عَنَاهُ، وَهُوَ يُلْخِصُ سَبَبَ تَفُوقِ الْإِنْجِلِيزِ وَسَبْقِهِمْ، بِالْقَوْلِ: «وَالْحَاصِلُ أَنَّهُمْ أَتَعَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَوَّلًا فِي إِدْرَاكِ الْمَسَائِلِ النَّظَرِيَّةِ، وَكَابَدُوا عَلَى تَحْصِيلِهَا، حَتَّى صَارَتْ عِنْدَهُمْ ضَّرُورِيَّاتٍ، وَلَا زَالُوا يَسْتَنْبِطُونَ بِعُقُولِهِمْ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً». (١٢٨)

أَمَّا الْكُرْدُودِيُّ فَيَتَوَلَّى غَيْرَ سَبِيلٍ سَابِقِيهِ، مَهْوَنًا مِنْ شَأْنِ الْحَدَاثَةِ الْإِسْبَانِيَّةِ، بِالنَّظَرِ إِلَى مِثْلَاتِهَا الْأُورْبِيَّةِ، يَقُولُهُ: «وَهَذِهِ الدَّوْلَةُ [أَيُّ إِسْبَانِيَا]، وَإِنْ اقْتَفَتْ أَثَرَ غَيْرِهَا، فَإِنَّهَا لَمْ تَبْلُغْ بَعْضَ الْبَعْضِ مِمَّا اسْتَنْبَطُوهُ، وَلَا عَلِمَتْ مِنْ صِنَاعَتِهِمْ مَا صَنَعُوهُ»، (١٢٩) وَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ اسْتِقْلَالُ قُوَّةِ إِسْبَانِيَا الْعَسْكَرِيَّةِ، حَيْثُ أَعْلَنَ: «وَمُدَّةٌ مُكُونَتْنَا هُنَاكَ، لَمْ نَرَ مَا يُصَدِّقُ مَا يُحْكِي عَنْهُمْ مِنَ الْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ»، وَإِنْ اسْتَدْرَكَ قَائِلًا: «اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونُ [أَيُّ الْعَسْكَرِ] مُفَرِّقًا فِي مَدُنِهِمْ وَبِلَادَاتِهِمْ، فَإِنَّ تَعَدُّدَهَا يُؤْزِنُ بِالْكَثَرَةِ». (١٣٠)

وَالْكُرْدُودِيُّ فِي كُلِّ ذَلِكَ مَسْتَمِيتٌ فِي رَفْعِ لَوَاءِ التَّحْدِي، مُؤْمِنٌ بِمَوْهَلَاتِ الْمَغْرِبِ وَبِنَجَاحِ مَا هُوَ مَاضٍ فِيهِ مِنْ مَحَاوِلَاتِ الْإِصْلَاحِ وَالتَّحْدِيثِ. لَكِنْ هَذَا مَا كَانَ مَانِعَهُ مِنَ الْإِعْتِرَافِ لِلْآخِرِ الْإِسْبَانِيِّ بِالْاجْتِهَادِ فِي مَسَايِرَةِ الْحَدَاثَةِ الْغَرْبِيَّةِ، يَقُولُ: «وَلَكِنَّهَا [أَيُّ إِسْبَانِيَا] لَمْ تُهْمَلْ ذَلِكَ إِهْمَالًا كُلِّيًّا، وَلَا جَعَلَتْهُ وَرَاءَهَا ظَهْرِيًّا، بَلْ جَدَّتْ فِي إِدْرَاكِهِ، فَأَدْرَكْتُ مَا تَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ، وَهُمْ جَادُونَ فِي مَا سَلَكَهُ غَيْرُهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَسَالِكِ». (١٣١)

وَصَفُوفَةُ الْقَوْلِ: إِنَّ الرِّحَالِينَ الثَّلَاثَةَ قَدْ أَجَابُوا عَنْ سُؤَالِ النَّهْضَةِ، وَإِشْكَالِ التَّحْدِيثِ، عَلَى اخْتِلَافٍ هَوَاجِسِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ، فَحَدِّدُوا عَوَامِلَ ثَلَاثَةِ كِبَرَى



عبد الله العروي

وهو تواتر منطلقات ثلاثة، تحكم تصوّر غيرية الآخر في النصوص المدروسة، وتتمثل في منطلقين ذاتيين هما: الديني، والسياسي، وفي منطلق موضوعي، هو المنطلق الإنساني، الذي كان قويّ الحضور في رحلة الصفّار. وقد انفردت فيه بمحطات تقلّ فيها حدة التقابل بين هوية الرحالة وهوية الآخر، فتقرب بينهما مساحاتُ المشترك الإنساني. وانفردت رحلة الكردودي بتحدّي الآخر والتهوين من شأنه. ويتميز الصفّار وهو بإزاء الغيرية الفرنسية، بالالتفات إلى صورة المرأة في المجتمع الفرنسي، فوقف وقفات دالة على مكانتها وما تضطلع به في مجتمعها، وإن بدا في وقفاتهِ تلك مخايل مقارنتها بنظيرتها المغربية.

وكان سابع الثوابت اشتراكُ الرحلات في رصد فضاء غيري أوروبي؛ الفضاء الفرنسي في رحلة الصفّار، والإنجليزي في رحلة الفاسي، والإسباني في رحلة الكردودي. بالرغم من تغيّر مراتب الغيرية، بين غيرية تامة في الرحلتين الأوليين، وغيرية غير

على تصوّر واضح للكتابة السفارية، بوصفها كتابة اغتراب، غايتها الإفادة والإمتاع، وإن اختلفوا في تمثّل أطوارها وصيغها، بدءاً من مرحلة التقييد وتدوين الوقائع والمشاهدات، مروراً بمرحلة الاختيار والانتقاء، على اختلاف عواملها الشعورية واللاشعورية، وانتهاء بالإخراج النهائي، إنّ كتابة أو إملاءً.

وقد رأينا، حين دراسة مضامين المتون الثلاثة، تراوحتها بين الانبهار بالحدّثة الغربية، وبين تحدّيها والتهوين من أمرها، إيماناً بما كان المغرب آخذاً في نهجه من سياسات إصلاحية، وبمؤهلات المغرب المعتبرة. وتطرّد فيها، إلى ذلك، موضوعاتٌ مركزية، وهي: وصف أشواط الرحلة، والجانب الجغرافي، والإنساني، ووصف استقبال الوفد السفاري، ووصف نشاط الوفد وجهوده التي تكلّل بالنجاح، وذكر الأحوال والكوارث التي حُفّت بها الرحلة. وجاء مدخل الغيرية ليقرر حضور ثابت سادس،

تامة الغيرية في رحلة الكردودي إلى إسبانيا/الأندلس، وبالرغم من تباين الموقف من الفضاء الغيري بين الانبهار عند الصفار، والانبهار المشوب بالنفور عند الفاسي، والتقليل من قيمة الفضاء الغيري عند الكردودي.

وحين عرضنا سؤال النهضة على الرحلات الثلاثة، ألفيناها تخرج علينا بثابت ثامن، وهو إرجاع علة تقدّم الآخر إلى ما أخذ به تنظيم وتخطيط واجتهاد، متفقة على أن الحداثة والتقدم الحضاري لا علاقة له بالدين، وإنما قوامه الأخذ بالأسباب المادية والنواميس الكونية. ويمتاز الكردودي عن سابقيه بإيمانه القويّ بقدرة المغرب على اللحاق بركب الحداثة، وبتقليله من أمر الحداثة الإسبانية، وهو ما يجعله، بحق، صاحب مشروع ورؤية حداثيتين إصلاحيتين، لا تقلان في شيء عما نادى به والده المؤرخ الأديب محمد بن عبد القادر الكردودي.

وبين هاته الثوابت وتلك المتغيّرات، تحفل النصوص الثلاثة بكثير من القضايا والظواهر، من مثل أدبية الرحلة ومستوياتها، والتناسق وقضاياها، وآليات السرد واشتغالها، والصّور النمطيّة وتأثيرها في تمثّل غيريّة الآخر والفضاء، والقضية المصطلحية، التي أتيت على جانب منها، تقتضي مداخل أخرى تقربنا زلفى إلى النصّ السفاري، الذي لم أبالغ عندما وصفته بديوان الإنسان، وسجلّ الأمم والشعوب. لذلك أختتم بما بدأت به من التنصيص على كون نص الرحلة السفارية نصّا جمعا، ويقتضي قراءة جمعا.

الهوامش

(١) ينظر المفهوماني في:

Texte(s) et intertexte(s); Eric Le Calvez et Marie-Claude Canova-Green, Ed. Rodopi, Amsterdam-Atlanta, ١٩٩٧, p: ١٠.

(٢) وحي البيئة، محمد الفاسي، دار الكتاب، الدار البيضاء،

ط١/١٩٧٠، ص: ٧١.

(٣) الايديولوجيا العربية المعاصرة، عبد الله العروي، الطبعة الثانية، ١٩٩٩، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص: ٦٥.

(٤) رحلة الصفار إلى فرنسا (١٨٤٥-١٨٤٦)، محمد بن عبد الله الصفار، تحقيق وتقديم: د. سوزان ميلر، تعريب: د. خالد بن الصغير، دار السويدي للطباعة والنشر، أبو ظبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١/٢٠٠٧.

(٥) الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية (١٨٦٠)، محمد بن عبد الرحمن الفاسي، تحقيق وتعليق: محمد الفاسي، سلسلة الرحلات ٣، السفارية ٢، مطبعة جامعة محمد الخامس، فاس، ١٩٦٧.

(٦) التحفة السنينة، أحمد بن محمد الكردودي، المطبعة الملكية، الرباط، دون تاريخ.

(٧) الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط١٩٩٧، ٩/٥٣.

(٨) للمزيد من التفاصيل ينظر: الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، أحمد الناصري، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط١٩٩٧، ج٨ و٩. ومظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٧٣. والحركة الوطنية المغربية، عبد الحميد المرينسي، مطبعة الرسالة، الرباط، ١٩٧٨. والمغرب قبل الاستقلال، عبد الرحمان بن سلامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٠. والمغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول، محمد العربي معريش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١/١٩٨٩. والمغرب عبر التاريخ، د. إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط٢٠٠٩. والإصلاحات العسكرية بالمغرب من ١٨٤٤ إلى ١٩١٢، تأليف وتعريب: بهيجة سيمو، منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري، سلسلة رسائل وأطروحات، رقم ١، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢٠٠٠.

(٩) رحلة الصفار إلى فرنسا، ص: ٤٣-٤٤.

(١٠) كانت البعثة الأخرى برئاسة الكاتب الوزير إدريس العمرابي، وجهتها فرنسا، وكانت الغاية منها طلب التدخل الفرنسي لدى إنجلترا في شأن القضية نفسها، قضية تطوان. ينظر: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ملحق المغرب عبر التاريخ، ج٣، د. إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط٢/١٩٩٤، ص: ٢١٨-٢١٩.

(١١) التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ص: ٢١٨ إلى ٢٢١.

(١٢) التحفة السنينة، ص: ٢٢.

(١٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٧/٢٠١١،

- (٤٤) نفسه، ص: ٢٢-٩٢.
- (٤٥) رحلة الصفار، ص: ١١٥، والتحفة السنوية، ص: ٢٢.
- (٤٦) رحلة الصفار، ص: ١١٥. وقد أثبت المحقق الكلمة الأولى على صورة: "رقى"، ولعله سهو منه.
- (٤٧) التحفة السنوية، ص: ٢-٢٢.
- (٤٨) الرحلة الإبريزية، ص: ٤٢.
- (٤٩) التحفة السنوية، ص: ٩٢.
- (٥٠) رحلة الصفار، ص: ٢٦٥.
- (٥١) الرحلة الإبريزية، هامش ص: ١٣.
- (٥٢) رحلة الصفار، ص: ١١٥، والرحلة الإبريزية، ص: ٢، والتحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٥٣) رحلة الصفار، ص: ١١٥، والرحلة الإبريزية، ص: ٤٢، والتحفة السنوية، ص: ٢٣.
- (٥٤) رحلة الصفار، ص: ١١٥، والرحلة الإبريزية، ص: ٤٢، والتحفة السنوية، ص: ٢٣.
- (٥٥) المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاکم، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العملية، بيروت، ط ٢/٢٠٠٢، ١/١٨٨، رقم الحديث: ٣٦٢.
- (٥٦) ديوان الإمام الشافعي، جمعه وحققه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣/١٩٦٩، ص: ١٠٣. ورد عجز البيت الثاني برواية: "وَتَرَكْهَا"، وبها ينكسر الوزن.
- (٥٧) لسان العرب، ١٢/٢٣٣.
- (٥٨) الرحلة الإبريزية، ص: ج، من مقدمة المحقق.
- (٥٩) رحلة الصفار، ١٢٥.
- (٦٠) الرحلة الإبريزية، ص: ٣٦.
- (٦١) التحفة السنوية، ص: ٣١.
- (٦٢) رحلة الصفار، ص: ١٤٦.
- (٦٣) الرحلة الإبريزية، ص: ٢٨.
- (٦٤) التحفة السنوية، ص: ٥٦-٥٧.
- (٦٥) رحلة الصفار، ص: ٢٢٦، والرحلة الإبريزية، ص: ٣١، والتحفة السنوية، ص: ٥٤.
- (٦٦) الأعلام، ٦/٢١٢.
- (٦٧) من مظاهر عناية السلطان بالأمور الجهادية التي ذكرها الكرودوي: تجديد أبراج طنجة ومدافعها، وجلب المهندسين العسكريين من بعض أجناس النصارى بأجرة وافرة، وتعيين عدد من ولدان أهل المراسي يتعلمون استخدام المدافع بآلاتها، وجلب معلم طبيجي، أي مختص بالمدفعية.
- التحفة السنوية، ص: ٢٥-٢٦-٢٧-٣٠.
- (٦٨) التحفة السنوية، ص: ٢٥.
- (٦٩) نفسه، ص: ٨١.
- (٧٠) نفسه، ص: ٦٦.
- (٧١) نفسه، ص: ٦٢.
- (٧٢) نفسه، ص: ٩٠.
- ٢/٢١٥.
- (١٤) نفسه، ٧/٢٨٤.
- (١٥) نفسه، ٤/١٤٨.
- (١٦) الرحلة الإبريزية إلى الديار الإنجليزية، مقدمة المحقق، ص: ت.
- (١٧) نفسه، ص: ١.
- (١٨) رحلة الصفار إلى فرنسا، ص: ١١١.
- (١٩) التحفة السنوية للحضرة الحسنية بالملكة الإصنيولية، ص: ١٨.
- (٢٠) رحلة الصفار، ص: ١١٢-١١٣، الرحلة الإبريزية، ص: ١، والتحفة السنوية، ص: ١٩-٢٠-٢١.
- (٢١) رحلة الصفار، ص: ١١٢-١١٣.
- (٢٢) الرحلة الإبريزية، ص: ١١٣، والتحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٢٣) رحلة الصفار، ص: ١١٢-١١٣، الرحلة الإبريزية، ص: ١، والتحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٢٤) رحلة الصفار، ص: ١١٣، والرحلة الإبريزية، ص: ٢، والتحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٢٥) يقول: «ولما كان بين هذه الدولة الشريفة [...] وبين من جاورها من دول النصارى شروط محصورة، وعقود مقررة غير محظورة، وكان من عادة أسلاف سيدنا الأكرمين أن يوجهوا في كل دهر سفراء لتجديدها، ورفع ما انتلم من قواعدها، عَيْنَ [...] سفراء لمن جاوره من الدول». التحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٢٦) رحلة الصفار، ص: ١١٣.
- (٢٧) الرحلة الإبريزية، ص: ١.
- (٢٨) التحفة السنوية، ص: ٢١.
- (٢٩) الرحلة الإبريزية، ص: ٢.
- (٣٠) رحلة الصفار، ص: ١١٣، والرحلة الإبريزية، ص: ٢، والتحفة السنوية، ص: ٢٠-٢١.
- (٣١) رحلة الصفار، ص: ١١٥.
- (٣٢) التحفة السنوية، ص: ٢٢.
- (٣٤) رحلة الصفار، ص: ٢٦٥، والرحلة الإبريزية، ص: ٢٤.
- (٣٥) التحفة السنوية، ص: ٩٢.
- (٣٦) رحلة الصفار، ص: ٢٦٥.
- (٣٧) فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان، محمد غريط، المطبعة الجديدة، فاس، ط ١٣٤٧، ص: ١٨٧. ويذكر الزركلي أن للكرودوي شعرا. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان، ط ١٥/٢٠٠٢، ١/٢٤٨.
- (٣٨) التحفة السنوية، ص: ١٥-١٤.
- (٣٩) التحفة السنوية، ص: ٩٢.
- (٤٠) رحلة الصفار، ص: ١١٤.
- (٤١) نفسه، ص: ١١٥.
- (٤٢) الرحلة الإبريزية، ص: ٤٢.
- (٤٣) التحفة السنوية، ص: ٩٢.



(٧٣) نفسه، ص: ٨٥-٨٦.

(٧٤) نفسه، ص: ٨٤.

(٧٥) نفسه، ص: ٣٨.

(٧٦) نفسه، ص: ٣٩.

Pages de sables; Essai sur l'imaginaire du désert, (٧٧)

:p ,٢٠٠٦ ,Montréal, XYZ éditeur, Coll. Document

.١٦٥

(٧٨) رحلة الصفار، ص: ١٤٨.

(٧٩) نفسه، ص: ١٢٩.

(٨٠) نفسه، ص: ١٤٨-١٤٩.

(٨١) التحفة السنية، ص: ٥٧.

(٨٢) نفسه، ص: ٨٢.

(٨٣) الرحلة الإبريزية، ص: ٨-١٢-١٥.

(٨٤) نفسه، ص: ٢٨.

(٨٥) رحلة الصفار، ص: ١٨٨.

(٨٦) الرحلة الإبريزية، ص: ٢، والتحفة السنية، ص: ٣٣.

(٨٧) رحلة الصفار، ص: ٢١٥.

(٨٨) نفسه، ص: ٢١٥.

(٨٩) الرحلة الإبريزية، ص: ٢.

(٩٠) التحفة السنية، ص: ٥٤.

(٩١) ينظر مثلاً: رحلة الصفار، ص: ١١٥-١١٦-١٢٣، والرحلة

الإبريزية، ص: ٣-٨-١٢، والتحفة السنية، ص: ٣٣-٤٨.

(٩٢) ينظر مثلاً: رحلة الصفار، ص: ١٦١، ٢٢٨، والرحلة

الإبريزية، ص: ١٥-١٧-١٩، والتحفة السنية، ص: ٩٢-٩٣.

(٩٣) رحلة الصفار، ص: ٢٢٨.

(٩٤) رحلة الصفار، ص: ١٢٨-١٨٢-١٨٣-١٩٣-١٩٧-١٩٩.

.٢٢٢-٢٠٢-٢٠١-٢٠٠-٢٠٠

(٩٥) الرحلة الإبريزية، ص: ١٢-١٥-١٦، والتحفة السنية، ص:

٣٣-٥٩-٦٠.

(٩٦) رحلة الصفار، ص: ١٩٩.

(٩٧) نفسه.

(٩٨) نفسه، ص: ٢٣٣.

(٩٩) نفسه، ص: ١٩٩.

(١٠٠) نفسه، ص: ٢٢٤-٢٢٧.

(١٠١) نفسه، ص: ١٩٣.

(١٠٢) نفح الطيب، ١/٢٢٩-٢٣٠، و٤/٥٢٥.

(١٠٣) رحلة الصفار، ص: ١٢٥.

(١٠٤) نفسه، ص: ١٢٨.

(١٠٥) نفسه، ص: ٢٤١.

(١٠٦) الرحلة الإبريزية، ص: ٨.

(١٠٧) نفسه، ص: ١٠.

(١٠٨) نفسه.

(١٠٩) نفسه، ص: ٣٧.

(١١٠) رحلة الصفار، ص: ٢٣٤.

(١١١) الرحلة الإبريزية، ص: ٣٧.

(١١٢) التحفة السنية، ص: ٦٤.

(١١٣) نفسه، ص: ٦٥.

(١١٤) نفسه، ص: ٧٨.

(١١٥) نفسه، ص: ٤٢-٤٣.

(١١٦) نفسه، ص: ٧١.

(١١٧) نفسه، ص: ٧٩.

(١١٨) نفسه، ص: ٨٢.

(١١٩) نفسه، ص: ٥٣.

(١٢٠) نفسه، ص: ٦٦.

(١٢١) يقول الصفار: «وَالْأَفْلَيْسَتْ لَهُمْ قُوَّةٌ فِي أَبْدَانِهِمْ لَيْسَتْ

لِعَبْرِهِمْ، بَلْ رُبَّمَا كَانُوا أَوْعَفَ مِنْ غَيْرِهِمْ فِي ذَلِكَ»، رحلته،

ص: ١٦٢، ويقول الفاسي: «فَسُبْحَانَ مَنْ سَخَّرَ لَهُمُ الْأَشْيَاءَ،

مَعَ اتِّبَاعِ الْأَهْوَاءِ»، الرحلة الإبريزية، ص: ١١، ويقول

الكردي: «وَعُقُولُ أَهْلِ مَغْرِبِنَا أَكْثَرُ مِنْهُمْ حِدَّةً»، التحفة

السنية، ص: ٩٠.

(١٢٢) رحلة الصفار، ص: ١٦٢.

(١٢٣) رحلة الصفار، ص: ١٦٢.

(١٢٤) نفسه، ص: ٢٢٣.

(١٢٥) نفسه، ص: ١٣٧.

(١٢٦) نفسه، ص: ١٦٢.

(١٢٧) الرحلة الإبريزية، ص: ١٩.

(١٢٨) نفسه، ص: ٢٨.

(١٢٩) التحفة السنية، ص: ٩٠.

(١٣٠) نفسه، ص: ٦٢.

(١٣١) نفسه، ص: ٩٠.



محمود سلامة الهايشه

مراعاة الفروق الفردية عند الأنبياء

- مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد هي مبدأ أساسي في التربية الإسلامية، وقد حثت عليها النصوص الشرعية، ومن ذلك قول الله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ سَبِيلٌ مِّنْ كُلِّ مَا تَسْأَلُونَ} [النحل: ٦٤]. وقد حرص الأنبياء على مراعاة الفروق الفردية بين أتباعهم، وذلك من خلال تنويع أساليب التربية والتوجيه، وتقديم العناية والرعاية لكل فرد حسب احتياجاته وقدراته.
- ومن الأمثلة على مراعاة الفروق الفردية في تربية الأنبياء ما يلي:
- تقسيم الخطاب النبوي حسب المستويات العقلية والنفسية للمخاطبين: فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب العامة بلغة بسيطة وواضحة، ويخاطب العلماء بلغة أكثر عمقاً وتعقيداً.
 - التعامل مع الأفراد حسب خصائصهم الشخصية: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بأسلوب مختلف عن تعامله مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك حسب طبيعة شخصيتيهما.
 - الاهتمام بتنمية القدرات الفردية: فكان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بتنمية قدرات أصحابه المختلفة، فكان يكلف أبا بكر الصديق رضي الله عنه بالمهام الإدارية، ويكلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمهام العسكرية، ويكلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمهام القضائية.
 - التسامح مع الاختلافات: فكان النبي صلى الله عليه وسلم متسامحاً مع الاختلافات بين أتباعه، وكان يحترم آرائهم وأفكارهم، ويشجعهم على الحوار والنقاش.
- وهكذا، فإن مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد هي مبدأ مهم في التربية الإسلامية، ويسهم في تحقيق أهداف التربية وتنمية شخصية الفرد بشكل كامل ومتوازن.

كاتب وباحث مصري

جمعية الأدب والأدباء ومركز سعود البابطين ينظمان ندوة في الرياض ترصد جهود الراحل الكبير عبدالعزيز البابطين



مروان الرحيلي - مجلة أحد الثقافية

نظّمت جمعية الأدب والأدباء ومركز سعود البابطين الخيري للتراث والثقافة مساء السبت (٢ مارس ٢٠٢٤م) ندوة كبرى في المركز بحي الصحافة بمدينة الرياض عنوانها "عبدالعزيز البابطين: رمز العطاء الثقافي والإنساني" بحضور الشيخ عبداللطيف بن سعود البابطين، ومعالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ورئيس مجلس أمناء مؤسسة عبدالعزيز بن سعود البابطين الثقافية الأستاذ سعود بن عبدالعزيز البابطين، ورئيس مجلس إدارة جمعية الأدب والأدباء الأستاذ حاتم بن فهد الرويثي.



والشعر، ليخلص نصر الله من ذلك إلى قدرة

وقد بُدئَ الحفل بآيات من القرآن الكريم، ثم بدأت الندوة بإدارة الدكتور زياد بن عبدالله الدريس الأمين العام لمركز عبدالله بن إدريس الثقافي، وشارك فيها أربعة من المتخصصين والراصدين لمسيرة الراحل وعمله الثقافي، وكان أول المتحدثين معالي الدكتور عبدالعزيز خوجه (وزير الإعلام والثقافة السابق) إذ شارك بورقة عنوانها "عبدالعزیز البابطين .. وزارة ثقافة في كيان إنسان"، وفيه شدّد معاليه على نجاح الشيخ البابطين في توظيف المال في خدمة الثقافة، وفي خدمة اللغة العربية، ومع اهتمام خاص بالشعر العربي لكونه شاعرًا وله ثلاثة دواوين مطبوعة. أما الأستاذ محمد رضا نصر الله عضو مجلس الشورى سابقًا فقد شارك بورقة عنوانها "بيير بورديو والبابطين: كيف استثمر عبدالعزيز البابطين في الرأس مال الثقافي؟"، واستهلها بقصة طريفة عندما تحدث عن نماذج من الفقر الذي يعيشه الأدباء مستشهدًا بمحمود غنيم الذي كتب بيتًا يرى فيه استحالة أن يجمع الأديب بين المال





الندوات جدير، فطالما أقام المنتديات والملتقيات والندوات، وأحيا أسواق عكاظ لا سوق عكاظ واحد، ويسوغ لي أن أقول: في العصر الجاهلي سوق عكاظ، وفي العصر الحديث عبدالعزيز بن سعود البابطين.



الشيخ البابطين على الجمع بين المال والشعر حين يقول في نهاية الورقة: "هكذا استثمر عبد العزيز البابطين في الرأسمال الثقافي، فأصبح بفضل ذلك وسيطاً بين الدول بعدما كان بائعاً جوالاً! وذلك بإتقانه توجيه هذا الرأسمال في المجال العام، بوصفه محركاً يمنح الفرد قوة اجتماعية، واحتلاله موقع التأثير المعنوي؛ لا داخل المجتمعات العربية والإسلامية وحدها؛ بل والعالمية. لذلك حصل على رأسمال رمزي شَعَّ بالأوسمة والألقاب وشهادات الدكتوراه الفخرية، كاسراً بذلك تشاؤم الشاعر محمود غنيم، بجمع عبد العزيز البابطين الفريد بين الشعر والمال، وبين الرأسمال المادي والرأسمال الثقافي".

ومن بين المشاركين في الندوة أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدكتور فواز بن عبدالعزيز اللعبون الذي أعد ورقة عنوانها "عبد العزيز البابطين: الشعر والإنسان"، وقال في مستهلها واصفاً الشيخ عبدالعزيز البابطين: هو رجل البر والعطاء وفقيه الأدب والثقافة، وإنه بهذه



وكم أراني عاجزاً عن رد بعض فضله، وما هذا عليه بغريب، فقد حفز أدباء العالم العربي ومثقفيه كبارهم وصغارهم، وستظل آثاره وآلؤه حاضرة لا تغيب.

وأضاف يقول: لقد أحب وطنه العربي الكبير، وأحب ثقافته العربية، وأحب لغته العربية محبة خاصة، وأحب الأدب العربي قديمه وحديثه، وأحب الأدباء والمثقفين وأحبوه، وكأنما خلقه الله ليُحب ويُحِب، لا ليُكرهه أو يُكرَه.

وقد ترجم هذا الحب بالأفعال والدعم السخي، فنهض بجهود لا تقوم بها كيانات، ونافس بمنجزات مؤسساته الثقافية ما تنجزه بعض الوزارات.

ثم توقف اللعبون عند خصائص شعره فقال: "تستوقفني أصالة معدنه، واعتزازه بماضيه وبيئته، وهما هي عناوين دواوينه تؤكد ذلك، إذ إنها كلها عناوين من بيئته العربية: بوح البوادي، ومسافر في القفار، وأغنيات الفيافي، وكان بمقدوره أن يجعلها بوح الجبال، ومسافر في التلال،

هذا الرجل طالما غمرني بنبله وتحفيزه وأنا طالب على مقاعد الدراسة لا يأبه بي أحد؛ إذ كان يدعوني للكثير من الملتقيات الدولية، ويفتح لي الآفاق، ويعرفني بالأدباء والمثقفين ويحتويني احتواء أب لابنه، ويعلم الله كم أدين له بالفضل،



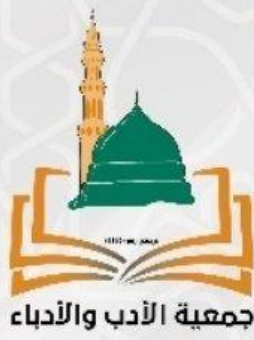


للشعراء المعاصرين" في تسعة أجزاء، و"معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين: التاسع عشر والعشرين" في ٢٥ جزءاً، و"معجم البابطين لشعراء العربية في عصور الدول والإمارات" في ٢٥ جزءاً كذلك، وأشار إلى أن المؤسسة تعمل حالياً على معجم يستكمل عصور الشعر العربي، وربما يطبع في مئة وعشرين مجلداً، ويضم المعجم ٤٥ ألف شاعر وشاعرة.

وقد زاد حضور الندوة عن مئتين يتقدمهم الشيخ عبداللطيف بن سعود البابطين، وشارك في المداخلات: الشيخ عبداللطيف البابطين، وسعود بن عبدالعزيز البابطين واللواء عبدالله السعدون، ود. محمد آل زلفة، ود. عادل المكينزي ود. محمد العزّام، وأحمد الحمدان، وعبدالله الدريهم، وبندر الصالح، وغيرهم. وفي نهاية الندوة سلّم الشيخ عبداللطيف البابطين الدروع للمشاركين في الندوة، كما خص جمعية الأدب والأدباء بدرع، وفي حين تسلم الشيخ البابطين درعاً تكريمياً من الجمعية.

وأغنيات الروابي، وهو حقاً كان يجوب الجبال والتلال والروابي في مختلف أنحاء العالم، لكن عاطفته الأصيلة مرتبطة بنشأته وأصوله، ولذا باح للبوادي، وسافر في القفار، وغنى للفيافي، ومن معالم تجربته الشعرية وفأؤه الشديد لأحبابه، فلا تكاد تجد في دواوينه ما يدل على تنوع الأحباب، وكأنه يناجي حبيباً واحداً لا يعرف سواه، ولا يريد أن يعرف سواه".

أما ورقة الدكتور محمد مصطفى أبو شوارب نائب الأمين العام لمؤسسة البابطين الثقافية فقد جاءت بعنوان "العروبة في مشروع عبد العزيز البابطين الثقافي .. أرقام ودلالات"، وأشار إلى أن مؤسسة البابطين نظّمت حتى الآن ١٨ دورة، وظفر بجوائزها ٩١ شاعراً وناقداً عربياً، وصدر عنها ٥٦٧ كتاباً، كما أن المؤسسة نظّمت ثلاثة عشر مهرجاناً للاحتفاء ببربيع الشعر العربي، وسبعة ملتقيات أدبية، وتوقف أبو شوارب عند المشروعات الضخمة التي نهضت بها المؤسسة، وهي: "معجم البابطين



جمعية الأدب والأدباء
بمنطقة المدينة المنورة
مسجلة في المركز الوطني للقطاع غير الربحي برقم (2186)



يتقدم منسوبو جمعية الأدب والأدباء بمنطقة المدينة المنورة بصادق التهاني والتبريكات

لسعادة الأستاذ الدكتور

محمد بن راضي الشريف

بمناسبة صدور قرار المجلس العلمي بترقيته إلى

– رتبة أستاذ –

في كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الحدود الشمالية

جعلها الله له عوناً على خدمة الوطن والمواطن

العروبة في مشروع عبدالعزيز البابطين الثقافي.. أرقام ودلالات

الشعرية المعاصرة من خلال ما قدمته المؤسسة على مدى ثماني عشرة دورة لتوزيع جوائزها التي ظفر بها واحد وتسعون شاعرًا وناقداً من مختلف أرجاء الوطن العربي ومن مختلف اتجاهاته الأصيلة، ومن خلال ما شهدته دورات توزيع هذه الجوائز من ندوات أدبية ومهرجانات شعرية شارك فيها مئات الشعراء والنقاد والباحثين والإعلاميين، وما صاحب



د. محمد مصطفى أبو شوارب

تلك الدورات من إصدارات بلغ مجموعها مع غيرها من إصدارات المؤسسة سبعة وستين وخمسمائة إصدار أدبي ونقدي وشعري وثقافي؛ مع ما كانت تحمله كل دورة من تلك الدورات من اسم واحد أو أكثر من أعلام الأصالة الشعرية على امتداد تاريخ الشعر العربي في إشارة واضحة إلى دعم المؤسسة ذلك الاتجاه العربي الأصيل وذلك فضلاً عن إقامة ثلاثة عشر مهرجاناً للاحتفاء بربيع الشعر العربي وسبعة ملتقيات أدبية.

ولم يكتفِ الراحل الكبير -رحمه الله- بما يقدمه للشعر العربي من تحفيز لمبدعيه وتفعيل لأنشطته بل اتجه أيضاً إلى قواعده العريضة، فأطلق قبل ربع قرن مشروع الدورات التدريبية المجانية للشباب في علم العروض وتذوق الشعر ومهارات اللغة العربية التي بلغ عددها إحدى وعشرين وخمسمائة دورة بالتعاون مع ست وخمسين جامعة عربية وأجنبية تخرج فيها أربعة وستون وتسعمائة وأربعة وعشرون ألف دارس ودارسة كان من بينهم العشرات

فليس من شك في أن الحديث عن جوانب إسهامات الراحل عبدالعزيز سعود البابطين ذلك الرجل الفذ النادر المثال الذي نستضيء دائماً بسيرته الساطعة ومسيرته الناصعة - يحتاج إلى صفحات طوال، لا إلى كلمات معدودات، لذا آثرت أن ألتزم في هذا الحديث بالإيجاز الشديد، والاقتصار على ملمح واحد من ملامح مشروع عبدالعزيز سعود البابطين الثقافي؛

مركزاً على تلك النزعة العربية الخالصة المخلصة التي تميز بها ذلك الرجل القحطاني الأصل النجدي المنبت الذي تعلق نفسه بالشعر منذ صباه الباكر، وكان أول ما عرفه منه فن النبط، ولكن قوة الهوية العربية في ذاته اجتذبت به إلى الشعر الفصيح ديوان العرب وفنهم الأول، فأفنى حياته في إبداعه وخدمته، وقدم له ما لم يقدمه أحد على مر العصور.

فأنشأ مؤسسة رائدة في اختصاصها بالشعر العربي، واختار أن يطلقها من القاهرة في لفقة ثقافية ذكية ودلالة عروبية رمزية لا تخفى على أحد، كما لا يخفى على أحد أنه استطاع بكل ما قدم من فكره وجهده ووقته وماله أن يجعل من مؤسسته علامة فارقة في تاريخ الشعر العربي الحديث؛ بعد أن وقف وراء الاتجاه المحافظ حينما بلغ ذروة أزمته وتراجعته عندما أنشأ -رحمه الله- مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري قبل خمسة وثلاثين عاماً، لتصبح هذه المؤسسة نقطة تحول فاصلة في مسيرة الأصالة



العربية وآية حضارتها وثقافتها فسعى إلى تمكين العربية بين أهلها من خلال دورات تدريبية مجانية في أصول العربية ومهاراتها أقامها بالتعاون مع العديد من الجامعات العربية كما مر بنا من قبل، كما سعى إلى نشر العربية بين الناطقين بغيرها من خلال سلسلة كراسي عبدالعزيز سعود البابطين للغة العربية والثقافة الإسلامية وثقافة السلام العادل التي بلغ عددها واحدًا وعشرين كرسياً بالتعاون مع كبريات الجامعات العالمية كجامعات أكسفورد وميتشجين وليدن وباليرمو وقرطبة وبكين وغيرها.

ويكفي أن نشير على عجلة إلى مشروعين عظيمين في هذا الإطار:

أولهما - مشروع تعريب جمهورية جزر القمر الذي انطلق سنة تسع وألفين من خلال إقامة خمس عشرة دورة سنوية لمدة خمسة عشر عاماً بناءً على طلب الرئيس أحمد عبدالله سامبي رئيس جزر القمر آنذاك.

ثانيهما - مشروع تصحيح كتيب معلومات

من المبدعين الذين يتصدرون المشهد الشعري اليوم والمئات من قراء الشعر العربي ومتذوقيه والآلاف من محبي اللغة العربية.

ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تذكر جهود عبدالعزيز سعود البابطين في سبيل الشعر سجل حضارة العرب وثقافتهم دون أن نتوقف طويلاً أمام المشروع الشعري الأبرز الذي أطلق فكرته وتبناه وتحدى به نفسه رغم مناصحة المقربين بالانصراف عنه، وسخر له كل ما يحتاج من إمكانيات هائلة.. وهو بلا شك «معجم البابطين لشعراء العربية»، ذلك العمل الموسوعي التاريخي الاستثنائي الذي يجمع بين دفات مجلداته كل من كتب الشعر العربي على مر العصور دون إقصاء لأي سبب ودون تمييز على أي أساس؛ ليصبح هذا المعجم غير المسبوق - أضخم عمل موسوعي في تاريخ الشعر العربي بما يشتمل عليه من سير الشعراء ونصوصهم الإبداعية ومصادر دراستهم في دقة ومنهجية لافتة، رغم حجمه الهائل إذ صدر معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين في تسعة أجزاء كبار تشتمل على أربعة عشر ومئتين وثلاثة آلاف شاعر، وصدر معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين في خمسة وعشرين جزءاً تشتمل على تسعة وثلاثين وثمانية آلاف شاعر، وصدر معجم البابطين لشعراء العربية في عصر الدول والإمارات في خمسة وعشرين جزءاً كذلك غير أنه يشتمل على اثنين وستين وأربعمائة وتسعة آلاف شاعر؛ ومن المنتظر أن يبلغ عدد مجلدات المعجم عند اكتماله باستيفاء عصور الشعر العربي بإذن الله تعالى نحو عشرين ومئة مجلد تشتمل على نحو خمسة وأربعين ألف شاعر وشاعرة.

ولم يقصر عبدالعزيز سعود البابطين -رحمه الله- وفاءه لعروبته على خدمة الشعر العربي فحسب، بل سعى إلى خدمة اللغة العربية بوصفها جوهر الهوية

المرشدين السياحيين في إقليم الأندلس بمملكة إسبانيا وتنظيم الدورات التدريبية لهؤلاء المرشدين على أساس من المعلومات التاريخية الصحيحة بدلاً من المعلومات الزائفة التي كانوا يستعملونها قبل إنشاء كرسي البابطين بجامعة قرطبة سنة أربع وألفين، وهو الكرسي الذي شهد مع نظائره في غرناطة ومالقة وإشبيلية إقبالا شديداً لدراسة اللغة العربية والتاريخ الإسلامي مما دفع حكومة إقليم الأندلس إلى التفكير في جعل اللغة العربية

لغة ثانية في مدارس التعليم العام بالإقليم. وقد لفت ذلك العطاء الأنظار على كافة المستويات حتى ليصف الرئيس قيس سعيد رئيس الجمهورية التونسية الأستاذ عبدالعزيز البابطين في لقائه معه سنة إحدى وعشرين وألفين بأنه طارق بن زياد الثاني.

وفي ظني أنه كان جديرًا بهذا الوصف المنصف لرجل نذر نفسه لخدمة أمته ووطنه ولغته وثقافته.. وليس أدل على ذلك من مبادراته الجريئة وغير التقليدية في سبيل العروبة.

ومنها على سبيل المثال لا الحصر توجهه إلى فتح أفاق عمل المؤسسة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لتشمل منذ الدورة التاسعة سنة أربع وألفين ندوة عن الحوار الحضاري مع الغرب من أجل تمكين أسس التعايش السلمي وقبول الآخر.

وقد شهدت هذه الندوة على مدى ست نسخ متوالية تفاعلاً جاداً من المعنيين في الشرق والغرب وأصبحت أساساً أطلق من خلاله عبد العزيز البابطين سنة تسع عشرة وألفين المنتدى العالمي لثقافة السلام العادل الذي أصبح منبراً بارزاً للدفاع عن العروبة والمنافحة عن قضاياها العادلة على نحو ما شهدنا في النسخة الثالثة التي أقامتها مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية بالقاهرة قبل أيام قليلة.. وهي النسخة التي بادر إليها الراحل الكريم بنفسه وخططها وأعد لها غير أن إرادة الله عز وجل اقتضت أن يكون انعقادها بعد رحيله عنّا.

رحمك الله يا أبا سعود وأثابك عنا خير الثواب.

ورقة مقدمة في ندوة ذكرى عبدالعزيز البابطين بتنظيم من جمعية الأدب والأدباء ومركز سعود البابطين الثقافي



**نستقبل مشاركاتكم في
المجلة عبر البريد الإلكتروني**

literatureksa@gmail.com

عبدالعزیز البابطين.. وزارة ثقافة في كيان إنسان

للشعر، كما تشرفتُ السنةُ الماضيةُ بالوصولِ على جائزةِ المؤسسةِ التكريميةِ وهي كما تعلمون جائزة لا تخضع للتحكيم بل تعتمدُ آليَّةً خاصةً يشرف عليها رئيسُ المؤسسةِ الشاعر عبدالعزیز سعود البابطين بنفسه .



عبدالعزیز خوجه

لقد كان الشيخ عبدالعزیز البابطين وزارةً للثقافة لوحده، بل فاقت جهودهُ وزاراتٍ تقف وراءها دولٌ وتُسخرُ لها إمكاناتٌ ولكنها تفتقدُ رؤيته وتُنقصُها عزمُهُ، وقد علَّما التاريخُ أنَّ الرجلَ يكونُ أحياناً بألفٍ وأحياناً أخرى بأمةٍ كاملةٍ، وهكذا كان الشيخ عبدالعزیز البابطين. تعدَّدتْ أياديهِ وتنوعتْ خدماتُهُ للغةِ القرآنِ وأدائها:

ليس على الله بمُسْتَنَكِرٍ ...
أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ

بنى للشعراء دولةً وصنع لهم مجدًا وأعاد لهم اعتبارًا كادوا أن يفقدونه بعد أن تتالتِ الضرباتُ على جسدِ القصيدةِ الأصيليةِ. كما أعاد الشيخ مجدَ الشعرِ وفكَّرَ في هذا باكراً فمنذ خمسٍ وثلاثين سنةً أسَّسَ «مؤسسةَ عبدالعزیز سعود البابطين الثقافية» التي أطلقت إحدى أشهرِ الجوائزِ الشعريةِ في العالم العربي، والتي عرِّفتُ بمواهبٍ مغمورةٍ وكرَّمتُ

لقد أحسن القائمون على الندوة التكريمية للفقيه العزیز عبدالعزیز سعود البابطين حين عَنُونوها «عبدالعزیز البابطين رمز العطاء الثقافي والإنساني» فهذا الرجلُ أفنى حياته كلاً لرفع راية الثقافة والأدب والشعرِ وتعزيزِ قيمةِ اللغة العربية. في هذا المقال الذي تحفُّه أجنحةُ الثقافة، ويُفيضُ عليه الأدبُ فيوضاتِ الجمالِ والإبداعِ، يحوم حولي طيف الشيخ عبدالعزیز البابطين بابتسامته الودودة ووجهه السَّمح مبتهجاً وهو يسمعُ من وراء سُجُفِ الغيبِ السنةَ الحاضرِينَ تُردُّدُ: لا تخشُ ضيعةً ما تركتَ لنا سُدًى ...

فالوارثون لما تركتَ كثيرُ

فيطمئنُ أنَّ ما نذرَ له عمرُهُ حباً بالعربية وعشقا للشعرِ مستمرٌ بفضلِ المحبين وهم كثر. فما كان الإخلاصُ بذرته والشَّغفُ تُربته والحبُّ سقياه سينبتُ وتتفتحُ أوراقه وتنضجُ ثماره بإذن الله. ربطتني بالعزیزِ الراحلِ صداقةٌ بُنيت على التقديرِ المتبادلِ، وجمعتنا لقاءاتٌ عدَّة في مشارقِ الأرض ومغاربها، وقد أسهم الشيخُ عبدالعزیز عن طريقِ مؤسسته في تقليدي الميدالية الذهبية الشرفية للشعرِ بمدينة فيرونا الإيطالية في اليوم العالمي

وهو يحتفي بشعر الآخرين، فمن يقرأ دواوينه الثلاثة المطبوعة «بوح البوادي»، و«مسافر في القفار»، و«أغنيات الفيافي» يُعجب ويُعجب لتجربة شعرية لها فرادتها ومفرداتها اتخذت من البداية موطناً ومن قيمها دليلاً. عسى الآن وقد أفضى الشيخ الشاعر إلى ربه واكتملت تجربته أن يُضاء عليها كما هي جديرة به والبركة في جيل النقاد الذين كان لهم أيضاً داعماً.

قصة الشيخ عبدالعزيز هي ببساطة حكاية المال حين يكون في خدمة الثقافة، وكل ما نسمعه عن التنمية الثقافية المستدامة والاقتصاد الثقافي نجد مفاعيله التطبيقية فيما أنجزه الشيخ عبدالعزيز فكم من رجل أعمال انطوى ذكره بمجرد أن ووري التراب في حين يبقى ذكر الشيخ مستمراً بغرسه الذي كان والله المثل الأعلى «كززع أخرج شطاه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه» ولعل ما قام به الشيخ عبدالعزيز يحفز الميسورين على الاستثمار في قطاع الثقافة والأدب وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

رحم الله الشيخ عبدالعزيز سعود البابطين كفاء ما قَدَّمَ للشعراء والطلبة والمثقفين، وشَدَّ الله على يَدَي شقيقه الأكبر وراعي موهبته عاشق المخطوطات والنوادر الشيخ عبد اللطيف ومن معه من إخوانه وأسرته الكريمة.
إن قيلَ مَنْ للشَّعرِ يرفعُ مجده ...
ويُشيدُ ما ينهدُّ من أركانه
نَظَرَ القَصِيدُ إِلَيْكَ نظرةَ عاشقٍ ...
وأشارَ نحوكَ باسمًا ببنايه.

*وزير الثقافة والإعلام الأسبق

ورقة مقدمة من د. عبدالعزيز خوجة في ندوة خاصة بالراحل عبدالعزيز البابطين بتنظيم من جمعية الأدب والأدباء و مركز سعود البابطين الثقافي

تجارب مشهورة، ولأن ما كان الإخلاص رائده ينمو فتحت المؤسسة فروعا في دول كثيرة من العالم كلها تشير بيد الامتنان إلى الشخص الذي كان وراء هذا وبذل من ماله ووقته وتفكيره ليتحول الحلم واقعا والأمل حقيقة.

ولم يركن الشيخ عبدالعزيز إلى نجاح الجائزة واكتسابها مصداقية بل أطلق مشروع معاجم الشعراء من رئيسهم وحامل لوائهم امرئ القيس إلى المعاصرين وكم من شاعر مغمور انبعث كالعنقاء من ركام الجرائد القديمة والكتب العتيقة ليستوي مبدعا سويًا يجالس أرباب المعاني في ديوانية «معجم البابطين لشعراء العربية». وهو جهد ليس بالقليل ولكن:

لا يعرف الوجد إلا من يكابده ...

ولا الصبابة إلا من يعانيها

واهتماً الشيخ عبد العزيز البابطين لم يقتصر على إرساء دعائم دولة الشعراء فقط، بل كان ينظر بعين الرائي إلى المستقبل ويعلم يقيناً أن الأمم لا تقوم إلا على أساس من العلم متين، فأنشأ قبل خمسين سنةً بتمامها أي في سنة ١٩٧٤ بعثة سعود البابطين الكويتية للدراسات العليا، ولم يقصرها على أبناء بلده الكويت الحبيبة وهو حق مشروع فالأقربون أولى بالمعروف، بل سقى غيثها بلداناً عربية وإسلامية كثيرة وتخرج بفضل الله وبفضل تلك المنح آلاف من الطلبة يلهجون اليوم بما أتاحه لهم الشيخ عبدالعزيز من سبل المعرفة وتلك لعمري هي المصداق العملي لقول نبينا الحبيب (ص): «إذا مات ابن آدم انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» وقد جمع الشيخ عبدالعزيز بفعله هذا الثلاثة في واحد فهي صدقة جارية وعلم نافع وهم أولاده أنجبهم رحم الأب.

ولعلَّ الشيخ عبدالعزيز البابطين ظلَّ شاعريته



عبد العزيز البابطين.. الشعر والإنسان

أو يُكرِّه.

وقد ترجم هذا الحب بالأفعال والدعم السخي، فنهض بجهود لا تقوم بها كيانات، ونافس بمنجزات مؤسساته الثقافية ما تنجزه بعض الوزارات.

لا أدري أأتحدث عنه بصفتي أكاديمياً وناقداً، أم بصفتي جزءاً من أسرته وهو جزء من أسرتي، وتعلمون أن نصفه لعبوني أصيل، وهل ستغلبني موضوعيتي أم عاطفتي، لا بأس فلأطلق العنان للموضوعية والعاطفة معاً، فمؤداهما في النهاية واحد، فالموضوعية تقول إنه عراب الثقافة والأدب وشاعر التلقائية، وهذا ما تقوله العاطفة أيضاً.

وعوداً إلى شعره الذي عرفت فيه نفسه الإنساني منذ أهداني ديوانه الأول بوح البوادي منذ ثلاثين عاماً، وعشت معه تفاصيل كثيرة عرفت منها أنه عذب الروح طاهر القلب أصيل المعدن. ثم تأملت ديوانيه الأخيرين مسافر في القفار، وأغنيات الفيافي، وما حاد عن نهجه الأصيل، وسموه الراقي في مبانيه ومعانيه.



د. فواز اللعبون

رحم الله رجل البر والعطاء فقيد الأدب والثقافة الشيخ عبدالعزيز بن سعود البابطين -رحمه الله-، فطالما أقام المنتديات والملتقيات والندوات، وأحيا أسواق عكاظ لا سوق عكاظ واحد، ويسوغ لي أن أقول: في العصر الجاهلي سوق عكاظ، وفي العصر الحديث عبدالعزيز بن سعود البابطين.

هذا الرجل طالما غمرني بنبله وتحفيزه وأنا طالب على مقاعد الدراسة لا يابه بي أحد؛ إذ كان يدعوني للكثير من الملتقيات الدولية، ويفتح لي الآفاق، ويعرفني بالأدباء والمثقفين ويحتويني احتواء أب لابنه، ويعلم الله كم أدين له بالفضل، وكم أراني عاجزاً عن رد بعض فضله، وما هذا عليه بغريب، فقد حفز أدباء العالم العربي ومثقفيه كبارهم وصغارهم، وستظل آثاره وآلؤه حاضرة لا تغيب.

لقد أحب وطنه العربي الكبير، وأحب ثقافته العربية، وأحب لغته العربية محبة خاصة، وأحب الأدب العربي قديمه وحديثه، وأحب الأدباء والمثقفين وأحبوه، وكأنما خلقه الله ليحب ويحب، لا ليكره

وهذه أبرز معالم تجربته الشعورية:

وهذا يؤكد أنه على صلة قوية بالمرورث الشعري، وأنه حفظ منه الكثير في صباه، واختزنه في ذاكرته، ثم انعكس على شعره انعكاساً أنيقاً. والأُنْ أطوف بكم على بعض نصوصه الشعرية التي تؤكد ما سبق ذكرته عن ملامح تجربته الشعرية والفنية يقول:

عصارة القلب أهديها لمن صبرت
طول السنين تقضي العمر بالكمـد
أحببتها عمراً مازال يعصرني
وقد تبدد بين البين والجلد
رفيقة الدرب لو تدري عواذلنا
أنا بنينا المنى من غصه النكد
إذا لضاقت بهم دنياهم
وغدوا كمن اتلفت عيناه الرمد
مازلت أذكر يوماً يامودعتي
اشرت فيه بأن نبقي يدًا بيد
رفيقه الدرب لو استطيع ملهمتي
اقمت للشعر صرحاً منك يارغد
ليذكر العشق والعشاق كلهم
حباً كواه النوى في أمسه وغد

وقال:

اذكريني كل ما حن الفؤاد
وبدت بالأفق ذكري تطوف
واذا ماتعب القلب البعاد
وتواري قمري عند الخسوف
اذكريني عندما تبدو الغيوم
في سمائي وبها الطائر غرد
ليناجي خله فوق النجوم
مستثاراً هائماً للحب أنشد
اذكريني كلما هبت صبا
وسرت في ركبها روعي تطير

أصالة معدنه، واعتزازه بماضيه وبيئته، وها هي عناوين دواوينه تؤكد ذلك، إذ إنها كلها عناوين من بيئته العربية: بوح البوادي، مسافر في القفار، أغنيات الفيافي، وكان بمقدوره أن يجعلها بوح الجبال، ومسافر في التلال، وأغنيات الروابي، وهو حقا كان يجوب الجبال والتلال والروابي في مختلف أنحاء العالم، لكن عاطفته الأصيلة مرتبطة بنشأته وأصوله، ولذا باح للبوادي، وسافر في القفار، وغنى للفيافي.

ومن معالم تجربته الشعورية وفاءه الشديد لأحبابه، فلا تكاد تجد في دواوينه ما يدل على تنوع الأحباب، وكأنه يناجي حبيباً واحداً لا يعرف سواه، ولا يريد أن يعرف سواه. ومن معالم تجربته الشعورية أيضاً حبه العفيف، فلا تقع عينك في شعره على عاطفة جانحة، أو معنى مبتذل، أو أي شكل من أشكال التجاوز. ومن ذلك أيضاً طهارة روحه، فكل نصوصه تدل على قلب سليم، وروح نقية، لا حقد، ولا خصوم، ولا معارك. ومن ذلك أيضاً روحانية مضامينه، واتصاله بالله وهو يحوكمها، وفشو نزعة إيمانية في كل ما يسطره.

أما تجربته الفنية فيمكن أن أوجز معالمها في الآتي:

صدق تجربته الفنية، فهو لا يتكلف في شعره، والشعر يأتي منه بتلقائية محبة خارج من الروح إلى الورق مباشرة، وأصالته الشعرية، فهو معتد بقوالب الشعر العمودية، ولا يخرج عن أوزانها وأنظمة قوافيها.

وكذلك رومانسية رؤاه الشعرية مع متانة مفرداته وصياغاته، وهذا الامتزاج دليل على ثقافة أصالية وحديثة استطاع الشاعر المزج بينهما باقتدار. وما يميزه كثرة الاستحضارات التراثية في شعره،

لمعاني حيث حبي والصبأ
قد قضينا وطراً منه يسير

وقال في وداعه لنخلة في فرنسا:

يا نخلة في نيس حان فراقنا
هل نلتقي يا نخلتي وأعود
اجتر ماضي ذكرياتي في الهوى
ويضج في نفسي الأسى ويسود
وترددين نصيحة لك ما خبت
اصبر فما للصبر منك حدود

وقال:

كم ألف العذاب صميم قلبي
فقد سئم الفؤاد من العذابي
كلا الضدين مرا في دروباً
من الألم المعتق والسرابي
فلم ييأس فؤادي من وصلاً
وقد مل العذاب من الحرابي
وقد ضنت سنيني أن هجري
ينوخ بشاطئ دون الأيابي
ولم تدروا السنون بأن قلبي
تجلد للعقاب وللعتابي
فعذبت العذاب دروب عمري
وقد خر العذاب صريع مابي

إلى أن قال:

سأبقى والهوى صنوين حتى
يموت الحب أو يدنو ما أبي

وقال:

كأن فؤادي وهو ظمآن يرتجي
وصالاً من الأحباب ولت مرابعه

ولقياً يطوف القلب ولهان حولها
فتنقضوا من فرط الحنين مضاجعه

ونجوا كتغريد الطيور حسبتها
لقلبي شفاء لن تجف منابعه
ألا ليت شعري هل تعودن ليلة
فملنا بها وصلاً ووداً نشايعه
شربنا كؤوس الحب ريانة المونا
فما غنى نديب الليل شوقاً ينازعه
خليلياً لن أنسى على الدهر ودها
وجرح فؤاداً أحزنتنا مواجهه

ورثى نفسه يقول:

وغداً تأكلنا الأرض التي
قد غلبناها سنين والتي
بعد أن تكسر مني ألتني
فيضيع اللحن بالعمر الحزين
يا إلهي مرة هذه الدنا
تتعب القاصي وتدمي من دنا
أتواري العشق بعمر أمدنا
أم ترونا انثوينا في سكون
إنه الموت الذي ننتظروا
ثم يأتي بعدنا المنتظروا
وترى الحكمة في من نظروا
إنه اليوم الذي فيه اليقين

وأختم بـ

ما مات ما مات من عاشت مآثره
ما الميْتُ إلا الذي تحيا مخازيه
نعم دفنناه لما طاب مَعِدْنُهُ
قد يَدْفَنُ الذهبَ اللَّمَاعَ مُغْلِيهِ
ورقة مقدمة من د. فواز اللعبون في ندوة خاصة
بالراحل عبدالعزيز البابطين بتنظيم من جمعية الأدب
والأدباء و مركز سعود البابطين الثقافي

جمعية الأدب والأدباء في شهر يناير - فبراير - مارس



جمعية الأدب والأدباء تقيم ندوة ثقافية
بعنوان "من الإحباط إلى الرضا" مع
المستشار التدريبي محمد الخالدي



مجلس الجمعيات الأهلية يوافق على
حصول جمعية الأدب والأدباء العضوية
الكاملة (ب) بفرع المدينة المنورة



صالون خمائل الأدبي التابع لجمعية
الأدب والأدباء يقيم ندوة ثقافية بعنوان
"المسرح والأدب"



جمعية الأدب والأدباء تحضر
ورشة عمل من تنظيم البنك
الأهلي ومؤسسة الملك خالد
بعنوان "التوعية حول المراجعة
الداخلية للعاملين في المنظمات
غير الربحية



جمعية الأدب والأدباء ومركز
سعود البابطين ينظمان ندوة في
الرياض ترصد جهود الراحل
الكبير عبدالعزيز البابطين



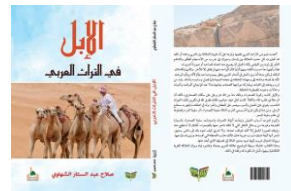
علي القحطاني مستشارا إعلاميا
لجمعية الأدب والأدباء



جمعية الأدب والأدباء توزع
أكثر من ١٠٠٠ مطوية
تعريفية عن الجمعية في
معرض القاهرة الدولي
للكتاب ٥٥



جمعية الأدب والأدباء تقيم
ندوة ثقافية تحت عنوان (علم
النفس في بحر الأدب) مع أ.د
طارق الحبيب في الرياض



بمناسبة موافقة مجلس
الوزراء على تسمية عام
٢٠٢٤ بعام الإبل لجمعية
الأدب والأدباء تصدر رابع
إصداراتها بعنوان "الإبل في
التراث العربي"



رئيس مجلس إدارة جمعية
الأدب والأدباء يشارك في
برنامج اللهم بك أصبحنا



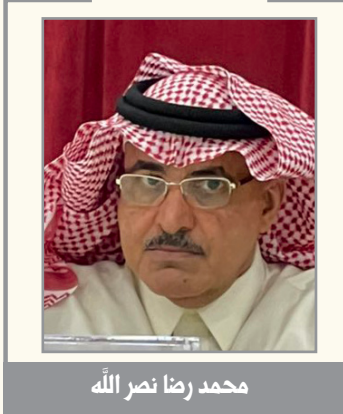
جمعية الأدب والأدباء أسست ٧
صالون ثقافية في جميع مدن
المملكة العربية السعودية



جمعية الأدب والأدباء تشارك
في مهرجان الكتاب والقراء
خميس مشيط

رأس المال الثقافي بين بيير بورديو وعبد العزيز البابطين!

رجل الأعمال السعودي عبد المقصود خوجة، والإماراتي سلطان العويس، والكويتية الدكتورة سعاد الصباح، والفلسطيني عبد المحسن القطان، والفلسطيني الآخر عبد الحميد شومان، عبر مجالسهم، ومطبوعاتهم الثقافية، وجوائزهم العلمية والأدبية. هؤلاء هم من يشملهم مصطلح «رأس المال الثقافي» الذي صكه بيير



محمد رضا نصر الله

بورديو عالم الاجتماع والمنظر الثقافي الفرنسي، على أنه «رأس مال رمزي» يحصل عليه الأفراد والنخب الثقافية أو المؤسسات، وهو مجموع القدرات والمواهب المتميزة للحائزين عليها من الأثرياء، بتفوقهم وحضورهم، إضافة إلى ما يحصلون عليه من مكاسب مادية، وبذلك يحظون بالمكانة الاجتماعية داخل الحقل الثقافي، وبهذا يحصلون على رأس مال اجتماعي، يتمثل في مدى تأثير الثري المحسن في المجال العام، وهو بهذا يحصل في نهاية المطاف على رأس مال رمزي، من شهادات وأوسمة وألقاب، نظير ما اقتطعه من رأس ماله المادي في دعم المشروعات التنموية المختلفة.

يقول بيير بورديو في آخر فصل من كتيبه «الرمز والسلطة» المعنون بـ «الرأس مال الرمزي والطبقات الاجتماعية»: «أن تكون نبيلاً معناه أن تبذر، محكوماً عليك بالرفه والبذخ، وقد احتد الميل إلى التبذير رداً على الارتقاء الاجتماعي للأثرياء الجدد... في قرون مضت، فما الذي يميز الفارس الأصيل عن حديث النعمة؟

الشاعر المصري الساخر محمود غنيم، حاول الترويح عن صديق له سرقت محفظته بقوله:

هوّن عليك وجفّف دمك الغالي
لا يجمع الله بين الشعر والمال.

أما زميله إبراهيم المازني الكاتب البائس ذائع الصيت، فقد اضطرته ظروف الفقر إلى بيع مكتبته -وهي أعز ما يملك الكاتب- وحينما ذهب

ذات يوم لشراء بعض الزيتون، فوجئ بأن الورقة الملفوفة به لم تكن سوى ورقة من أوراق أحد مؤلفاته!

هذا التبخيس لقيمة الثقافة والإبداع في العالم العربي، تقابله صورة نقيضة في مجتمعات أميركا وأوروبا، كشف عنها تقرير نشرته شركة «ويلث إكس» سنة ٢٠١٨، عن تتبع رؤوس الأموال في العالم، في تبرعات الخيرين من الأثرياء الذين تبلغ ثروة الواحد منهم ثلاثين مليون دولار، قد منحوا -وقتها- نحو ١٥٣ مليار دولار للأعمال الخيرية في العالم. ويؤكد التقرير أن ما قدمه هؤلاء الأثرياء يعادل إجمالي إنفاق الحكومة الفيدرالية الأميركية على الرعاية الصحية والتعليم والثقافة، بينما لم يتجاوز ما قدمه أثرياء منطقة الشرق الأوسط بما فيهم أثرياء العالم العربي ٥ في المائة من إجمالي تبرعات الأثرياء في العالم!

من هنا تكمن أهمية ما قدمه عبد العزيز البابطين من دعم للتعليم والثقافة والإبداع الشعري، قياساً على نظرائه من أثرياء العرب الخيرين، أمثال:



ذلك أن الثاني بخيل، أما الأول فهو نبيل؛ لأنه يصرف كل ما لديه بكامل الانشراح، وإن كان مثقلاً بالديون».

من هنا ندخل إلى سيرة عبد العزيز البابطين الذي قادته الحاجة إلى المال والترقي الاجتماعي نحو العمل أميناً لمكتبة مدرسة ثانوية الشويخ سنة ١٩٥٤، مدفوعاً بتعشقه الشعر النبطي، مقتدياً بأخيه الأكبر عبد اللطيف البابطين الذي ألف -وقتها- مختاراته (معجم شعراء النبط). هذا، وقد تمكن عبد العزيز من تنظيم وقته، بالعمل صباحاً في أمانة المكتبة، وعصراً بفتح دكان في حولي، وليلاً الدراسة النظامية، حتى حاز شهادة الثانوية العامة. وإذ تمكن من مراكمة رأسماله المادي، عبر حصوله على وكالات تجارية أجنبية، وجد نفسه يعود إلى عشقه القديم بقراءة الشعر العربي الفصيح، ونظم قصائده على النمط الخليلي.

ومنذ سنة ١٩٨٩ فاجأ

المجتمع الأدبي في العالم العربي بإطلاق «جائزة عبد العزيز البابطين للإبداع الشعري» في القاهرة، مستعيناً بعلاقات من أصبح أمينها العام (عبد العزيز السريع، وهو الكاتب المسرحي) بأدباء وشعراء العالم العربي؛ حيث وُزعت الجوائز على الفائزين بها لأول مرة في مايو (أيار) من عام ١٩٩٠، وكانت سنوية حتى عام ١٩٩٢؛ حيث رُفعت بعد ذلك العام إلى قيمتها الحالية وصارت تُمنح مرة واحدة كل سنتين.

وقد تطورت الجائزة إلى مؤسسة، وأصبح من أهدافها:

إقامة مسابقة عامة في الشعر العربي ونقده، مرة واحدة كل سنتين، ضمن دورات المؤسسة، وتكريم

المبدعين في هذه المجالات، وإصدار سلسلة «معاجم البابطين» لشعراء العربية المعاصرين والراجلين، وإصدار مطبوعات عن شعراء دورات المؤسسة بالتزامن مع إقامتها، تتضمن: دواوينهم وأعمالهم الإبداعية الأخرى، وأبحاثاً عن سيرهم وأدبهم، وإقامة ندوة أدبية مصاحبة للدورة عن شاعرها تتضمن أبحاثاً عن بعض قضايا الشعر ونقده، وأخرى لحوار الحضارات والثقافات والأديان، وإقامة ملتقيات شعرية نوعية مختلفة، ومنها ملتقى الشعر النبطي، وإنشاء مكتبة البابطين المركزية للشعر العربي والدراسات الأدبية والنقدية والتاريخية المتصلة بالشعر والشعراء، وإنشاء المكتبة السمعية للشعر العربي، من خلال تسجيلات

بعد لقاء أجراه البابطين مع المعهد العالمي للسلام. وقد تركزت كلمته حوله، مؤكداً على الدعوة إلى التعايش بين الشعوب، والحوار بين الحضارات، ودعم الروابط بين الثقافة والسلام مادياً ومعنوياً، بحضور مندوبي الدول في الأمم المتحدة، وممثلي الأوساط الأكاديمية والمجتمع المدني والقطاع الخاص.

وكذلك دُعي البابطين إلى التحدث في جامعة أكسفورد؛ حيث دعم فعالية ثقافية وأكاديمية في هذه الجامعة العريقة، بالتعاون مع الاتحاد الأوروبي ومنظمة «اليونيسكو»، أنقذ في إطار ذلك وقفية قديمة لتعليم اللغة العربية، كانت قائمة فيها منذ سنة ٦٣٦م في سياق دعمه السخي لبرامج تعليم اللغة العربية في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وأميركا والصين، وعدد من جمهوريات آسيا الوسطى، ولم يستثن جزر القمر النائية من هذه البرامج، بابتعاث مئات من الطلبة من تلك البلدان إلى تعلم اللغة العربية في بعض الجامعات العربية. هكذا استثمر عبد العزيز البابطين في الرأسمال الثقافي، فأصبح بفضل ذلك وسيطاً بين الدول بعدما كان بائعاً جوالاً! وذلك بإتقانه توجيه هذا الرأسمال في المجال العام، بوصفه محركاً يمنح الفرد قوة اجتماعية، واحتلاله موقع التأثير المعنوي؛ لا داخل المجتمعات العربية والإسلامية وحدها؛ بل والعالمية. لذلك حصل على رأسمال رمزي شغ بالأسومة والألقاب وشهادات الدكتوراه الفخرية، كاسراً بذلك تشاؤم الشاعر محمود غنيم، بجمع عبد العزيز البابطين الفريد بين الشعر والمال، وبين الرأسمال المادي والرأسمال الثقافي.

ورقة مقدمة من الأديب والإعلامي محمد رضا نصر الله في ندوة خاصة بالراحل عبدالعزيز البابطين بتنظيم من جمعية الأدب والأدباء و مركز سعود البابطين الثقافي

صوتية ومرئية لمختارات من قصائد شعراء العربية القدامى والمعاصرين، بأصوات فنانين وإذاعيين، والاتصال بأساتذة أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية، وأقسام الاستشراق في الجامعات الأجنبية، وإيجاد فرص للتعاون معهم فيما يهم الشعر العربي إبداعاً ونقداً ودرسا.

وبعد أحداث التفجير الأول لمركز التجارة العالمي في نيويورك سنة ١٩٩٣، تعرضت صورة الإسلام والعرب لهجمة شرسة من الدوائر السياسية والوسائل الإعلامية في أميركا وأوروبا. وجدنا عبد العزيز البابطين يوظف رأسماله المادي والاجتماعي والثقافي والرمزي توظيفاً ذكياً، بإنشاء مركز لحوار الحضارات سنة ١٩٩٤، عاملاً على إحياء نشاط ثقافي وشعري في قرطبة، برعاية الملك الإسباني خوان كارلوس في «دورة ابن زيدون» عشيق ولادة بنت المستكفي، الشاعرة الجميلة التي مكنت عاشقها من صحن خدها! مستثمراً هذه الدلالة الرمزية في التعايش العربي الإسباني، قبل حلول محاكم التفتيش الكنسية المظلمة والظالم، في تاريخ الحوار الحضاري بين العرب والغرب، وما تأتّى عنها من منع الصلاة في مسجد قرطبة. وأتذكر هنا حين قمنا بزيارته -وقتذاك- وكذلك قصر الحمراء الباهر بطرازه المعماري، كيف عمل عبد العزيز البابطين على تصحيح مفاهيم المرشدين السياحيين المضللة، بتعديل النظرة الغربية المعاصرة إلى الشخصية العربية، بإضافة البعد الثقافي العربي والإسلامي المغيب في الجنوب الأندلسي، على ألسنة المرشدين السياحيين.

ونظراً لما حققه البابطين من استثمار رأسماله المربع (المالي والاجتماعي والثقافي والرمزي) دعاه رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ميروسلاف لا شجاك في السابع من سبتمبر (أيلول) ٢٠١٧ إلى لقاء كلمة من على منبر الأمم المتحدة بنيويورك،



هشام أركيز

حديث الروح

إنني تركتك في روضتك الخالدة،
فلا تغادري خطاك كالقمر المسافر،
واقفتي أثري لحظة الوداع،
كي تنجو منك أجنحة الليل
هناك سمعت كل الأنباء كما هي في النجوم
فعدت وحيدا بلا وداع،
فأكتبني اسمك واسمي تحت نغمت الكواكب،
أو على أوراق الحياة ...
البعيدة عن عقب التاريخ

اسقي دمعتي هنيهة كي أرى مقلتي،
برياحين السماء الصافية،
اروي لأشجاني حكايات غرائب زمني...
في زمن حسان طروادة....
تحت موشحات موسيقى الخريف

قالت لي في دجى الليل
والقمر يسكنني: سئمت من سقف هذا الكون،
صمت البحيرة الراكدة يخيفني،

وتفاحة الوادي خطفت بسمتي،
وفي الصباح قلت لها: غيابك حجب القمر،
فبزغت أسطورتني كأحلام العمر،
ربما نسيت ما فاتك، فغاب أمني

بين موجات الحياة هتفت نفحات الحنين،
لم يعد سفري يقوى على طي المسافات،
قصائدي جعلت من كل المسافات نقطة واحدة،

بعدما رمت حروفها خارج المجاز...

لتصحو صحف اليوم من سباتها
ولتعلن أن ما سيأتي لم يعد مستحيلا
فكل الحروف بدأت تتساقط في الحين
بين دمعة زمني وأوراق تاريخي.

المغرب—كاتب وقاص صحفي

في لحظة غضب

غالية المطيري

لأحمل جاري إلى أقرب مستشفى.

وما أن استقرت حالته وفتح عينيه ,, سألته ما به ولكنه نظر إلي نظرة العاجز الكسير وصمت ورغم هدوءه إلا أنني أحسست بأنه يعيش معركة في داخله.

فالصمت معركة كبيرة في دواخلنا لا يمكن فهمها أو تحليل معانيها والكثير يرى فيه السلامة، ولكن الحقيقة أن الصمت، من أعظم أنواع الكبَد، التي يواجهها الإنسان، ولا يقدر على إتقان فنونه إلا النفوس الكبيرة.

لذلك ليس من الصواب أن نقول أثر الصمت ولكن الصواب أن نقول أثر أن يكون شجاعا ويخوض معركة الصمت.

لذلك نظرتُ لجاري نظرة الرحمة واقتربتُ منه وضممته إلي، وكأنه ينتظر تلك اللحظة فأجهش بالبكاء والنحيب وكان صوته ضعيفا متقطعا وهو يقول أتعرف من أنا؟؟

أنا فلان الفلاني وذكر لي اسم تاجر وثري من أكبر تجار مدينتنا وأعظمهم ثراء.

أبعدته ونظرتُ في عينيه، وعيناى تهتف به قبل لسانى ولما حالك هكذا؟

فأجابني لقد كنت فتى لا يعرف الحلال والحرام نشأتُ في نعم الله أتقلب فيها ذات اليمين وذات الشمال. كنت تاجراً منذ نعومة أظفاري أعلم كيف أحقق الأرباح وأغير الخسارة إلى نجاح، حتى أتى ذلك اليوم ويا ليتني هلكتُ قبله ثم زفر زفرة تُقطع نياط القلب وصمتَ ، وبين ذهولي وفضولي أقسمتُ عليه أن يكمل فقال أخشى إن أكملت، أنك لا

إنى أسكن في حي راق من أحياء مدينتي وأسعار الإيجار والتملك فيه غالية إلى حد ما، لذلك أثار استغرابي استجار شابٌ للمنزل الذي أمام منزلي وهيئته تدل على أنه من أصحاب الدُخُل المحدود، ولكنى تجاهلت الأمر أو بل الأحرى شغلتنى أمور الحياة والعمل عن ذلك المستأجر الغريب حتى كانت تلك الليلة التي حارب النوم فيها عيني فنهضت ووقفت في شرفة منزلي أتأمل سكون الليل ولسكون الليل وهدوئه نسيج من المشاعر المختلفة لا تعلم ، أهى مشاعر الطمأنينة أم الخوف؟! ولما الخوف؟

هكذا كنت أتساءل وأنا أقف في شرفة غرفتي وبحركة لا إرادية أغمضت عيني وفتحت ذراعى للفراغ أمامي

لا أعلم مغزى تلك الحركة ولكنى شعرت برغبة جامحة لفعلها.

لم يقطع مشاعري المتصارعة إلا صوت نحيب قطع سكون الليل، فاستعدت بالله من الشيطان الرجيم وأخذت أصغي جيداً لصوت ذلك النحيب الموجه حتى أهتدي لمصدره ولم أستغرق وقتاً طويلاً حتى وَجَدْتُ أن مصدره، هو جاري الغريب ذاك .

خَرَجْتُ مسرعاً إليه ومما زاد استغرابي أن بابه لم يكن موصداً كمن كان ينتظر أحداً. ووجدته منطرحاً لا يقدر على النهوض واقتربت منه فإذا هو محموم يرتجف جسده الهزيل من شدة وطئت الحمى اتصلت بمنزلي وطلبت منهم أن يحضروا لي دواءً خافضاً للحرارة وأن يجهز السائق سيارتي

مرقد فأصبحت كالنائحة الثكلى يقتلني شوقي له،
فصوته وضحكاته ما زالت ترن في وجداني.
فهل ينفعني الندم أو يطفئ وجعي جاهاً أو
مالاً؟!!

أنا يا جاري العزيز رجلٌ قتل فلذة كبده.
فهل لذنبي من توبة ولحزني من دواء؟!
عندها همهمت ببيت شعراً لأبي نواس
لَنْ تَرْجِعَ الْأَنْفُسُ عَنْ غِيَّهَا
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا لَهَا زَاجِرٌ

تستطيع أن تعيش بقيت أيامك إلا وأنت تدعو علي
بالويل والثبور.

وما زلتُ به حتى استطرِد في حديثه وقال:
دخلت المنزل بعد أن أمضيت الليل في حفلات
وذنوب وكعادتي ذهبت إلى غرفتي وإذا بطفلي
الصغير ذو الأربعة أعوام على السلم ينتظرني
بحبور، فأغضبني بتعلقه بي ودفعته من علو
فسقط على الأرض مُضَرَّجٌ بدمائه، ثم مضيت ونمت.
فلما أفقت من صباح الغد إذا بطفلي وحبيبي قد
فارق الحياة ومنذ ذلك اليوم لم يهنأ لي مطعم أو



حضور واسع من المثقفين والأدباء في حفل تكريم الأديب الأستاذ الدكتور حمد بن ناصر الدخيل



ملاك الأحمدى - مجلة أحد الثقافية



كرّمت جمعية الأدب والأدباء بالمدينة المنورة، وديوانية الذيب الثقافية بالرياض الدكتور حمد بن ناصر الدخيل (أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وعميد كلية اللغة العربية بالرياض سابقاً)، يوم الأربعاء ١٧ ربيع الآخر ١٤٤٥هـ (١ نوفمبر ٢٠٢٣م) في فندق مداريم كراون بالرياض.



وما وهى لك؛ لا عزمٌ، ولا جلدٌ
ولا تشكّيت ما أرهقتَهَن؟ ولا
تورّمت لك كفٌّ، أو وهى عضدٌ؟
بعد ذلك ألقى الأستاذ سعد بن عايض العتيبي
كلمة المشاركين تضمنت استدعاء بعض الذكريات
مع الشخصية المكرّمة، مشيداً برصانة مؤلفاته
وجودة تحقيقاته، بعدها ألقى الشاعر عبدالله بن
سليمان الدريهم رئيس اللجنة الثقافية بمحافظة
ثادق قصيدة عنوانها "فارس التحقيق"
طاب اللقاء بفارس التحقيق
وإمام أهل النشر والتوثيق
ولن له باعٌ بكل ثقافةٍ
ولديه معرفة بكل دقيقٍ
وإذا تصدر للحديث بمحفلٍ
بهر الجميع بروعة المنطوق
يامن رُزقت رجاحةً وفصاحةً
وبلغت شأوَ العالم ابن رشيق
والقارئون لكتّابكم شهدوا لكم
بالحفظ والإتقان والتنسيق

قدّم الحفل المذيع خالد الغانم من إذاعة الرياض،
وبدئ بآيات من القرآن الكريم، ثم ألقى رئيس
مجلس إدارة جمعية الأدب والأدباء الأستاذ حاتم بن
فهد الرويثي كلمة تضمنت التنويه بمكانة المحتفى
به علمياً وثقافياً، ثم قدّم الشكر نيابة عن أعضاء
مجلس إدارة الجمعية للشيخ حمود بن عبدالله
الذبيب وأبنائه الكرام على رعاية الحفل، وأعلن
أن الجمعية تمنح الدكتور حمد الدخيّل عضويتها
الشرفية، ثم ألقى الأستاذ أحمد بن حمود الذبيب
كلمة نيابة عن والده الشيخ حمود الذبيب صاحب
ديوانية الذبيب الثقافية ومالك فندق مداريم
تضمنت التهنية للمحتفى به لنيل هذا التكريم
المستحق، مشيداً بالشراكة مع جمعية الأدب والأدباء،
ثم ألقى الشاعر عدنان السيّد العوامي قصيدة
عنوانها "حامل الأنواء" جاءت في ٤٣ بيتاً، ومنها
قوله واصفاً المحتفى به:

تعيدُ مجدَ تراثٍ فرّ من يدنا
فكان يعتبُ فيه الوالد الولدُ
ها أنتَ تحفرُ في أخفى خزائنه



حي الرجال بما تكن صدورهم
طلعت علينا بالبشاشة مسرعه
فتسابقوا والكل منهم سيد
والكل يستبق الجميل ليجمعه
أما الدخيل فذاك رمز وحده
قد جالس الأدب الرفيع فأسمعه
حمد الذي حمد البيان فعالة
قد كان كنز العلم دوماً مطمعه
فهو المبرد قد تنقل بيننا
يبني من الإبداع حصناً رفقه
شيخ على الصهوات من آدابه
جمحت به لذرى تنادي أروعه
بعد ذلك بدأت الندوة العلمية عن الشخصية
المكرمة، وأدارها الأستاذ أحمد المخيدش الشمري
وشارك فيها كل من: د. محمد بن عبدالرحمن
الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية سابقاً، والدكتور سعد بن سعيد الرفاعي
الناقد المعروف، والدكتور سحر بنت عبدالرحمن

بزهيد شعري قد أتيت مشاركا
مع كل ذي أدب وكل صديق
كمحاول بالقول يذكر فضلكم
عمّا لكم من قيمة وحقوق
ولئن عييت بمدحكم فلطالما
حُرم اللسان بلاغة التعليق
وأبو رياض فوق ما أنا قائل
حتى ولو أبدعت في التنميق
وبكل حال أنت في أفق النهى
كطويق في إطلالة وسموق
ولأجل ذلك تستحق صراحة
في أن تسمى فارس التحقيق
بعد ذلك ألقى المحتفى به الدكتور حمد بن
ناصر الدخيل كلمة شكر فيها جمعية الأدب والأدباء
وديوانية الذيب على تنظيم هذا الحفل، كما شكر
جميع من شارك في الكتاب التذكاري "عاشق التراث
وفارس التحقيق" ببحث أو مقال أو قصيدة، بعدها
ألقى الشاعر صالح العمري قصيدة منها قوله:

-١-

بدأ الاهتمام بجمع شعر القبائل العربية وتخصيص دواوين لشعر كل قبيلة على حدة في وقت مبكر من عصور تدوين الشعر وجمعه من رواة الشعر بل والرحلة إلى مضارب العرب لرواية الشعر وتدوينه^(١).

ومن ذلك شعر هذيل وتميم وجهينة وباهلة وتغلب وبني أسد ومزينة وغيرهم من القبائل حتى عدّ الأمدي ستين ديواناً، وذكر النديم أن (السكري جمع سبعة وعشرين ديواناً، ومن تلك الدواوين أو المجاميع الشعرية ديوان شعر قبيلة بني حنيفة لكن بعض تلك المجاميع قد فقدت فلم يعثر عليها حتى الآن، ومن هنا دعا المعنيون بجمع الشعر العربي إلى جمع وتوثيق شعر بعض شعراء بني حنيفة فأخرجت لنا الدكتورة عاتكة الخرجي ديوان (العباس بن الأحنف الحنفي)^(٢) وجمع د.حاتم صالح الضامن شعر (بكر بن نطاح الحنفي)^(٣)، وأخرج الدكتور الطيب العشاش (أخبار حمزه بن بيض وأشعاره)^(٤)، وجمع الدكتور محمود أبو الخير (ديوان حروب الردة)^(٥) وفيه الكثير من أشعار شعراء بني حنيفة.

وأخرج لنا الدكتور حمد الدخيل ثلاثة دواوين لبني حنيفة وتبنى جمع شعر القبيلة في موسوعة شعرية شاملة وهذه الموسوعة التي أنجز الدخيل بعضها واستمر في العمل على إكمالها وفق منهج علمي دقيق هو ما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عنه وتتبع مساراته ومنهجيته.

-٢-

لأقسام الأدب في الجامعات السعودية نشاط كبير في جمع شعر القبائل، ويعدّ الدكتور عبدالعزيز الفيصل من أوائل المعنيين بجمع شعر القبائل

الدوسري عضو هيئة التدريس بجامعة الأمير سطام بالخرج، وفيها سلّط الباحثون الثلاثة الضوء على إنتاج المحتفى به العلمي، وحلّوا جوانب كثيرة من الزوايا التي تفرد بها في البحث العلمي وفي تحقيق التراث، وعقب الندوة شارك الأستاذ محمد الجلواح، والدكتور فيصل السويدي بمدخلتين، ثم كرّمت الجمعية والديوانية المشاركين في الحفل بشهادات شكر وتقدير، ثم دُشن الكتاب التذكاري "عاشق التراث وفارس التحقيق: حمد بن ناصر الدخيل"، ثم تناول الجميع طعام العشاء، والتقطت الصور التذكارية.

يذكر أن الدكتور حمد الدخيل له أكثر من ثلاثين كتاباً مطبوعاً، وكرّمته وزارة الثقافة والإعلام عام ٢٠١٦م بوصفه من أبرز محققي التراث.

حضر الحفل عدد من زملاء المحتفى به ومن أصدقائه ومحبيه، أبرزهم: د.ناصر بن سعد الرشيد، ود.عائض الرّدادي، والأستاذ محمد بن عبدالله الحمدان، ود.تركي بن سهو العتيبي، ود.حسن بن حجاب الحازمي، ود.إبراهيم التركي، ود.عبدالله ثقفان، ود.عبدالله لطيف الحميد، ود.محمد المشوّح، ود.نايف رشدان، ود.صالح العليوي، ود.سليمان العيوني، ود.ناصر الخنين، ود.علي جمّاح، ود.إبراهيم المزيني، والأستاذ عبدالعزيز الحسين، والشاعر حمد العسوس، والشاعر سعد الغريبي، والأستاذ أيمن ذو الغنى، والأستاذ إبراهيم التويم، وغيرهم.

ويسرني أن أضع بين يديكم الأوراق المشاركة عن الشخصية المكرّمة :

موسوعة شعر قبيلة بني حنيفة

للدكتور حمد بن ناصر الدخيل

(تعريف ونقد)

د.محمد بن عبدالرحمن الربيع
رئيس النادي الأدبي بالرياض سابقاً

التراثية وجمع ما تفرق من أشعار بعض الشعراء الذين فقدت دواوينهم أو لم تصنع لهم دواوين من قبل، ومن أعماله في هذا الميدان:

١. شعر عبدالله بن أيوب التيمي، وقد صدر عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة عام (١٤٢٢هـ).

- من شعراء اليمامة المغمورين: عبدالله السلولي: حياته وأخباره وما بقى من شعره، ونشر في مجلة العرب على حلقتين.

- رسالة للمطرزي بعنوان (فسر المولى وحصر معانيه) وقد نشرها في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤١٠هـ)، ثم نشرها في كتاب مستقل عام (١٤١٢هـ).

- رسالة لأبي أحمد العسكري بعنوان (التفضيل بين بلاغة العرب والعجم)، وقد نشرها نادي القصيم الأدبي عام (١٤١٨هـ).

- شعر نصيب الأصغر اليمامي: نشر في مجلة العرب في حلقات.

- من شواعر اليمامة المغمورات: الحبناء بنت نصيب الأصغر نشر في مجلة العرب.

وأصدر عن شعراء وشواعر بني حنيفة ثلاثة كتب هي:

- شعر حمزة بن بيض الحنفي.

- شعر يحيى بن طالب الحنفي.

- شعر شواعر بني حنيفة في الجاهلية والإسلام. وسيأتي الحديث عن الكتب الثلاثة مفصلاً في هذه الدراسة المخصصة لجهود الدكتور الدخيل في جمع وتحقيق شعر قبيلة بني حنيفة.

-٤-

بدأ اهتمام الدكتور حمد الدخيل بشعر بني حنيفة قبل ثلاثين عاماً حيث نشر بحثاً في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام

فكانت رسالته لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر جمعاً ودراسة لشعر (بني قشير)، ثم استمر في هذا الاتجاه فجمع ودرس شعر بني عقيل وبني عامر وشعر عبس فهو من رواد جمع الشعر القديم. وأذكر هنا نموذجاً من جمع شعر القبائل من خلال رسائل الماجستير والدكتوراة المقدمة لقسم الأدب بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام^(٦)، ومن ذلك:

- شعر طي في العصر الجاهلي لرشيد بن فهد العمرو.

- شعر قبيلة مذحج لمحمد بن عبدالله منور.

- شعر باهلة لراشد بن سعد القير.

- شعر كنانة لفهد بن صالح الجربوع.

- شعر ذبيان لعلي ناصر جماح.

- شعر بني عمرو بن تميم لعبدالعزیز بن محمد العبدالله.

- شعر بني سعد بن زيد مناة بن تميم لأحمد بن محمد اليحيى.

- شعر بني مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم لعبدالرحمن بن سليمان السعيد.

ورسائل أخرى كثيرة في الجامعات السعودية والعربية.

-٣-

تمرس الدكتور الدخيل في مجال تحقيق التراث عندما سجّل رسالة الدكتوراة في تحقيق نص من أصعب النصوص اللغوية والأدبية، وهو (شرح مقامات الحريري للمطرزي) فكان ذلك دافعاً له إلى التعمق واستيعاب أهم المصادر التراثية فرجع إلى المئات منها لشرح كلمة أو تحقيق أبيات أو الترجمة لشاعر فأنجز الشرح الكبير في أربعة مجلدات لما تنشر حتى الآن.

ثم اتجه بعد ذلك إلى تحقيق عدد من النصوص



(الحنفي) وقد صدر عن عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام (١٤٢١هـ) ويقع في (١٩٠) صفحة، ويتكون من قسمين: القسم الأول الدراسة حيث قدم المؤلف دراسة وافية عن موطن الشاعر وقبيلته وحياته وشخصيته ومصادر شعره ثم دراسة موضوعية وفنية لشعره، أما القسم الثاني فهو مخصص لجمع شعره وتوثيقه، ثم مجموعة من الفهارس الفنية.

والكتاب الثالث بعنوان (شعر شواعر بني حنيفة في الجاهلية والإسلام) جمعاً وتحقيقاً ودراسة ويقع في (١١٨) صفحة، وصدر في الرياض عام (١٤٢٣هـ)، ويتكون الكتاب من قسمين: الأول: الدراسة، والثاني: الشعر المجموع.

وكان الدكتور الدخيل قد نشر هذا المجموع في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام

(١٤١٤هـ / العدد العاشر) بعنوان (شعر حمزة بن بيض الحنفي)، ثم طوّر ذلك البحث وزاد عليه وطبعه في كتاب بعنوان (حمزة بن بيض الحنفي: حياته وشعره) عام ١٤١٨هـ ونشره النادي الأدبي بالرياض، ثم أعاد نشره بعد أن زاد عليه واستدرك الكثير مما فاتته وأصدر الطبعة الثانية عام (١٤٣٣هـ) في (٣٩٢) صفحة عن دار صادر في بيروت.

ويتكون الكتاب من قسمين: القسم الأول: الدراسة وجاءت في ثلاثة فصول هي: الأول: قبيلته وموطنه، والثاني حياته، والثالث: الدراسة الموضوعية والفنية لشعره، أما القسم الثاني: فكان خاصاً بما جمعه من شعر حمزة موثقاً توثيقاً علمياً دقيقاً، ثم ختم الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية.

أما الكتاب الثاني فهو بعنوان (يحيى بن طالب



يغفل عن مشروعه الكبير فقال في المقدمة: "يمثل هذا المجموع حلقة من حلقات اهتمامي بشعر بني حنيفة جمعاً وتحقيقاً وشرحاً ودراسة" (٨).

ومضى عشرون عاماً بعد ذلك لم يصدر الدكتور الدخيل أعمالاً أخرى لشعراء بني حنيفة، وعندما سألتها عما تم في الموسوعة أجابني بخطاب قال فيه: "عدد الشعراء الذين وجدت لهم شعراً في مصادر التراث تسعون شاعراً وشاعرة منهم ستة عشر شاعراً مجهولاً عرفتهم باسم الحنفي نسباً لا مذهباً. ثم قال: بلغ عدد الأبيات أربعمائة وستين بيتاً". ولم يوضح الدخيل هل هذا العدد من الأبيات شامل لما جمعه سابقاً في كتبه الثلاثة أم زيادة عليها ؟

ويؤكد الدخيل في تلك الرسالة أن شعر بني حنيفة قليل، وهذا ما سأناقشه في الفقرة التالية من هذا البحث.

(١٤٢١هـ)، العدد الثاني والثلاثون.

هذا تعريف موجز بالكتب الثلاثة التي أصدرها الدكتور الدخيل عن شعراء وشواعر بني حنيفة.

-٥-

بعد أن جمع الدخيل شعر (حمزة بن بيض) و(يحيى بن طالب) بدأ يخطط لما هو أشمل، وهو جمع شعر بني حنيفة في الجاهلية والإسلام؛ ولذلك نجده يقول في مقدمة كتابه (يحيى بن طالب الحنفي): "والنية منعقدة - إن شاء الله - على جمع شعر بني حنيفة وتحقيقه وضبطه وشرحه ليكون بين يدي الدارسين، وآمل أن أوفق إلى ذلك قريباً؛ لأنه جزء مهم من أدب هذه البلاد التي تعد المهد الأول للعربية والأدب العربي شعراً ونثراً" (٩).

لم يتوقف الدخيل عند إصدار الكتابين، بل أصدر عام (١٤٢٣هـ) أي بعد أربع سنوات من إعلانه عن المشروع كتاب (شعر شواعر بني حنيفة)، ولم

وشدة بأسهم وكثرة وقائعهم وحسد العرب لهم على ديارهم وتخوفهم وسط أعدائهم حتى كأنهم يعدلون بكرأكلها ومع ذلك لم نر قبيلة قط أقلّ شعر منهم".

وقد علق الدخيل على قول الجاحظ قائلاً: "لم يعلل الجاحظ سبب قلة الشعر فيهم"، فالدخيل يتبنى رأي الجاحظ لكنه ينتقد الجاحظ؛ لأنه لم يعلل لتلك القلة فأراد هو أن يبحث عن العلة؟ فقال: أرى أن السبب تحضرهم واستقرارهم وممارستهم حياة الحضر، فنفهم مما تقدم أمرين:

الأول: قلة شعر بني حنيفة.

الثاني: أن السبب هو التحضر.

وهنا نقف أمام الرأي الجازم لقلة شعر بني حنيفة، وهنا تأتي مجموعة التساؤلات التي طرحناها آنفاً وكان على الدخيل أن يتأمل فيها وهي ليست بعيدة عن ذهنه؛ لأن اجتهد وغاص في المصادر والمراجع التي تعرضت لشعر قبيلة بني حنيفة، أما أن السبب الوحيد لقلة الشعر هو تحضر القبيلة فأمر غير مسلم به وكأن البداوة هي معين الشعر ومنبعه، والمتتبع لحركة الشعر العربي على مرّ العصور يجد أن هذا الحكم غير دقيق فهل دالت دولة الشعر العربي حينما تحضر العرب وانتقل أكثرهم من حياة البداوة إلى نعيم الحضارة في العصر العباسي والأندلسي مثلاً؟ وهل شعراء البادية أكثر من شعراء الحاضرة في تلك العصور؟ نعم لشعر البادية سمات وخصائص لغوية، ولشعر الحاضرة سمات وخصائص لغوية أخرى.

وعوداً على بدء للحديث عن الجزم بقلة شعر بني حنيفة لنعيد التأمل في التساؤلات السابقة فربما يكون لشعراء القبيلة شعر في فترة (الردة) وقد تجاهله الرواة والمدونون خجلاً مما فيه، وهذه القضية لها مثيل في اختفاء شعر القرشيين الذين كانوا يقاومون الإسلام ويهجون الرسول الكريم

-٦-

وبعد أن عرّفنا بالموسوعة وما أنجز منها ننتقل إلى مناقشة لبعض القضايا التي لا بد من استكشافها ومعرفة موقف الدكتور حمد منها في ضوء ما دونه فيما أنجز من الموسوعة، ومن تلك التساؤلات:

- ما جزم به من أن شعر بني حنيفة قليل؟
- ما تبناه من قول بأن شعر الحاضرة (عرب المدر) أقل بكثير من شعر البادية (أهل الوبر)؟
- ما الحدود الزمانية للموسوعة؟ وهل ستنتهي بشعراء الدولة الأموية ولن تتجاوز ذلك إلى شعراء بني حنيفة في عصر العباسيين وما بعده؟
- ما الحدود المكانية للموسوعة؟ هل ستكون خاصة بمن ولد وعاش في ديار بني حنيفة وإن انتقل بعد ذلك إلى مناطق أخرى؟ أما ستشمل الشعراء الحنفيين وإن ولدوا وعاشوا بعيداً عن ديار بني حنيفة؟
- ما الموقف من شعر المرتدين من بني حنيفة؟ هل له وجود؟ ما موقعه من الموسوعة؟
- هل ستكون الموسوعة مقصورة على الجمع والتوثيق، أم ستشتمل على دراسات لغوية وفنية وتاريخية لذلك الشعر المجموع؟
- تلك التساؤلات سأتناولها بالشرح والتحليل المختصر وأنا على يقين أن الإجابة عليها حاضرة في ذهن الدكتور الدخيل لكنني أردت إثارة حب البحث والتقصي عنده لنظفر بإجابات سديدة دقيقة كما عودنا في نتاجه العلمي المتصف بالعمق ودقة الأحكام واستقصاء القضايا موضع البحث.

-٧-

تبنى الدكتور الدخيل رأي الجاحظ في أن شعر بني حنيفة قليل، يقول الجاحظ في كتاب (الحيوان ج ٤ / ٣٨٠) كما نقله الدخيل في كتابه (حمزة بن بيض ص ٢٩): "وبنو حنيفة مع كثرة عددهم

تدل على علو كعبه في مجال نقد النصوص وتحليلها والاستنباط منها.

٥. تأثر كثيراً بأساليب كبار المحققين العرب كمحمود شاكر وعبد السلام هارون ورمضان عبد التواب في صناعة فهارس كثيرة للنصوص فقد صنع لكتابه عن (حمزة بن بيض) تسعة فهارس هي فهارس الآيات القرآنية والشعر والأمثال واللغة والألفاظ المشروحة في الحاشية وفهرس الأعلام وفهرس القبائل والأمم والطوائف وفهرس البلدان والمواضع وأخيراً فهرس المصادر والمراجع.

-٩-

وحتى تُبنى (الموسوعة) بناءً محكماً فإنني أقترح على الدكتور الدخيل خطوات معينة ليست غائبة عنه ولا خافية عليه، ولكن من باب التنظيم والترتيب للموسوعة وهي:

١. تحديد الإطار الزمني للموسوعة وليكن لشعراء بني حنيفة في الجاهلية والإسلام إلى نهاية العصر الأموي.

٢. تحديد الإطار المكاني وهو من ولد في ديار بني حنيفة باليمامة وإن هاجر بعد ذلك وعاش في مناطق أخرى.

٣. تشتمل الموسوعة على شعر الشعراء الذين ينطبق عليهم شرط الزمان والمكان، ويدخل من ضمنهم من سبق أن أصدر عنه الدخيل كتباً مفردة وبذلك تشتمل الموسوعة على كتبه الثلاثة مع إعادة البناء والترتيب.

٤. يُرتب الشعر المجموع في ديوان القبيلة الجديد حسب القوافي.

٥. يُترجم لكل شاعر منهم ترجمة مختصرة.

٦. يُكتب للموسوعة فصول تمهيدية عن تاريخ بني حنيفة في العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي

والصحابية الكرام فكان أن اختفى ذلك الشعر بعد الدخول في الإسلام، ومثل ذلك ينطبق بنسبة أقل على الشعراء (الخوارج) من بني حنيفة.

ولعل الدقة في الحكم تقتضي أن يقال إن ما عُرف _حتى الآن_ من شعر بني حنيفة قليل وقليل جداً ولا يعبر عن قبيلة من أكبر القبائل العربية وبخاصة في العصر الجاهلي والعصور الإسلامية المبكرة.

-٨-

الدكتور الدخيل متمكن مبرز في مجال التراث تحقيقاً وجمعاً وتوثيقاً ودراسة كما أشرنا إلى ذلك ففي مجال تحقيق النصوص فقد بدأ العمل فيها في مرحلة الدكتوراه حيث أبدع وأجاد في تحقيق نص تراثي صعب الألفاظ كثير الشواهد حافل بالتراجم فكانت هذه التجربة الصعبة قد أهلت له ليكون من أفضل وأدق المحققين والجامعين للتراث من السعوديين؛ ولذلك نجده قد ارتقى مرتقى صعباً في كل ما نشره من تراث الأقدمين ومن دلائل ذلك:

١. الاستقصاء الدقيق للنص الذي يقوم على تحقيقه فلا يترك كتاباً يظن أن النص قد ورد فيه إلا رجع إليه؛ ولذلك لا نستغرب أن يحقق نصاً صغيراً لكنه يستند إلى قائمة مصادر ومراجع كثيرة جداً.

٢. الحرص على إيراد مختلف الروايات للنص، بل إنه قد يرجع إلى أكثر من طبعة لكتاب واحد كما يتضح ذلك من رجوعه لأكثر من نشرة لكتاب الأغاني.

٣. لا يكتفي في تحقيقاته بإيراد الروايات والاختلافات في قراءة النص، بل يستخدم ثقافته التراثية وفهمه العميق للنصوص في ترجيح رواية على أخرى فهو ليس جماعاً فقط بل هو محقق مدقق.

٤. دراساته للنصوص التي حققها أو جمعها ووثقها



الدخيل بين حنفيين د. سعد بن سعيد الرفاعي

مقدمة:

لا تخفى حاجة البحث الجاد إلى بذل الجهد وإعمال الفكر وإخلاص العمل تجويداً له، وتغظم هذه الحاجة في الموضوعات البكر التي تقوم على اختراع معدوم، منطلقاً الباحث إلى جمع شواهد وشوارد فكرته التي تفرقت في أمهات المصادر والمطان، وأحسب أن أستاذنا الدكتور حمد بن ناصر الدخيل أحد الباحثين الجادين المخلصين، المنتمي لثقافته ومجتمعه ومنطقته الجغرافية، لذلك انطلق باحثاً وراصداً لشعر شعراء بني حنيفة عبر أكثر من بحث وأكثر من اسم، بدأها ببحثه عن حمزة بن بيض الحنفي الذي نشره لأول مرة في مجلة جامعة

(زمن الموسوعة) وعن أماكن إقامتها وعن أشهر رجالاتها.

٧. يمكن أن يختم الجمع بدراسة لغوية وأدبية عن شعر القبيلة المجموع على أن تكون الدراسة مختصرة ويترك للباحثين أن يقيموا دراسات لغوية وأدبية مفصلة على ديوان القبيلة المجموع. ٨. تختم الموسوعة بالفهارس الفنية اللازمة.

وأخيراً أختتم هذا البحث بما قلته عن أخي وزميلي الدكتور الدخيل في الكلمة التكريمية عنه في اثنيينية الأستاذ عبدالمقصود خوجة بجدة عام (١٤٣٦هـ) حيث قلت عنه: "حمد الدخيل قرأ التراث العربي بنهم وتعمق في أسرارهِ وعرف مصادره ومطانه، ثم اتجه إلى تحقيق ونشر عدد من نوادرهِ، ثم ركز جهده على شعراء اليمامة فكان السابق المجلي في هذا المجال".



دراستيه الخاصتين بالشاعرين الحنفيين: حمزة بن بيض ويحيى بن طالب، ومحاولة تلمس أوجه الاتفاق والافتراق بينهما عبر الجوانب التالية:

أولاً: المقدمة:

تعد المقدمة عتبة مهمة لأي دراسة؛ لكونها تعبر عن وجهة نظر الباحث في تناول دراسته وطريقة عمله، وقد قدم الدخيل لدراسته عن حمزة بن بيض بكون شعره لم يجمع، وعدم نهوض الدارسين بهذا الأمر، وأعاد الأسباب التي دفعته للدراسة إلى ثلاثة أسباب:

(١) سبب تاريخي جغرافي لكونه ينتسب لهذه البلاد ولقبيلة بني حنيفة الوائلية التي تقطن الديار التي يخترقها وادي حنيفة، وهي المنطقة التي ينتمي لها الدكتور الدخيل.

الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، ثم طبعه موسعاً عبر نادي الرياض الأدبي عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، وأعاد طباعته ثانية عام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م، ثم بحثه عن الشاعر يحيى بن طالب الحنفي الذي طبعته ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، كما أصدر كتاباً ثالثاً يندرج ضمن اهتمامه بشعر بني حنيفة، وهو كتاب شعر شواعر بني حنيفة في الجاهلية والإسلام عام ١٤٢٣هـ، كما يعمل الدكتور الدخيل على مشروع علمي كبير لجمع شعر (بني حنيفة) وتوثيقه، وبلغ عدد الشعراء الذين جمع شعرهم ستين شاعراً من بني حنيفة، وهو جهد جبار وعمل جليل أرجو أن يرى النور قريباً^(٩). لكل ما سبق؛ فإن هذه الدراسة ستنتقل لتلمس جهود الدكتور حمد الدخيل من خلال عمله في

(٢) سبب لغوي؛ لكون حمزة ينتسب لعصر

الاستشهاد.

(٣) سبب أدبي؛ يعود لإغفال شعره من قبل الباحثين والدارسين، مؤكداً بصدق وروح علمية متواضعة في نهاية مقدمته أنه برغم الجهد المضني الذي بذله في البحث عن شعره في المصادر والمطان فإنه على يقين بوجود شعر له لم يتمكن من الوصول إليه^(١٠)، ولم تختلف مقدمته التي قدمها في كتابه المطبوع كثيراً إذ أضاف لها تعريفاً بحمزة وإشارة إلى ما سبق نشره في مجلة الجامعة عنه^(١١).

في حين انطلق في مقدمته عن يحيى بن طالب الحنفي بعد التعريف به وبموطنه ليشير إلى عمله في دراسة حمزة بن بيض الذي طبعه وأنهما من قبيلة واحدة، لكنه أكد استقلال دراسته عن يحيى عن الدراسة السابقة دون أن يوظف شيئاً من المعلومات التي اشتمل عليها كتاب حمزة، بل حرص على تقديم معلومات جديدة عن قبيلة بني حنيفة لاستحقاقها ذلك مؤكداً في الوقت نفسه أنها تستحق مساحات أخرى للحديث عنها، ثم انطلق لبيان عمله في دراسته عن يحيى ومنهجه ومصادره التي اعتمد عليها مؤكداً العزم على مواصلة البحث في شعر شواعر قبيلة بني حنيفة مستقبلاً^(١٢) والمقدمتان في الكتابين وإن اختلفتا؛ فهما تتناغمان وتتكاملان لتعبرا عن الروح العلمية المتواضعة للدكتور حمد، وعن الجهد الصادق وجدية الباحث، كما تعبران عن انتمائه للمنطقة وراثتها وعزمه على مواصلة السير في هذا الطريق، كما تتفقان على عدم تصريح الباحث باسم المنهج الذي اتبعه في الدراسة وإن كان قد تحدث عن طريقة عمله في كليهما، والمقدمتان تفترقان في توسع الأولى في الحديث عن الدوافع والأسباب المحفزة للدراسة؛ في حين أوجزت الثانية وكأنما اكتفت بما ذكر في مقدمة دراسة حمزة بن

بيض .

ولم يتحدث الباحث الدخيل عن تقسيم دراسته المنشورة في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود عن حمزة بن بيض، فيما استدرك ذلك في الكتاب الصادر عن نادي الرياض الأدبي، وقسم الدراسة إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: خصصه لدراسة حياته وشعره، واشتمل على تمهيد وفصلين، تضمن التمهيد الحديث عن قبيلة بني حنيفة مستعرضاً شيئاً من تاريخها وفسانها وشعرائها، ثم عرج بالحديث إلى الكوفة بمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والثقافية في عصره، وتضمن الفصل الأول نسبه ونشأته وصفته وأخلاقه وصلته برجال عصره، وخصص الفصل الثاني لدراسة شعره دراسة أدبية.

القسم الثاني: اشتمل على ما جمعه من شعره^(١٣).

كما تحدث في دراسته عن يحيى بن طالب عن تقسيمها إلى قسمين:

القسم الأول: تطرق إلى قبيلته وموطنه وحياته ودراسة شعره دراسة موضوعية فنية.

القسم الثاني: وخصصه لما جمعه من شعره^(١٤).

فيما جاء حديث الباحث الدخيل عن نسب حمزة موجزاً في الدراسة الأولى تحت عنوان حياته ونسبه^(١٥)، ثم توسع في الحديث عنه في الكتاب وأورد أسماء عديدة لبني حنيفة من صحابة وتابعين وفرسان وشعراء تحت عنوان (بنو حنيفة)^(١٦)، وجاء حديثه في دراسته عن يحيى بن طالب ملتزماً بما أورده في مقدمته؛ فتحدث عن قبيلة بني حنيفة حديثاً مسهباً تجاوز فيه الحديث عن أعلامها، واتجه للحديث عن نسب بني حنيفة وهجراتها وتفرعاتها ومنازلها تحت عنوان (قبيلته)^(١٧).

وعند حديث الدكتور الدخيل عن موطن الشاعرين لم يختص موطن الشاعر حمزة بن بيض بعنوان مستقل في دراسته الأولية، ولكنه استدرك ذلك

في الطبعة الثانية، واختص موطنه الكوفة بأربع صفحات تحدث فيها عن الكوفة^(١٨)، وفعل الشيء نفسه مع يحيى بن طالب عند الحديث عن موطنه اليمامة، وعرج بالحديث إلى إقليم اليمامة ومن ثم تطرق إلى قريته البرة العليا التي أثبتتها يحيى في شعره:

خليلي عوجا بارك الله فيكما

على البرة العليا صدور الركائب^(١٩)
وكما خصص أربع صفحات للحديث عن الكوفة، خصص مثلها للحديث عن اليمامة موطن يحيى بن طالب^(٢٠).

وخصص الباحث الدخيل فصلا لكل شاعر للحديث عن حياته، لكنه أشار إلى المعضلة التي واجهته في رصد حياة حمزة بن بيض في دراسته الأولى قائلا: "يشعر الباحث أن هناك حلقة مفقودة في حياة حمزة، وهي حلقة مهمة في دراسة شعره، والعوامل المؤثرة فيه.. فحمزة من أولئك الشعراء الذين ظلمهم التاريخ؛ لأنه لم يقدم لنا عن حياتهم شيئا ذا بال يطمئن إليه الباحث"^(٢١)، ثم عاد بروح الباحث في دراسته الموسعة ليبين عدم اهتمام مؤرخي الأدب قديما وحديثا به مستثنيا صاحب كتاب الأغاني للأصفهاني الذي عرض طائفة من أخباره وشعره، فجاء الآخرون تبعا له، ليرجح الدخيل -بروح الباحث المجد- بعد ذلك عددا من الأسباب التي أدت لغيب أخباره، أولها أنه عاش في عصر يحفل بشعراء مشهورين كبار مثل: جرير والفرزدق وغيرهما؛ ولذلك استأثروا باهتمام الرواة ومؤرخي الأدب، وثانيها: قلة شعر حمزة بن بيض إما لعدم وصوله إلينا وإما لقلته أصلا، وثالثها: أن شعره كان من الشعر الخفيف الذي يؤثر سهولة اللغة ويتحاشى وعورة اللفظ رغم أنه عاش في عصر يعد امتدادا للعصر الجاهلي من حيث الاحتفال باللغة بحسب رأي بعض دارسي الأدب، ورواة اللغة

وعلمائها لا يحفلون بمثل هذا النوع من الشعر^(٢٢). كما ذهب الدخيل مع الشاعر يحيى بن طالب المذهب نفسه حين ذكر أنه لم ينل حظه من اهتمام الأدباء والمترجمين معيدا ذلك إلى البيئة النائية التي أمضى فيها حياته، وهي قرية البرة من قرى اليمامة التي لم يكن فيها أدباء وعلماء مؤرخون كما هو الحال في حواضر المدن كبغداد والبصرة والكوفة، وكان من الممكن ألا يصل شعره إلينا لولا رحلته إلى بغداد ثم خراسان ووصول خبر شعره إلى هارون الرشيد لتتوجه له الأنظار^(٢٣)، وللحق فإن الباحث الدخيل لم يقنع بما وصل إليه من نتيجة إلا بعد تطوافه بعدد كبير من المظان والمصادر من كتب الأدب والتراجم، ولقد حاول كاتب هذه الدراسة (كاتب السطور) أن يجد جديدا حول حياتيهما رغم المدى الزمني، ورغم تيسر وسائل البحث عن ذي قبل فلم يجد ما يضيف جديدا إلى ما أورده الدكتور حمد الدخيل عنهما، ويبقى تاريخ نجد الأدبي والثقافي في القرنين الأولين الهجريين مثار تساؤل لكثير من الباحثين عن أسباب هذا الغياب؟ ولعل جهود الدكتور حمد في تتبع شعراء وشواعر نجد تنطلق من هذا المنطلق.

كما توقف الباحث الدخيل عند نسب الشعارين؛ فأثبت نسب حمزة بن بيض إلى جده الأعلى حنيفة نقلا عن جمهرة النسب ووازن بين المصادر الأخرى؛ فاستدرك وحلل ورجح موضحا شخصية الباحث وعدم تلقيه السلبي للمعلومة عند نقلها، ونفى وجود ابن له اسمه يزيد وأوضح أن ابنيه هما مخلد ومجالد^(٢٤) في حين لم يستطع تجاوز الاسم الثلاثي في نسب الشاعر يحيى بن طالب لعدم ذكر نسبه من بعض المصادر التي تُعنى بترجمة الشعراء كالأصفهاني، كما نفى وجود الزيادة (أبو) في طالب، ورجح الدخيل أن اسمه يحيى بن طالب الحنفي وفي بعض حين يضاف اليمامي نسبة إلى

الشاعر ببغداد^(٢٨).

واستدراكا على الدكتور محمد الربيع فإننا لا نعرف متى قال هذه القصيدة: أي ببغداد أم بعد ذلك أم قبل الوصول لها؟ التي ذكر الدخيل أنه لم يمكث بها طويلا لكنه لم يحدد مدى معيناً لذلك! وتتضح أمانة الدخيل العلمية عند تناوله لسنة وفاة يحيى بن طالب مستعرضا الأخبار في هذا الشأن وقرائن اتصاله بإبراهيم الموصلي واستحسان الرشيد لشعره، ووفاة الموصلي عام ١٨٨هـ، وكان يحيى بن طالب قد توفي قبل وفاة الموصلي؛ ليصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن وفاة يحيى بن طالب كانت خلال المدة من ١٧٠هـ إلى عام ١٨٧هـ وأن كل سنة من هذه السنوات تاريخ محتمل لوفاة^(٢٩)، وهذه السنوات التي تبلغ ثمانية عشر عاما وإن بدت متسعة حد التساؤل من قبل الباحثين الآخرين؛ فهي تعبر عن تورع الباحث بالقطع بتاريخ معين جزافا دون وجود دليل أو قرينة أو تحليل عقلي منطقي يقطع به، وهذا مما يحسب للباحث لا عليه.

فيما انتقل للحديث عن صفات الشعارين وأخلاقهما؛ فذكر في الطبعة الأولى أن حمزة بن بيض كان ماجنا خليعا بحسب بعض المصادر، ووقف الدخيل موقف الرفض لهذا القول مؤكدا عدم وجود ما يدعم هذا القول في شعره، مرجحا أن إفراطه في الدعابة وحبه الشديد للنكتة والدعابة قد يكونان السبب في هذا القول^(٣٠) وقد أورد في الطبعة الثانية بعض نواذر الشاعر وفكاهاته وهي مما زاد به عن الطبعة الأولى^(٣١).

إقليم اليمامة، وذلك استنادا إلى المصادر المتنوعة في التاريخ والأنساب التي عاد لها^(٣٥).

وبدت الحيرة واضحة لدى الباحث الدخيل في تحديد تاريخ ولادة حمزة بن بيض مسلما بأن محاولة تحديد السنة التي أبصر فيها حمزة بن بيض الدنيا ضرب من العبث^(٣٦) وما ذاك إلا لعدم الوقوف على أي مصدر يتحدث عن ولادته، فاستعاض عن ذلك بالحديث عن صلته برجال عصره وفق الأخبار الواردة عنه، فتحدث عن صلته بالمهلب بن أبي صفرة، وتعرض لحقيقة صلته بعبد الملك بن مروان نافيا هذه الصلة، وعندما تحدث عن سنة وفاته استعرض ما أورده الحموي والذهبي والصفدي وابن شاکر الكتبي الذين ذكروا تاريخين لوفاة هما ١١٦هـ و ١٢٠هـ، وبروح الباحث المستقلة لم يسلم الدكتور الدخيل بذلك مستندا على وجود قصيدة هجا بها حمزة بن بيض الوليد بن يزيد إبان خلافته، والوليد بن يزيد قتل عام ١٢٦هـ ليصل إلى

نتيجة مفادها أن وفاته كانت بعد عام ١٢٦هـ^(٣٧)، وكما ضاقت السبل بالدكتور الدخيل في تحديد سنة ولادة حمزة استمرت هذه الحيرة في تحديد ولادة يحيى الذي لم تشر المصادر إلى سنة ولادته ولم يجد سوى قرينة واحدة تشير إلى عمره عند مغادرته اليمامة متجها إلى بغداد فقال:

ألا هل لشيخ وابن ستين حجة

بكي طربا نحو اليمامة من عذر مسلما بأن هذا يعني أن عمره عند وصوله ببغداد كان ستين عاما، لكنه يستدرك بأنه ليس لدى الدارس دليل على تحديد العام الذي أُلِم فيه



فيما تحدث عن صفات الشاعر يحيى بن طالب وأخلاقه، وذكر بأنه كان ذا وسامة وجمال، كما تحدث عن عدد من سجاياه وأخلاقه كالكرم وخدمة المحتاجين، وأنه كان ذا دين وتقوى^(٣٢) وقد توسع الباحث الدخيل في الحديث عن صفات يحيى بن طالب وأخلاقه أكثر من حديثه المقتضب عن صفات حمزة بن بيض وأخلاقه؛ ولعل المصادر والأخبار المروية عن يحيى بن طالب قد أسعفته بخلاف حمزة الذي يصرح الباحث الدخيل بتجاهل المصادر لترجمته فلم تقدم ما يعين على تفسير حياته وسر أغوار نفسه^(٣٣) ولم يظهر الباحث الدخيل عند حديثه عن صفات الشاعرين ركونه للمصادر فحسب، وإنما أعمل ذهنه واستنفر جهده في استنتاج بعض الصفات استناداً إلى بعض المعلومات - وهذا مما يحسب له - ومثال ذلك قوله عن يحيى (ووصف يحيى بأنه كان سمحاً، ويترتب على السماحة طلاقة الوجه والبشاشة عند اللقاء ودماثة الخلق وطيب العشرة ...) ^(٣٤)، ويقول في موضع آخر: "وعرف أنه شاعر غزل، ويترتب على هذه الصفة ظرف الطبع ولين الحاشية ولطف المعشر ودماثة الخلق والبعد عن الجفاء والغلظة والكزازة ..." ^(٣٥)، وبقدر ما يسجل للباحث هذا الاجتهاد فإن دلالة الغزل على دماثة الخلق فيه نظر؛ فقد نجد شاعر الغزل دمث الخلق وشاعر الغزل سيء الخلق ممن يتسم بفحش القول وبذاءة التعبير.

وافترق عمل الباحث الدخيل بين الشاعرين عند حديثه عن صلة الشاعر حمزة بن بيض برجال عصره كالمهلب وبني المهلب وأبان بن الوليد البجلي، في حين تحدث عن عمل يحيى بن طالب وعن تغربه عن وطنه مفترقا بذلك عن حمزة بن بيض؛ ولعل هذه أبرز الافتراقات في تناول حياة الشاعرين لدى الباحث.

الدراسة الموضوعية والفنية:

خصّص الباحث حمد الدخيل فصلاً مستقلاً للدراسة الموضوعية والفنية لشعر الشاعرين؛ فخصّص الفصل الثالث من كتابه عن حمزة بن بيض، والفصل الثاني من كتابه عن يحيى بن طالب، والمتتبع لعمل الباحث الدخيل في دراسته يجد تنامياً وتطوراً إيجابياً من دراسة لأخرى؛ ففي دراسته عن حمزة بن بيض في طبعته الأولى دخل إلى الدراسة الفنية والموضوعية مباشرة دون مهاد، وإنما أدرج شعره مباشرة تحت عنوان (الشعر الثابت لحمزة بن بيض) مبتدئاً بقافية الهمزة ومورداً للنصوص مع تدوين وزن البحر العروضي أعلى كل نص، ثم سبقه بذكر مناسبة الأبيات ثم أورد النص وأعقبه بالشرح لمعاني المفردات التي تحتاج إلى شرح، ثم وضع عنواناً فرعياً لتخريج النص وذكر فيه المصدر أو المصادر التي استقى منها النص كاملاً أو جزءاً منه أو بعض أبيات إلى أخرى، ثم وضع عنواناً للاختلاف في الرواية؛ ليدون تحته الاختلاف في رواية النص عبر المصادر التي استقى منها، مع وجود حاشية لكل صفحة متى اقتضت الحاجة لذلك، كما رتب عرض النصوص ترتيباً هجائياً ألفبائياً^(٣٦)، ثم عمد الباحث الدخيل إلى وضع عنوان خاص بالشعر المنسوب إلى حمزة وغيره من الشعراء، كقسم ثان بعد قسم الشعر الثابت المنسوب لحمزة، وصنع فيه كصنيعه في القسم الأول من حيث الشرح والتخريج والموازنة بين اختلاف الروايات^(٣٧)، وما سبق عمل بحثي مضمّن جدير بالإجلال والتقدير؛ لكونه يسعى إلى التدقيق والتمحيص وتوخي صحة الرواية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعند النظر إلى صنيعه في كتابه الثاني^(٣٨) وفق التدرج الزمني للإصدار نجد أنه قسم كتابه إلى قسمين رئيسين:

القسم الأول: وخصصه لدراسة شعر يحيى وعنوانه — (الدراسة) وخصص الفصل الثاني منه

وصل إلى خاتمة لدراسته أجمل فيها ما توصلت له نتائج دراسته الأسلوبية الرصينة لشعر يحيى بن طالب^(٤٥).

أما القسم الثاني من كتابه؛ فخصه لـ (جمع شعره وتحقيقه) وابتدأ الحديث فيه بعنوان فرعي عن (المنهج في جمع شعره) وتحدث فيه عن منهجه الذي اتبعه في جمع شعر يحيى وتخريجه، وهو حديث لا يختلف كثيرا عما ساقه في مقدمته عند الحديث عن توثيق شعره، غير أنه أسهب وأضاف في إيضاح عمله قائلا: "...وبعد جمع الأبيات من المصادر المتنوعة قابلت بينها، ووازنتم في ترتيبها وورودها في المصادر، ثم أثبت القصيدة أو القطعة محتفظا بترتيب الأبيات طبقا لورودها في تلك المصادر، ولم أبح لنفسي التصرف فيها بتقديم ولا تأخير إلا ما دعت إليه ضرورة السياق وهذا نادر. وحرصت على إخراج الأبيات مضبوطة بالشكل الكامل، ولم أورد شعره الذي وصل إلينا عبر المصادر غفلا، بل ربطت كل قطعة بالمناسبة التي استدعتها، والسبب الذي حمل الشاعر على قولها؛ ليتصور القارئ الأسباب والدواعي التي دعت يحيى إلى قول الشعر.

وبعد إثبات القطع الشعرية خرّجت جميع الأبيات على جميع المصادر التي رجعت إليها، ووجدت فيها شعرا منسوباً له، وإن اختلفت بعض المصادر في نسبتها إليه وإلى غيره، وحاولت - جهد الطاقة - أن أرتب مصادر التخرّيج ترتيباً تاريخياً؛ لتسهيل معرفة المتقدم من المتأخر، والناقل والمنقول عنه ... والخطوة التي تلت ذلك إثبات الروايات المختلفة للأبيات، وحرصت على أن أنهج منهج الدقة والشمول في ذكرها ...^(٤٦)، ليختتم دراسته بالكشافات التي اشتملت على ثمانية شملت كشاف القوافي، واللغة، والأعلام، والأعلام المترجمون في الحاشية، والقبائل والطوائف، والبلدان والأماكن، والمصادر والمراجع،

للدراصة الموضوعية التي افتتحها بعنوان فرعي عن مصادر شعر يحيى، ذكر فيه المصادر التي أوردت شعر يحيى بن طالب، وخلص فيها إلى استعراض ورود الأبيات في كل مصدر، ووضع بياناً بعدد الأبيات ورويتها في بعض هذه المصادر^(٢٩)، ثم وضع عنواناً آخر جديداً عن (توثيق شعره) تحدث فيه عن أهمية توثيق الشعر ونسبته إلى صاحبه مؤكداً أن على الباحث (أن يكون أكثر دقة واستقصاء في تتبع مصادر الشعر وروايته في كتب التراث المختلفة حسب التسلسل الزمني ... مستعينا في ذلك بعدة مقاييس هي:

- (١) المقياس التاريخي.
- (٢) المقياس الشخصي.
- (٣) المقياس الروائي.
- (٤) الموثق والمقياس الفني أو الأدبي.

وهذا ما عملته في البحث عن شعر يحيى، والتنقيب عنه في المصادر القديمة المتنوعة والتأكد من نسبته إليه بتطبيق المقاييس التي سبق ذكرها^(٤٠)، والدخيل بما سبق إنما يتحدث عن منهجه في البحث وإن لم يسمه صراحة.

ثم بين عدد المصادر التي اعتمد عليها في جمع وتوثيق شعر يحيى وبلغت نحو خمسين مصدراً أقدمها نواردين ابن الأعرابي المتوفى عام ٢٣٠ أو ٢٣١هـ^(٤١)، ثم استعرض نماذج لبعض الاختلافات في الروايات، لينتقل بعد ذلك إلى عنوان جديد أيضاً عن كتابه السابق بعنوان (موضوعات شعره) التي حددها بثلاثة موضوعات هي: الغزل، والحنين إلى الوطن، والفخر^(٤٢)، لينتقل بعد ذلك إلى قسم الدراسة الفنية الذي تناول فيه موضوعين رئيسيين هما: الشكل والمضمون، وابتدأ بالمضمون حيث تناول فيه المعاني والأفكار، والعاطفة^(٤٣).

ثم انتقل إلى الشكل: وتناول فيه الألفاظ، والجمل والتراكيب، والصورة الفنية، والأوزان والقوافي^(٤٤) ثم

وثبت الموضوعات^(٤٧).

وهكذا نجد أنفسنا أمام باحث ثبت مجد رصين يدرك قيمة وأبعاد عمله ويسير وفق منهجية مرهقة مضنية تتسم بالأمانة والصدق والاجتهاد نحو سلامة المنهج.

ثم انتقل الباحث حمد الدخيل إلى شعر يحيى بن طالب مستعرضاً له وفق الترتيب الهجائي؛ متبعاً نفس الخطوات التي اتبعها عند عرض شعر حمزة بن بيض في الطبعة الأولى من ذكر المناسبة والوزن العروضي والنص والشرح والتخريج واختلاف الروايات، وهي أمور ذكرها صريحة عند الحديث عن منهجه في جمع الشعر " ... فجمع شعره وتوثيقه تمثل في هذه الخطوات الخمس: المناسبة، والنص، والتخريج، والاختلاف في الرواية، والشرح، مع التعليق على ما يحتاج إلى تعليق في الحاشية، وهي خطوات منهجية أراها ضرورية، وينبغي اتباعها عند جمع الشعر من مصادره المختلفة"^(٤٨).

وعلى ضوء ما سبق فلا غرابة أن يكرر الباحث الدخيل صنيعه في جمع شعر حمزة عند عرض شعر يحيى؛ لأنه ينطلق من منهج واحد يراه مطلباً في كل عمل بحثي لجمع شعر أي شاعر، ولا يخفى أنه لم يذكر الوزن العروضي في منهجه؛ لأنه عمل لاحق للنص بعد ثبوته.

فإذا انتقلنا إلى كتابه (حمزة بن بيض) الصادر عن نادي الرياض الأدبي في طبعته الثانية عام ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م، وكانت طبعته الأولى صدرت عام ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، إلا أننا وضعناه آخر في رصد تطور التناول لدى الباحث الدخيل، لكونه طبعة مزيدة ومنقحة، والدكتور الدخيل ممن يحرص على مراجعة كتبه حذفاً وإضافة وتعديلاً وتحسيناً؛ لذلك فإن استعراض عمله في هذه الطبعة الثانية يأتي في سياقه الطبيعي.

فقد خصص الفصل الثالث من كتابه عن حمزة

تحت عنوان (شعره ..دراسة موضوعية وفنية) فابتدأ الدراسة الموضوعية بعنوان فرعي (مصادر شعره) وعند الحديث عن مصادر شعر حمزة يشير الباحث إلى جانب مهم يكشف قيمة العمل الذي يقوم به - ربما عن غير قصد - حيث يقول: "... ولم يهب الله له عالماً أو راوياً من القدماء يجمع شعره في ديوان، كما حصل لعدد من معاصريه، فلم يصل إلينا من شعره سوى مقطوعات وأبيات، ليست كثيرة تناثرت في كتب الأدب، فالشعر الثابت له الذي لم ينسب لغيره يقع في تسع وعشرين مقطوعة، على الرغم مما أخذت به نفسي من استقصاء شعره في مختلف المصادر.. ويقع الشعر المنسوب له ولغيره في تسع مقطوعات"^(٤٩)، والدخيل بقوله السابق يجلي للمتلقي قيمة العمل الذي يقوم، والجهد المضني في سبيل جمع شتات شعر حمزة الذي تفرق بين المظان والمصادر. ثم يضع عنوان فرعياً آخر عن (المنهج في جمع شعره وتوثيقه) وهو بهذا يقدم المنهج ليقرنه مع التوثيق مخالفاً ما صنعه في كتابه عن يحيى عندما ابتدأ بالتوثيق، ثم أتى بالحديث عن المنهج لاحقاً؛ وتحدث فيه عن المنهج المتبع في جمع الشعر وتوثيقه، والذي لم يختلف عما أورده في كتابه عن يحيى، مجدداً الالتزام بالخطوات الخمس: المناسبة، والمقطوعة (النص)، والشرح، والتخريج، والاختلاف في الرواية، مع استخدام الحواشي في زيادة الشرح والتعليق^(٥٠)، ثم انتقل الباحث إلى الحديث عن (موضوعات شعره) وحددها بـ: المدح، والوصف، والهجاء، والعتاب، والاعتذار، والثناء، والشكوى، والفخر، والحكمة، وموضوعات متفرقة، مستدلاً على ذلك من شعره الثابت وشعره المنسوب إليه، ولا يخفى أن حديث الدكتور الدخيل عن موضوعات شعر حمزة فيه توسع مستفيض عن حديثه السابق عن موضوعات شعر يحيى، ولعل ذلك مرده وفرة نتاج الشاعر ابن بيض عن ابن

مجتمعه وتراث أمته عامة ومنطقته بشكل خاص، ليتصدى لهذا العمل المرهق الذي لا يمضي به إلا ذو همة عالية وحصيلة من العلوم والمعارف وافرة، وأدوات بحثية مساعدة.

المراجع

- ١- حمزة بن بيض الحنفي، حمد الدخيل، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد العاشر جمادى الآخرة ١٤١٤هـ / ديسمبر ١٩٩٣م، ص ٢٦٠ - ٢٦١.
- ٢- حمزة بن بيض الحنفي، حمد الدخيل، نادي الرياض الأدبي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م، الطبعة الثانية، ص ٦ - ٧.
- ٣- محمد عبد الرحمن الربيع: جهود الدخيل في جمع وتوثيق الشعر اليمامي، صحيفة الجزيرة العدد ٤٣٢، السبت ١٤ / ٥ / ١٤٣٥هـ.
- ٤- يحيى بن طالب الحنفي. حياته. وشعره، حمد الدخيل، الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٥ - ٨.

في عباءة الأستاذ

د. سحر بنت عبد الرحمن الدوسري^(٥٤)

توطئة: لطالما تلقيت قول القائل: "ما ترك الأول للآخر شيئاً"^(٥٥) بغير قليل من التبرم والتحفظ؛ ووقود تلك المشاعر: فورة الشباب الأولى، وحماسة للمشاركة في صناعة الواقع الثقافي بإدلاء دلو بين الدلاء. فما الذي يزكي عمل الأول، وما الذي يعصمه، وما ذنب المتأخر ليقصيه تأخره؟؟ وكثير من الأسئلة لغضة طريّة العود بالكاد تجد لقدمها موضعاً بين الزحام، حتى أوشكت أن أجعل محاولة إثبات بشرية الأوائل، ونفي العصمة عنهم قضيتي -لولا لطف الله- في الدكتوراه، وأغرنتني بذلك مادة

طالب.

ثم انتقل الباحث إلى عنوان فرعي آخر بعنوان (القصة في شعره) متحدثاً عن ملمح أسلوبه في شعر حمزة بن بيض يتمثل في السرد القصصي القائم على الحوار في بعض قصائده ومقطوعاته^(٥٦).

ثم انتقل إلى القسم الثاني من دراسته (الدراسة الفنية) ليسبق تناول الشكل والمضمون بإيراد مقولات ونقولات تبرز مكانة الشاعر ابن بيض وفحولته الشعرية وطبقته بين الشعراء^(٥٧)، لينتقل بعد ذلك إلى المضمون: مستعرضاً الأفكار والمعاني، والعاطفة، ولم يختلف ذلك عما ذكره في حديثه عن المضمون لدى يحيى بن طالب.

ثم انتقل إلى دراسة الشكل لدى حمزة بن بيض؛ فتناول البناء الفني للقصيدة، والأسلوب، والألفاظ، والتراكيب، والصور الفنية، والأوزان والقوافي، وقد انفرد عما ذكره لدى يحيى بالبناء الفني وبأسلوب. ثم انتقل إلى القسم الثاني من الكتاب الذي خصه لـ (شعر حمزة بن بيض الحنفي) مفتتحاً بالشعر الثابت المنسوب له، وسائراً على ذات المنوال من حيث الترتيب الهجائي لإيراد النصوص، مع الالتزام بالخطوات الخمس للجمع والتوثيق.

ثم انتقل إلى الشعر المنسوب إلى حمزة وإلى غيره، ليختتم عمله بالفهارس الفنية - عوضاً عن الكشافات - متضمنة عشرة فهارس مماثلة لما ذكره لدى الشاعر يحيى مع إضافة فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأمثال^(٥٨).

ومما سبق نجد التنامي والتطوير جلياً في عمل الباحث الدكتور حمد الدخيل: الأمر الذي يدل على انتماء مخلص للعمل البحثي، ورغبة صادقة في التطوير والتجويد، وعن روح متطلعة للأفضل، كما تكشف هذه الموازنة بين الشاعرين الحنفيين عن عشق الباحث للتحدي، ونزعه إلى تحدي الصعاب وإيمانه العميق بواجب العالم والمثقف تجاه

دسمة لا تخلو من الإغراب والإعجاب عنونتها بـ: "اضطراب العلاقة بين العالم والعلم"، فنهاني عن ذلك "الأستاذ" وحَسَنُ فعل!! لكن الشواهد التراثية السحرية استمرت تدعوني، وتتأبط ذراعي، وتلح علي؛ حتى أنجزت منها بحثًا يوشك قريبًا أن يجد سبيله للنشر. وألفيت قَمَّةَ العزاء لهمة متقدة لا تقنع بما دون السحاب، وأبلغ الجواب في قول الجاحظ: "إذا سمعت الرجل يقول: "ما ترك الأول للآخر شيئاً"؛ فاعلم أنه ما يريد أن يفلح" (٥٦).

وما إن آن الأوان، وترجل كثير من أوائل الفرسان، فتركوا لنا الميدان، وزالت الغرارة، فذهبت السكره وجاءت الفكرة، وخوى المكان والزمان؛ حتى استعمرتني قشعريرة باردة، بين خوف ورجاء، ورغبة ورهبة، وأدركت يقينًا أن طيفًا من الصحة يشتمل عليه القول السائر، وأن الجاحظ لم يكن له أن يأتي بشيء ذي بال لو لم يَكْثَرِ حوانيت الوراقين، ويحني الركب في حلقات المتقدمين؛ فيَقْصُر بذلك عناء المسير، بارتماع عتبة أولي الفضل من "الأوائل"!! حتى بتُّ أتساءل حقًا: إن كان بوسعي أن أترك بصمات مثل أولئك الأفاضل وتلك الفضليات، وإن كان السعي لهذا ممكنًا ومشروعًا، أو مقطوعًا وممنوعًا؛ بسبب ما يجبهنا من متغيرات ثقافية، وتحديات هائلة في هذا العصر، ويخفف وطأة هذا عني، جواب الباري - لإبراهيم حين سأله: "ربِّ وما يبلغ صوتي؟" بقوله: "أَنْ وَعَلِيَّ الْبَلَاغ" (٥٧)؛ و"لا يلام المرء بعد الاجتهاد" (٥٨).

تباشير الصباح - بواكير حياة الأستاذ:

رأت عينًا حمد بن ناصر الدُّخَيْلُ النور بُعِيدَ نهاية الحرب العالمية الثانية، في أكتوبر من العام: ١٩٤٥م، الموافق: ١٣٦٤هـ، في سنة عرفتها العامة آنذاك بسنة: الحُقَيْسَة، كناية عن الخصب، وعَوَّل بها العالم كله بعد الحرب على العلم، وبات يرتقب تباشير الصباح بعد كل الأحداث التي عصفت بالعالم،

فكان للأستاذ من خصب ذلك العام نصيب؛ إذ حظي بأسرة مستنيرة أدركت أهمية العلم فأدرجته مبكرًا في المدرسة السعودية بالمجمعة، وهي واحدة من المدارس السبع التي أنشأها الملك عبد العزيز، ثم انتظم في سلك الدارسين بمعهد المجعة العلمي، وانتهى به الحال خريجًا من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام، ولم تقنع همته بما دون الدراسة العليا، فانتسب إلى شعبة الأدب والنقد بجامعة الأزهر وظفر بالمجستير، وتوجَّها بإجازة الدكتوراه من جامعة الإمام بعد حين، وما زال يحث المسير حتى بلغ أرفع الدرجات العلمية، وتقلد ألع المناصب الإدارية.

بديع زمانه - غيظ من فيض ما انفرد به الأستاذ:

أولاً - التوثيق المنتظم: آمن الأستاذ مبكرًا بأن العلم صيد والكتابة قيده، فحرص على فهرسة وتصنيف وجمع مشاركاته في مختلف الأوعية المقروءة والمسموعة والمرئية، ثم أعاد ضمَّها وإخراجها في إضمادات ورقية يسهل -نوعًا ما- العثور عليها أو على الأقل إيجادها في المكتبات العامة، وهذا أمر قصَّرت عنه همّة كثير من الأساتذة الجامعيين، والناشطين في مجال الأدب والنقد، وعز أن تجد لمثله في زحمة مشاغل أمثالهم نظيرًا.

أمَّا ما جاد به يراعه في التحقيق فقد حقَّق للمُطَرِّزي: فَسَّرَ المولى وحصر معانيه والكشف عن حقيقة ما قيل فيه، وبيان الإعجاز في سورة {قل يا أيُّها الكافرون}، كما حقَّق لأبي أحمد العسكري: التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم، وحقَّق لابن بشر: مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى.

وله في خدمة الشعر وتوثيقه لاسيما شعر اليماميين وشعر بني حنيفة جهود تذكر فتشكر، فقد أَلَّف: حمزة بن بيض الحنفي: حياته وشعره،



الحضارة الإسلامية. وسهم في تاريخ البلدان نحو كتاب: الرياض درة الصحراء. ونصيب في التجربة الإبداعية، فقد ألّف قصة: لله ما أخذ ولله ما أعطى، ودوّن طرفاً من سيرته الذاتية في كتاب: ثلاث سنوات في بلاد النخيل.

ونرتقب تتويج مسيرته بأن ترى رسالته الرفيعة التي نال بها الدكتوراه النور، واستقصى بها غاية الاستقصاء فجمع أكثر من خمسين مخطوطة للمطرّزي من مختلف قارات الدنيا وحملت عنوان: الإيضاح في شرح مقامات الحريري تحقيق ودراسة. إلى جانب تشوقنا لرؤية تحقيقه لرسالة: الشهاب في الشيب والشباب للشريف المرتضى، ونأمل أن تزدان المكتبة بهذين التحقيقين الجامعين المانعين عاجلاً غير آجل.

ثانياً- النظرة الاستشرافية: كثيراً ما يقف المتأمل في نتاج الأستاذ النقدي والأدبي ومشاركاته القديمة معجباً من بعد نظره! وسبقه لعصره، فقد طرّق قلمه موضوعات لم يكد يلتفت إليها أحد قبيل عصرنا الحاضر نحو: الذكاء الاصطناعي، وعلم الاتصال العلامي، والصراع بين الإعلام القديم والجديد، والنظرية الشعرية، وثقافة السياحة، وثقافة الفرح، والترميز وصناعة القدوة. وكل ما سلف موضوعات إيدلوجية وسياسيولوجية وتكنولوجية جديدة لم تقتل بحثاً حتى الآن.

ثالثاً- ملكة الحفظ وسعة الاطلاع: أنعم الله على الأستاذ بذاكرة حادة -بارك الله ولا قوة إلا بالله-

ويحيى بن طالب الحنفي: حياته وشعره، وشعر شواعر بني حنيفة في الجاهلية والإسلام، وشعر عبد الله بن أيوب التيمي، وألّف أيضاً كتاب: من شواعر اليمامة المغمورات الحجناء بنت نصيب الأصغر اليمامي: أخبارها وما بقي من شعرها، وألّف كتاب: من شعراء اليمامة المغمورين: تُويت اليمامي عبد الملك بن عبد العزيز السلولي: حياته وأخباره، وما بقي من شعره، وشعر نصيب الأصغر اليمامي، وحُرّيت بن زيد الخيل: حياته وأخباره، وما بقي من شعره.

وإذا سألت عن جهوده في توثيق ما قدّم من دراسات ومقالات أدبيّة على مر السنين فتمثلت في: فن التوقيعات الأدبيّة في العصر الإسلامي والأموي والعباسي، وأثر الصحراء في نشأة الشعر العربي وتطوره حتّى نهاية العصر العباسي الثاني، وآراء المنفلوطي في شعراء عصره وكُتّابه في مصر، وسدير في الشعر العربي القديم، ومدخل إلى جمع شعر المرأة ودراسته، وفي الأدب العربي الحديث، ودراسات ومقالات في الأدب العربي، ومن أعلام الكتابة الفنيّة والشعر في الأدب العربي، وفي الأدب السعودي، وله أيضاً: في خصوصية الأدب ومنهجه، وجمع جملة من مقالاته في كتابي: الشوط الأول- مقالات وآراء في التاريخ والأدب والنقد، وكتاب: الشوط الثاني- في الأدب والنقد واللغة، كما شارك في تأليف كتاب: الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب.

كما قدم كتباً شمولية في خدمة اللغة العربية عامة نحو: مقالات وآراء في اللغة العربية، وقضايا وتجارب في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، إلى جانب مشاركته في تأليف خمسة عشر مقررّاً دراسياً.

وله متفرقات في التاريخ والاجتماع نحو كتاب: اختصار الزمن، ونظرات في التاريخ والحضارة والتراث. وله إسهام في التراجم نحو كتاب: من أعلام

صقلها بطول المطالعة والجدية في سنوات الطلب، مستعيناً على ذلك بمكتبة زاخرة ضمت فرائد ونفائس بذل دون تكوينها الغالي والنفيس من مال وجهد، حتى عز أن يجتمع لغيره مثلها، وكثيراً ما أشكل عليّ ضبط بعض شواهد الشعر الجاهلي، لاسيما التي اضطلع بجمعها بعض الأساتذة العراقيين في بعض المجلّات العراقية القديمة، فكان أكبر اهتمام معظمهم -إلا من رحم الله- بالسبق في الإخراج والجمع دون عناية بالتخريج والضبط، فيرشدني الأستاذ من فور السؤال إلى توفر الشاهد مضبوطاً في مظنة من مظنات التفسير أو غريب اللغة أو مجامع الأدب أو تحقيق فريد لم يتناه إليه علمي بعد وسبق إليه علم الأستاذ.

رابعاً- المنهجية العلمية والمرونة في التعاطي مع الجديد: لا يكاد يخفى على كل من اتصل بنتاج الأستاذ الفكري: قراءة في كتاب أو صحيفة، وتلقي في درس أو محاضرة، وسماعاً أو مشاهدة في الوسائط الإعلامية أنه بين يدي عالم فذّ، ينتهج منهجاً علمياً دقيقاً لا تشوبه شائبة الخطل، ورشيقاً أنيقاً ينساب كماء رقراق بلا تحذلق أو تعقيد لفظي، وقد زان سعة إحاطته ورشاقة قلمه بعده عن التعصب لقديم قدمه أو حديث لحدثه، فلربما أريته الغلط في الضبط بديوان حققه العلامة أحمد صقر فلم يسبغ عليه العصمة، وبين لي وجه الغلط بالضبط وأرشدني إلى مظنة تتضمن الشاهد مضبوطاً بالوجه الأرجح، ولربما شطت بي الحماسة في التعصب لرأبي فأجحفت بوصف خطل رأي بعض كبار النقاد خاصة في التعاطي مع بعض قضايا الشعر الجاهلي التي كثرت بها الآراء فيوجهني قائلاً: "حنانيك!! قليلاً من التواضع فأنت أمام أستاذ جليل!" وفي المقابل لا يجد الأستاذ بأساً من التعبير عن إعجابه باستنتاج جميل لتلميذته، أو مواكبة لمنهج أو نظرية حديثة اختار الطالب أن يرسم خطواتها، كما نجده

يحث الباحث باستمرار على أن يكتب بحثه مستعيناً بأدوات المنهج، لا أن يجعل شريحة بحثه مطية يركبها المنهج فيلوي عنقها ويعتسفها ويحملها ما لا تحتمل، فتكون البحوث مسوخاً مكررة، تتغير بها الشريحة البحثية، وتتطابق بها النتائج المسبقة والأدوات الهيكلية -مع اختلاف الجلاء الذي سام النصوص مسخاً وعسفاً وخسفاً في كل مرة فاستحق بجدارة أن يسمى ناقد صدفة! (٥٩)- . بل حال نضج الأستاذ المنهجي وشجاعته في الطرح دون أن تخرج من بين ظهرائه وتحت توجيهه وإرشاده رسائل علمية تعطي العصمة للمنهج، بل تنظر إليه بعين باصرة تنتقي ما صفاً وتطرح ما تعكّر، وإن لم يسعه دائماً أن يكون ظليماً رامحاً عن فراخه أن المناقشة! فقد وسعه على الأقل أن يخرج من تحت عباءته طالب وطالبة يعيان بأن الهدف من المنهج: الاستعانة بما يليق بالنص من أدوات لخدمة النص واستنطاق جمالياته، لا تكريس الجهد في خدمة المنهج على حساب قراءة النص!!

صدفة خير من ألف ميعاد- التقاء الطرق:

صافح ناظرِي اسم الأستاذ للمرة الأولى حين كنت طالبة في (الفرقة الرابعة) بقسم اللغة العربية في كلية التربية للبنات بالرياض، وذلك في خضم تدقيق رسالة الدكتوراه: تفسير الإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام (جمع ودراسة)، لعمتي: د. غزيل بنت محمد الدوسري؛ إذ كانت رسالة المُطرّزي: بيان الإعجاز في سورة {قل يا أيها الكافرون}، أحد المظنات التي جُمع منها تفسير الإمام أبي عبيد القاسم بن سلّام، ولم يخطر على قلبي آنذاك أن علاقة تتلمذ ستجمعني بهذا العَلَم المحقق قط.

ثم تقدمت فور تخرجي لدراسة الماجستير في جامعة الإمام، وصادف أن كان الأستاذ أحد أعضاء لجنة المقابلة العلمية للطلبة الراغبين في الالتحاق بالبرنامج، ولست أنسى اسمه الذي طرق



مهمة الإرشاد عليّ إلى أستاذي أ.د. حمد وأبلغني د. صالح أنني عبء فوق النصاب على أ.د. حمد وعليّ أن أشكر للأستاذ فضله وأتفهم عذره، ومن هنا بدأ المشوار.

مشوار التلمذة- دروس أبوية في العلم والأخلاق والإنسانية:

في ذات يوم من أيام الطّلب، قال أحد الأساتذة -مع حفظ الألقاب- للطالبات والطلاب: "طلاب الدراسات العليا في المملكة العربية السعودية يجثمون عند أبواب المقابر! في انتظار نعيّ ناع؛ فيقولون: "فلان حياته وشعره!"، فوقعته كلمته مني موقعاً، وشعرت بأنّي طرف في هذه الوصمة، ومدانة بتلك التهمة؛ لذا فقد أزمعت على الفرار من كل شيء محليّ، أو شاعر منعيّ، أو سرّ سعوديّ فراري من الأسد، وصممت آذاني بكل عزم وتصميم عن: "أعشاش" (٦٠) جاسم الصحيح، و"أشج" (٦١) أو "جنّة" (٦٢) القصيبي، و"مطر" (٦٣) فاطمة القرني، و"شرر" (٦٤) عبده خال، و"قارورة" (٦٥) يوسف المحميد، وأبيت إلّا أن أضع يدي "في عش الدبابير"، وأبدأ بأسمنها وأدسمها، فاخترت أن أرتحل بين الأطلال، وأسجع مع الحمام، وأجواب نعيب البوم وأطوّف بالمقابر مع الناقة "البليّة" (٦٦)، وأهيم على

سامعيّ ممن سبقنني في الدور فخرجن مكفهرات بعض الشيء، وما زلت أرقب دوري بوجل حتى استعمرتني هزة طرب خفية لما كان أول ما سُئلت عنه متفق مع ميولي: سمي شعراء المعلقات؟ هاتي ما تحفظين من معلقة عنتره؟ فعددتهم، وأنشدت المعلقة الأقرب إلى قلبي، حتى استوقفني الأستاذ بحسبك حسبك!! وكان السؤال التالي: من تعرفين من الشعراء السعوديين؟ فقلت جاسم الصحيح -نطقها غلطاً بالعامية- فصوّبها لي السائل محنقاً بـ: الصّحيح!!! ثم كُتب لي مع سبع من زميلاتي الالتحاق ببرنامج الماجستير فكانت حيزت لي الدنيا!

وبعد عام منهج طويل طويل طويل، طلب منّا القسم تعبئة استبانة توضح بها كل طالبة ميولها العلمي؛ ليرشح لها من الأساتذة المرشد العلميّ الأقرب لميولها، فكان أن جهرت بميلي للشعر الجاهلي، وهو ما صدف عنه جل زملائي وزميلاتي في تلك الدفعة، فكان أن رُشح لإرشادي أ.د. عبد العزيز الفيصل، فلم تلتق بنا السبل لظروف الأستاذ، فطلّبت إلى القسم أن ينتدب لي من يأخذ بيدي بعد ضياع قدر كبير من الوقت دون تقديم أي فكرة بحثية، فأسند وكيل القسم آنذاك د. صالح المحمود

ينتحل من يرقم اسمه عليها جهد غيره بغير وجه حق. تعلمت توفير كل وسائل التَّحَقُّق التي تُمكن القارئ من قراءة النص في مظنة واحدة، ليُمكنه أن يبني رأيه فيتفق أو يختلف مع وجه القراءة على هدى وبصيرة. ومن أستاذي تعلمت أن أستبق القارئ فأطرح السؤال، ثم أحتج لرأيي وأبسط القول في الجواب.

وأوصاني بالتعاون مع القارئ ليُنشد الشعر كما أنشده صاحبه الأول بضبط الأبيات الشعرية حرفاً حرفاً، إلى جانب الحرص على ضبط أسماء الأعلام؛ لتألف عين القارئ ولسانه الصواب. عرفت من الأستاذ أن الاعتماد في التراجم على كتب المحدثين والتكاسل عن ورود الأمهات سبيل المقصرين المتقاعسين. تعلمت اختيار المعجم اللغوي المناسب حسب الغرض من المراجعة، كما تدربت على ترجيح أليق المعاني بالسياق وجو النص، وتعليل سبب الاختيار إذا لزم الأمر، إلى جانب عشرات الدروس المنهجية والعلمية التي استفدتها مما رقيمت يمينه لي من ملحوظات على وريقات لا زالت بحوزتي حتى الآن. ثم تكرر عليّ بعد كل هذا بقبول الإشراف على ذات الطالبة في الدكتوراه، وكان له دور في تصحيح مساري، والمفاضلة بين سيل أفكار، حتى وصلت إلى الفكرة البحثية الأقرب للقبول، وشاركني النضال والعزم والتصميم على إقناع لجنة دراسة الفكرة البحثية بجدوى وجدة الفكرة والإضافة التي يُتَوَقَّع أن تقدمها.

أمّا تاج وقار العلم الذي حزته من أستاذي فهو: "الأخلاق"، فلربما غضبت بعد ملحوظة أو إضافة أصرّ أن أقوم بها فانقطعت فترة فإذا به يجد عذراً لعجلتي وضيق ذرعي، ويتفقدني ويهون عليّ مشقة الرحلة برحمة الأب وإحسان الإنسان. ولربما استأذنته في الانقطاع فترة لدواعي الزفاف فهنأني وتركني زمناً، ثم سألني بعد مدى كافٍ من باب

وجهي هاربة من النعمان مع نابغة الجاهلية، وأتأمل الظلال وأتتبع الخيال من بين السيوف مع عنتره الخيال! وتحمّمت فوق الشعر الجاهلي لمّا دعا داعي الدكتوراه العلوم البينية؛ حتى صار يصدق في قول القائل: "لقد ارتقيت مرتقياً صعباً يا رُوَيْعِي الغنم!"^(٦٧)، ولسان حالي:

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ
يُهُمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا حَامِلٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ
وَيَثْقُلُ رُضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ
لَا تِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ^(٦٨)

لم تكن سبيلي معبدة بالورود قط!!! بل مليئة بالعثرات والعبرات، ولم يخفف وطأة الهجير سوى اللجوء إلى ظلال الأستاذ، فدعاني أولاً لحضور محاضراته في حلقة البحث لطالبات الدكتوراه، وانتظمت معهن دارسة لا لشيء سوى تعلم منهجية البحث العلمي كما يراها الأستاذ، من تلك الحلقة تعلمت الاستقصاء وتجميع أقصى ما يمكنني من المصادر ما وسعني من جهد و طاقة وإن تجشمت لها عناء الرحلة. ومن أستاذي تعلمت الاستعانة بالتسلسل التاريخي لتنظيم ما يرد من أخبار، وكلما اتصلت أخبار الخبر بزمان وقوعه كان الأقرب للصحة. حذرني أستاذي من السرد البارد للمعلومات دون أن يكون للشخصية العلمية أثر في الإجمال والاستنتاج والتحليل. ولطالما شدد أستاذي على تحرّي الدقة قبل بناء الفرضية، والتجرّد من الرأي المُسَبَّق، والتواضع أمام العلماء. وعلى يدي أستاذي تعرفت إلى الفروق بين جهود المحققين في خدمة الديوان، وكيف أنتقي النسخة الأجود والأقرب لما أراد الأول أن يقوله، كما تبين لي مدى الضرر المادي والمعنوي للنسخ المسروقة، التي

للدكتور عبدالله السيف، وتاريخ الإمامة في صدر الإسلام للدكتور عبدالله العسكر، والشعر في حاضرة الإمامة حتى نهاية العصر الأموي للدكتور عبدالرحمن الدباسي، ومن أعلام الشعر اليمامي للأستاذ عمران العمران، وكتاب بنو حنيفة: بلادها وأنسابها وأخبارها للأستاذ عبدالعزيز الأحيدب.

(٢) ديوان العباس بن الأحنف / شرح وتعليق الدكتورة عاتكة الخزرجي / مطبعة فضالة / المغرب / ١٣٩٧هـ.

(٣) شعراء مقلون / صنعة حاتم صالح الضامن / ط ١ / بيروت / عالم الكتب.

(٤) حوليات الجامعة التونسية / العدد الخامس والثلاثون / ١٩٩٤م.

(٥) ديوان حرب الردة / جمع وتحقيق الدكتور محمود أبو الخير / دار جهينة / ط ١ / عمان / ٢٠٠٤م.

(٦) دليل خريجي كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / الرياض / ١٤٣٢هـ.

(٧) يحيى بن طالب الحنفي ص ٨.

(٨) شعر شواعر بني حنيفة ص ٥.

(٩) محمد بن عبد الرحمن الربيع، جهود الدخيل في جمع وتوثيق الشعر اليمامي، صحيفة الجزيرة العدد ٤٣٢، السبت ١٤/٠٥/١٤٣٥هـ.

(١٠) شعر حمزة بن بيض الحنفي، حمد الدخيل، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد العاشر جمادى الآخرة ١٤١٤هـ - ديسمبر ١٩٩٣م، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(١١) حمزة بن بيض الحنفي، حمد الدخيل، نادي الرياض الأدبي، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م، الطبعة الثانية، ص ٦ - ٧.

(١٢) يحيى بن طالب الحنفي: حياته. وشعره، حمد الدخيل، الإدارة العامة للثقافة والنشر بجامعة

التفقد والاطمئنان إن كانت ظروف مواتية، وإن كنت وُفِّقت بخير الرجال علمًا ووظيفة وعشرة، وحين أُجبت بالإيجاب دعاني للعودة إلى الجد وميادين المجد. عَرَفَنِي صغيرة وعرف أشقائي وتوطَّدت علاقته بزوجي لسنوات طوال -ولازلت-، وكنت تلميذة له إبان ولادة أطفالي، ولربما أفادني بالمواد اللغوية التي اشتقت منها أسماء أولادي، بلمسة من الرفق والأبوة والإنسانية، حتى بات الأستاذ جزءًا من عائلتي، وله بها مقام الأب، وعظيم الإكبار والإعزاز من جميع الأطراف.

وختامًا:

لقد كان لشخصية "الأستاذ المثال" أ.د. حمد بن ناصر الدخيل -حفظه الله-، التي قيض الله لي أن تكون بدربي عظيم الأثر على شخصيتي العلمية والإنسانية؛ فلا زلت في عباة، أنظر بعينه، وأحترز باحترازاته، وأكتب بقلمه، وأنهل من مناهله، وأهتدي بسننه، ولا يمنعني ما أسلك مع طالباتي من جدية في الدرس وحزم في المنهجية من إقامة ميزان العدل والرحمة والإحسان وحسن الخلق ومنوالي في ذلك الأستاذ، فالله أسأل أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يجعل حصاد ما زرعه حسنات جاريات تبقى ما بقي علمه وأثره.

هوامش البحث ومصادره:

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلي، الدكتور ناصر الدين الأسد / دار المعارف / القاهرة / ط ٤ / ١٩٦٩م.

وعن قبيلة بني حنيفة انظر: تاريخ الإمامة لعبدالله بن خميس، وسيرة بني حنيفة في حرب الردة لسليمان بن سحيم النجدي، وولاية الإمامة للدكتور صالح الوشمي، والحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي

- الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض،
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٥ - ٨.
- (١٣) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٨.
- (١٤) يحيى بن طالب الحنفي، ص ٦ - ٧.
- (١٥) حمزة بن بيض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.
- (١٦) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ١٤ - ٢٢.
- (١٧) يحيى بن طالب، ص ١٣ - ٢٢.
- (١٨) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٣٠ - ٣٤.
- (١٩) يحيى بن طالب، ص ٢٩.
- (٢٠) المرجع السابق، ص ٢٧ - ٣٠.
- (٢١) حمزة بن بيض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٢٦٦.
- (٢٢) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٤٧.
- (٢٣) يحيى بن طالب، ص ٣٥.
- (٢٤) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٤٩ - ٥٢.
- (٢٥) يحيى بن طالب، ص ٤٠ - ٤٣.
- (٢٦) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٥٢.
- (٢٧) المرجع السابق، ص ٧٣ - ٧٤.
- (٢٨) يحيى بن طالب، ص ٤٤.
- (٢٩) المرجع السابق.
- (٣٠) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٥٣ - ٥٤.
- (٣١) حمزة بن بيض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٢٧٤.
- (٣٢) يحيى بن طالب، ص ٤٩ - ٥٢.
- (٣٣) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٥٤.
- (٣٤) يحيى بن طالب، ص ٥١.
- (٣٥) المرجع السابق.
- (٣٦) حمزة بن بيض، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٢٧٧ وما بعدها.
- (٣٧) المرجع السابق، ص ٣٢٥ وما بعدها.
- (٣٨) يحيى بن طالب.
- (٣٩) يحيى بن طالب، ص ٦١ - ٦٤.
- (٤٠) المرجع السابق، ص ٦٥.
- (٤١) يحيى بن طالب، ص ٦٥.
- (٤٢) يحيى بن طالب، ص ٧٠ - ٧٥.
- (٤٣) يحيى بن طالب، ص ٧٦ - ٨٧.
- (٤٤) المرجع السابق، ص ٨٨ - ٩٩.
- (٤٥) المرجع نفسه، ص ١٠٠ - ١٠١.
- (٤٦) يحيى بن طالب، ص ١٠٥ - ١٠٦.
- (٤٧) المرجع السابق، ص ١٨٩.
- (٤٨) المرجع نفسه، ص ١٠٧.
- (٤٩) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٧٧.
- (٥٠) المرجع السابق، ص ٨٠.
- (٥١) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٩٢ - ٩٣.
- (٥٢) المرجع السابق، ص ٩٤ - ٩٥.
- (٥٣) حمزة بن بيض، نادي الرياض الأدبي، ص ٣١٢ - ٣١٣.
- (٥٤) أستاذ مساعد في الأدب والنقد بكلية التربية في جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز بمحافظة الخرج، نائبة رئيسة مجلس إدارة: "صالون سارة الثقافي"، عضوة مجلس إدارة: "لجنة التنمية الاجتماعية في اليمامة"، شاعرة لها عدد من القصائد المنشورة نحو: مسك الختام، والحلم الممنوع. صدر لها عن دار ملامح للنشر: لغة الإشارة في الشعر الجاهلي "دراسة نفسية سيميائية". ولها عدد من المقالات البحثية

الجامعية" من تقديم د.عبد الله بن سليم الرشيد.

(٦٠) إشارة إلى ديوان: أعشاش الملائكة، جاسم الصحيح، الطبعة: الأولى، لبنان، دار الهادي للطباعة والنشر، ٢٠٠٤م.

(٦١) إشارة إلى ديوان: الأشج، غازي بن عبد الرحمن القصيبي، الطبعة: الثانية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، ٢٠٠٦م.

(٦٢) إشارة إلى رواية: الجنّة، غازي بن عبد الرحمن القصيبي، الطبعة: الأولى، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٦م.

(٦٣) إشارة إلى ديوان: مطر، الطبعة الأولى، الرياض، النادي الأدبي بالرياض، ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

(٦٤) إشارة إلى رواية: ترمي بشر، عبده خال، الطبعة: الخامسة، بيروت-لبنان، دار الجمل، ٢٠١٠م.

(٦٥) إشارة إلى رواية: القارورة، يوسف المحيميد، الطبعة: الرابعة، بيروت-لبنان، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨م.

(٦٦) ويقصد بها: الناقة تعقل عند قبر صاحبها؛ ليركبها يوم القيامة! انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، الطبعة: الثانية، الكويت، دار الهداية، ١٩٨٤م، ج: ٣٤ / ص ١٣١.

(٦٧) مأخوذة من قول أبي جهل لابن مسعود حين جعل رجله على عنقه يروم قتله بعد هزيمة المشركين في أحد. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، الطبعة الأولى، دمشق، ١٤٢٩هـ، ج ٢١ / ص ٣٩.

(٦٨) سقط الزند: أبو العلاء المعري، (د.ط)، بيروت، دار صادر، ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م، ص ١٩٣.

المنشورة في: "مجلة الحرس الوطني" نحو: مصادر الإلهام الشعري في ضوء العلوم الحديثة، وجدلية العلاقة بين الغرض الشعري وإيقاعه. ولها عدد من البحوث العلمية المحكمة نحو: النظرية المعرفية والشعرية العربية في مقدمة: الشعر والشعراء لابن قتيبة والحيوان للجاحظ، وآليات اشتغال السرد في قصيدة: "كورونا والجن" (مقاربة سردية).

(٥٥) مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري ت ٥١٨هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط)، بيروت، لبنان، دار المعرفة، (د.ت)، ج ٢ ص: ٣٢٧.

(٥٦) إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت ٦٢٦هـ، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٤هـ=١٩٩٣م، ج ٥ / ص: ٢١٠٣.

(٥٧) جامع البيان في تأويل القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي الطبري ت ٣١٠هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة: الأولى، مصر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م، ج: ١٨ / ص ٦٠٥.

(٥٨) شطر من بيت في قصيدة للشاعر ابن المقرّب يعاتب فيها نفسها: ((وابذلا في العز مجهودكما** لا يلام المرء بعد الاجتهاد)). ديوان ابن المقرّب، تحقيق وشرح: عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية- الأحساء، مكتبة التعاون الثقافي، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م، ص ١٧٦.

(٥٩) إشارة إلى ورقة علمية مقدمة في الجلسة السابعة من ملتقى النقد الأدبي الثاني، بتاريخ: ٢٦/٣/١٤٢٩هـ، معنونة بـ: "نقاد الصدفه- قراءة في الممارسات النقدية لمعدي الرسائل

عصر القصة القصيرة



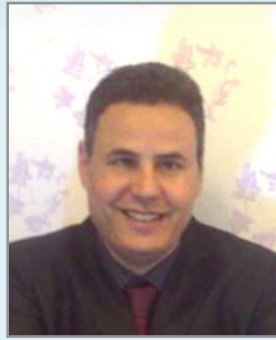
القادم هو عصر القصة القصيرة بلا
منازع

القصة القصيرة والنقد الأدبي :

حركة النقد الأدبي متباينة ، وليس
لها مقاييس ثابتة ، وهى تنجح دائماً
نحو الرائج ، وبتوجيه من دور النشر
والإعلام .

ومؤخراً بدأت تنجح ناحية القصة

القصيرة لما أحدثته من زخم كبير خصوصاً على
السوشيال ميديا ، ونتمنى أن تساهم فى تطويرها
وتقدمها ، وإن كانت السوشيال ميديا قد أخذتنا
إلى التحليل الإنطباعى المضلل الفاقد للعمق ، وقد



محمد أبوبالاب

العمل الأدبى هو فى الأساس
فكرة ، والفكرة هى التى تحدد
عدد كلماتها .. بينما الكاتب هو من
يصوغها ، ويحدد طرق معالجتها
، وتناولها الأدبى .. فقد تكون:
(شعراً أو رواية أو قصة قصيرة أو
قصة قصيرة جداً) .. المهم أن تصل
الفكرة إلى القراء فى قالب أدبى بديع
وممتع ومبهر ومفيد .

وفى زماننا هذا الذى عزف فيه الناس عن
القراءة إلى أشياء أخرى لا قيمة لها ولا هدف
مرجوا منها .. أعتقد أن القصة القصيرة هى الملاذ
الأخير للكتاب والقراء على حد سواء ، وأن العصر



القصة القصيرة ودور النشر :

نظراً لإرتفاع أسعار الورق والأحبار وباقي تكاليف الطباعة عموماً .. تفضل دور النشر الآن نشر القصة القصيرة عن الرواية لتقليل تكاليف الطباعة ، وإمكانية التوزيع بسعر مناسب للقراء .. عكس الروايات ذات الصفحات الكثيرة والأسعار العالية .. كما كثرت في الأونة الأخيرة المجموعات القصصية التي يشترك فيها أكثر من كاتب .. كل كاتب يساهم بقصة .

وفى النهاية :

من كل ذلك يتضح أننا ناهبون إلى عصر جديد تتربع فيه القصة القصيرة على كل الفنون الأدبية.. يتسابق الكتاب عليها ، وتتلهفها دور النشر ، ويتفاعل النقاد معها ، وتتسابق وسائل الإعلام في نشرها ، وإلقاء الضوء عليها .

عضو إتحاد كتاب مصر

طغى على الدراسات النقدية المتمرسية في ذلك .

القصة القصيرة والإعلام :

ساعدت السوشيال ميديا في إحداث تفاعل سريع ومباشر بين الكتاب والقراء .. كما أفردت الصحف والمجلات الأدبية صفحاتها لكتاب القصة القصيرة على نطاق واسع لجذب القراء ، مع تحديد عدد كلمات معين للقصة يتفاوت من وسيلة إعلامية إلى أخرى . والمجال عموماً لا يسمح بنشر رواية أو فصول منها على حلقات .. بعد عصر طويل كانت فيه الرواية سيدة الفنون الأدبية .

القصة القصيرة والجوائز الأدبية :

إنتشرت بكثرة في العالم العربي مسابقات وجوائز القصة القصيرة والمجموعات القصصية المنشورة وغير المنشورة ، وإن كان أهمها على الإطلاق جائزة سرد الذهب الإماراتية ، والملتقى الكويتية ، والطيب صالح السودانية .

راعي الدببة

سبرطي يربّي أمزجته سواعد فولاذية.
وتعبرُ مَخِيلَةَ الثور الجالس وهو
يؤدّي رقصة الشمس يرسل نبوءته
هدهدا يعلن عصيان الرياح.
من فم الشروق تخرج؛ تقرؤك
المرأة شهّي الشعور تحرسُ الدّبة
من أساطير الإغريق و مفسّري الأحلام
تجار الفراء ؛ جافلا تصعد هَضَبَاتِ
البراري المنسية تتبع فراشة المجاز و
تُصدّق فراسة نمل الحيرة.



عبد الوهاب الملوّح

أيُّهذ اللعين وقد أمضيت ميثاقلك مع السراب!
أيُّها ذا اسمك المُشتقُّ من وعورة المتاهات القطبية!
أيُّ هذا التهورُ!
أيُّ هذيانات الوثوق بصيادي السلمون عند
منخفضات الأنهار، أشباه القراصنة!
لو لم يكن قلبك مدقة زهرة اللوتس،
لو لم تكن ابتسامتك دمية ماتريوشكا،
لو لم يكن جبينك حفلة أمازيغية،

تقفُ بينك وبين ظلك، تُوقظُ غبارا
مُسناً يرقد في تجاعيد صمتك، تلعك بشرّة
روحك لبّانا يضيء جغرافيا لنمل الحيرة
وهو يصعد تلال خزرك الغامضة؛ تُنقذُ
سلالة أخيلتك من حروب إبادة أشعلتها
كُهوّلة عاطفتك الطائشة؟
سترى إن قلبك وردة
وترى إن الوردة فكرة
وترى إن الفكرة دراجة هوائية
وترى أن الدراجة الهوائية طريق
وترى إن الطريق امرأة
يا لقلبك المرأة...
هكذا؛

سوف تنجو من مرتزقة غزاة جاؤوا لينهبوا عزلتك
من سيرتك الحافلة بالضحك الطاعن في الشجن الوقح.
ستعبرُ كُهوّفَ مشاقلك كجندب ينفذ من الليل
بصلحه؛
وتعبرُ نوم السحليات في قيعان الشتاء المتشدد بهمة



لانفجرت في وجهك المرأة شظايا من روحك.

ترتجل غابة تكون فيها المتاهة مهرجانا والعتمة
ظلال غيوم تكبر كلما فتحت في غيابة النسيان قيعانا
تزداد قهقهة تطيل التوقف أمام امرأتك المرأة لتدرك
أنك لست مرآة.

هل كان من الضروري أن تضلل اليعاسيب لتلسعك
ملكات الشمع الأسود؛
تفتنك حدوسك العشوائية وهي تستدرجك إلى كمائن
أكلي روحك؛

ولن تنقذك صلوات كهنة المعابد الوثنية،

لن يُنقذك مُحاربوا الفيكينغ،

لن تنقذك اصابعُ العشرون،

لن تنقذك سيدوري ونبوءاتها

سوف تسلّم نفسك لرقصة الدببة تنقذك بامرأة

النون من حتوف حدوسك العشوائية.

يا ابن آلهات الفوضى

المتعنتات، المتحفزات، المتهتكات، المتشتمات، المتأنقات

بحُلٍّ ضحكاتهن، المتحممات بالبرق، المتجليات،

المتأبدات.

ما حاجتك الان بالسماء وما حاجتك بالله فيك

وانت الجرح رمح في كبد الغيب؛ لا ترتب شهواتك كما

تصف عروس شعرها

وانت الذي قد هيا في المجاز ممشي

يُدشن برّ المتاهة يدخله ثملاً؛

يختصر الليل منشفة

للحنين نبل من فرط لوعته؛

يتداعى له الظل مُكنسة

نعتق وعشاء هذي الطريق من خلّب الوصول ؛

برّ ولا شيء فيه يرى

لا السماء

ولا الأرض؛

لا البدء ولا المنتهى؛

وتلم بكفّيك محاصيل كفيك حلا أضاء صباحات

تنفتح شبابيك في الأبدية؛

تركض خلف وُحام الهواء

وتفلت منك خطاك ولن تكتفي بالضلال.

لك هذا المدى وانشغال الحصى بهموم الغرقى في

قيعان الأنهار العالية.

ولك ما لك

شغف الامتلاء بما لا يجي

لك حصّة امرأة الحلم من فرح

يتدفّق مرآة ضحكاتها؛

ولك كل هذا الخلاء وعوائل الدياسم تنصّبك جدّها

الأكبر.

تفتح لك المرأة مدارج لتنهج نسيبا تمر عبره إناث

النمل والذرّ.

الان أوقد المجوس نارهم المقدسة بدمائهم في خشوعهم

فكانوا دخانا تنفسته الانهار والجبال والوديان واتخذت

الازهار هيأته وادعى الملوك انه بشرتهم.

بين نهريْن عدوَيْن تشقّ الليل نصفين جريحين تُعدّ

عظم القصّ جسرا؛ تنتهي في اربخيل الملح صيادا وحيدا

لقطيع الدببة السّود مهدودا ينال الظمأ الأعمى من

السّكر في حُلْمك، مأخوذا بحمّى النمل من حولك قتلى.

بين هوائين هواء لك والآخر للناجين من طيبتهم،

للسلمون ،

للدعاسيق لأحفاد اليعاسيب...

هكذا تُحصي المجرّات لدورية نملٍ فلكيين أجادوا

لغة التقويم في تأويلهم للقرى

وأعدّوا كعب أخيل وترتيبات قتل الأب في آخر

وصفات كتاب الطبخ،

فامض الان تروبادور أرياف شمال القلب؛

تمضي حيث تنأى الدببة عن رضع النمل عن النحل

و حلم السلمون

وتعيد النظر الان مرايا في بروج الحظ.



د. عبد العزيز بن محمد السبيّل

محمد الشارخ والإنجاز الثقافي

ومكانيا .

بدأ الشارخ مشروعه الطموح برقمنة اللغة العربية وقواعدها نحوًا وصرفًا. وقام بإنتاج أول برنامج حاسوبي للقرآن الكريم وكتب الحديث التسعة باللغة الإنجليزية، وتحديث أرشيف المعلومات الإسلامية الذي يضم بالإضافة للقرآن الكريم، موسوعة الحديث الشريف، وموسوعة الفقه الإسلامي، وبرامج، وقواعد معلومات إسلامية أخرى، وجهوده في تعريب وإنتاج برامج الحاسوب منذ عام ١٩٨٢، ومعجم إلكتروني معاصر للغة العربية، وبرنامج المصحح اللغوي، والنطق الآلي بالعربية الفصحى، والترجمة الآلية، وتطوير نظام إبصار للمكفوفين. يضاف إلى ذلك تطويره للعديد من البرامج الثقافية، والتعليمية للناشئين، والخاصة باللغة العربية والثقافة الإسلامية. وبذلك منح جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام للعام ٢٠٢١.

بكمبيوتر صخر، دخل الشارخ التاريخ بكونه أول من أدخل اللغة العربية إلى عالم التقنية من أوسع الأبواب، بعد ما كان كثيرون يجزمون بصعوبة ذلك. وتمكنت الأمة العربية من مواكبة عصر التقنية بلغتها وتراثها وتاريخها.

بدأ محمد الشارخ (١٩٤٢-٢٠٢٤)، رحمه الله، رحلته الدراسية في تخصص الاقتصاد والعلوم السياسية من القاهرة، وأكملها بدراسة الماجستير في التنمية الاقتصادية من أمريكا، وانعكست هذه الدراسات على تجربته العملية التي بدأت بعمله نائبًا للمدير العام للصندوق الكويتي للتنمية، ثم عضواً في مجلس إدارة البنك الدولي للإعمار والتنمية في واشنطن.

هذه الدراسات والتجارب العملية أطلعت الشارخ مبكراً على أحوال العالم الأقل حظاً في التنمية، ومنحته رؤية أشمل لهذا الواقع، مما خلق لديه شغف الرغبة بتطوير المجتمعات العربية الإسلامية، اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً. كان مسكوناً بهوم أمته، متطلعا إلى تنميتها، والنهوض بحاضرها، والاستفادة من تقنيات العصر الحديث، ومعطيات الدهر الحاضر. وبالنسبة للثقافة، حمل محمد الشارخ رسالة سامية وهما إسلامياً عربياً، وشغفاً فكرياً في تأصيل الثقافة الإسلامية والاهتمام بكنوزها، ونقلها من الأضابير الصفراء التي تحتاج إلى جهد كبير، وزمن طويل، للاطلاع عليها واكتشاف أسرارها، والانتفاع بها، إلى عوالم التقنية العصرية. وبذلك انتقلت إلى عالم يشع بالضوء والمعرفة، ويجعلها متاحة للجميع، زمنياً

في مجالسه وأحاديثه، يفيض كلامه بالاستشهاد الشعري، مما يعكس ثقافة أدبية عالية. فمثلاً، حين الحديث عن أفكاره ومشاريعه ومدى ثقته بنجاحها، يختصر ذلك بالاستشهاد ببيت بشار بن برد:

ترجو غداً، وغدٌ كحاملة
في الحي لا يدرون ما تلدُ

وعلاقته بالتاريخ والفنون انعكست فيما كان يقدمه لإصدقائه من هدايا. إحداها مثلاً تمثال ذهبي صغير لغزال، مستوحى من الأصل المصري القديم، الموجود حالياً بمتحف المتروبوليتان في نيويورك. ويعود هذا التمثال إلى فترة العمارة القديمة ما بين ١٣١٧ و ١٣٣٩ قبل الميلاد.

كان محمد الشارخ رجلاً طموحاً، لا مستحيل لديه، تتضاءل أمامه الصعوبات، فيحفر بالصخر، لينتج عطاء ثقافياً سخياً، وكأنه المعني بالشرط الثاني من بيت أبي الطيب المتنبى:

وتعظم في عين الصغار صغارها وتصغر
في عين العظمى العظام

وإذا كان الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى قد قال:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين حولاً لا أباً لك يسأم

فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لمحمد الشارخ. في ثمانينه، كان لديه طموحات كبيرة، وأفكار كثيرة. ورغم ظروفه الصحية، كان يسافر ويمتطي الطموح والإنجاز، وتمتلى جعبته بالكثير من المشاريع التي أرجو أن تتواصل عبر أبنائه ومساعديه.

رحم الله الأستاذ محمد الشارخ، وتغمده بواسع مغفرته، وأمطر عليه من شآبيب رضوانه.

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

لم يقف الشارخ عند حد العمل التجاري المتمثل في بيع الأجهزة والبرامج العربية في شتى العلوم، بل عمل على إنشاء مراكز للتدريب والبرمجة منذ ثمانينات القرن الماضي، وتدريب أعداد كبيرة من المتعلمين، عبر إنشاء معاهد حاسوبية جعلت العرب وثقافتهم تواكب العصر التقني.

تبنى وساهم في العديد من المشاريع القومية العربية الثقافية، منها مشروع "كتاب في جريدة" الذي استمر لسنوات عبر منظمة اليونسكو. وقد ساهم هذا المشروع بدور إيجابي في حضور الإبداع العربي عبر كامل الخريطة الجغرافية العربية، من خلال وسائل حديثة متاحة للجميع. ومنها أيضاً دعمه لمركز الوحدة العربية الذي عرف بإصدارتها الثقافية والفكرية، ودعمه للمنظمة العربية للترجمة ذات الصلة بالمركز. ولعل من أهم مشاريعه التي تمثل إبداعاً في الرؤية والتوثيق، والمحافظة على التراث العربي مشروع "إرشيف صخر / الشارخ للمجلات الأدبية والثقافية العربية" الذي بدأ من المجلات الصادرة منذ العام ١٨٨٠، حتى العصر الحاضر، وشمل رقمته ٢٧٢ مجلة عربية، بما يربو على مليوني صفحة، وجعلها متاحة لقراء العربية مجاناً حيثما كانوا.

محمد الشارخ أديب أريب، يتعامل مع الكلمة بوعي، ومع اللغة باتساع أفق، ومع الثقافة بشمولية الرؤية. لم يكن قارئاً نهماً، ومتابعاً متواصلاً مع عالم الأدب فحسب، بل كان منتجاً للإبداع. فقد كتب القصة القصيرة، وأصدر ثلاث مجموعات قصصية. الأولى "عشر قصص" (٢٠٠٦)، والثانية "الساحة" (٢٠١٢) والثالثة "أسرار وقصص أخرى" (٢٠١٧). وفي المجال الروائي أصدر رواية "العائلة" (٢٠١٨)، التي عبر، من خلالها، عن كثير من رؤاه وأفكاره عن الواقع الاجتماعي والفكري والسياسي.



صلاح عبد الستار محمد الشهاوي*

واحة أحد (١)

- من الأدب العالمي:

حلم شوانج تسو بأنه فراشة، وحينما استيقظ لم يعد يعرف إذا ما كان تسو هو الذي حلم بأنه فراشة، أم أن فراشة هي التي كانت تحلم بأنها تسو .

(شوانج تسو: حكيم صيني عاش في القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد)

- من الأدب العربي:

"يا بنية انك تقدمين على نساء قريش وهن أقدر على الطيب منك فلا تغلبي على خصلتين، الكحل والماء، وليكن أطيّب طيبك الماء". (وصيه الفرافصه الكلبى لأبنته نائلة حين جهزها إلى زوجها عثمان بن عفان)

- طرائف شرقية

- مر رجل بقوم قد اجتمعوا على رجل يضربونه، فقال لأحد الضاربين: ما حال هذا الرجل؟ قال: والله ما أدري حاله، لكني رأيتهم يضربونه، فضربته معهم طلباً للثواب.
- روي جلال الدين الرومي في كتابه المثنوي أن أحد ملوك فارس القدماء أراد أن يقيم مباراة

- في حضرة الشعر العالمي:

قال الشاعر الصيني وانغ جوه جن: ليس لديك سبب لتحزن، وتتأرجح حائراً، لأنك الخريف، وكذلك ليس لديك سبب لتتكبر، تُصعّر خدك، لأنك الربيع،

- دعوا خبزكم على عتبة كهوفكم للجائعين،
واتركوا بعض الثمار على غصونها لعابري الطريق.
(بوذا)

- الوجه ينبئ عما في الضمير.

(هوميروس)

- ندنو من العظمة، بقدر ما ندنو من التواضع.

(طاغور)

- كثير من الناس يلعنون الحياة، لأنهم يطلبون
منها في سن الأربعين أشياء كثيرة لو طلبوها في سن
العشرين لأعطتها لهم!.

(العقاد)

alahalshehawy@yahoo.com

*عضو اتحاد كتاب مصر

في النقش والتصوير بين مهندسي الصين واليونان
وفنانيهما وقد دعا لأجل ذلك نخبة المبدعين من
البلدين وبني قاعة طويلة وواسعة ثم جعل كلاً
من الطرفين في جانب وأمرهم أن يشرعا في العمل
فاصلاً بينهما بستائر سميكة بحيث لا يرى أحدهما
ما يفعل الآخر. وفي حين استنفر مهندسو اليونان
كل مواهبهم لصنع أروع الزخارف والنقوش اكتفى
مهندسو الصين بصناعة مرايا عظيمة ثبتوها على
جدران المنطقة المخصصة لهم وعمدوا إلى تلميعها
وصقلها لتصبح في منتهى الصفاء والشفافية. حتى
إذا أمر الملك بأن ترفع الستائر بين الفريقين بدت
نقوش اليونان في مرايا الصين أكثر روعة وجمالاً
مما هي عليه في الأصل، وحكم الملك للصين على
اليونان في نهاية المباراة.

- طرائف غريبة

- سُئل الكاتب أوسكار وايلد عن الكتاب الذي يود
قراءته إذا ما أُلقيت به سفينة يوماً في جزيرة قاحلة،
فقال: هو كتاب: كيف تصنع سفينتك بنفسك!

- كان الكاتب الأيرلندي الساخر جورج برنارد شو
مختلفاً عن صديقه تشسترون - برغم صداقتهما
الحميمة- في كل شيء، فشو كان هادئاً ساخراً نحيلاً
لا يأكل اللحوم، بينما تشسترتون صاخباً بديناً، محباً
للحوم، وجمعتهما مائدة يوماً، فنظر تشسترتون إلى
شو وقال: إن من ينظر إليك يحسب أن في إنجلترا
مجاعة. وبهدوء رد شو: ومن يراك يدرك سبب
المجاعة!

- قالوا:

- الذي يعرف لا يتكلم.. والذي يتكلم لا يعرف.

(لاو تسو)

- من جهل قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل.

(مثل عربي)



صدر مؤخراً للشاعر والناقد والمفكر السوري - اللبناني أدونيس عن دار التكوين للنشر بدمشق

"ها أنت أيها الوقت: سيرة شعرية ثقافية"



هشام عدرة

سبعين عاماً في الشعر والمسرح والدراسات والترجمات، جاء على شكل مذكرات مختصرة يتناول فيها أدونيس الأماكن التي عاش واستقر بها من دمشق إلى بيروت وعلاقته مع الأدباء والشعراء من أقرانه في تلك البلدان التي احتفت به، واحتفى بها هو الآخر من حيث الأحداث التي عاشتها في

صدر مؤخراً عن دار التكوين للطباعة والنشر بدمشق كتاب الشاعر والناقد السوري اللبناني (أدونيس) - علي أحمد سعيد - تحت عنوان: (ها أنت أيها الوقت: سيرة شعرية ثقافية) والكتاب الجديد الذي جاء بنحو ١٥٥ صفحة بعد عشرات الكتب التي قدّمها أدونيس للمكتبة العربية والعالمية على مدى



**- يتحدث به عن المرحلة الأولى من حياته
الشعرية والثقافية، ومن ثم علاقته
ب(يوسف الخال) وبيروت وإطلاقهم
مجلة "شعر" وبعض المحطات المهمة
في تلك المسيرة التي تثير أسئلة
فكرية وشعرية عن التجديد وقصيدة
النثر ورسالة مجلة شعر.**



ويعيد تكوينه في اللغة، وبها، أنيقاً، مترفاً، بهياً؟
يتابع أدونيس: في ذلك الوقت سؤال كان شاغلي
الأول: "ماذا أقرأ؟" حيث تتلمذ على الشعر العربي
القديم من خلال أبيه في القرية الذي علمه القرآن
الكريم وتجويده، فيما كان بالجامعة (جامعة
دمشق) بدأت الهوة تنحفر بينه وبين الواقع وما
يحيط به..

يتابع أدونيس سيرته الشعرية الثقافية التي
شهدت في عام ١٩٥٦ انعطافة مفصلية في حياته،
وهي وصوله لبيروت واستقراره هناك بعد أن تزوج
من (خالدة) بعد شهر من خروجه من السجن الذي
أمضى به نحو السنة دون تهمة ودون محاكمة؟..
وفي اليوم الذي وصل لبيروت بشهر أكتوبر أذيع
نبأ الهجوم على قناة السويس، يصف شعوره هنا:
كنت آنذاك مسكوناً بالشعور أنني لست أكثر من
ركام: كنت منكسراً، خائباً، شبه يائس.

هنا أدونيس يكتشف بيروت حيث قدميه
تلامس ترابها لأول مرة، وبعبارات محدودة أقرب
إلى الفلسفة منها إلى الشاعرية يوازنها بدمشق
التي تركها: شعرت أنها ليست مدينة (النهايات)
كمثل دمشق وإنما هي مدينة (البدايات) وليست
مدينة (اليقين) بل مدينة (البحث)!. .. ينتقل بعدها

القرن الماضي التي عايشها أدونيس، وفعلت به ما
فعلت، كما تفاعل معها محلاً في الفصل الأول من
كتابه الأحداث السياسية والتحول الاجتماعي التي
حدثت في تلك البلدان والأسباب والنتائج وانعكاسها
على الحالة الثقافية، فالقاهرة كما يحلل أدونيس
كانت طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول
من القرن العشرين المركز العربي الأول لما يمكن
أن نسميه (صراع المعاني) في الثقافة العربية وبدءاً
من أواخر الخمسينيات أخذت بيروت تحل محلها،
ولكن يستدرك أدونيس هنا ليؤكد أن صراع المعاني
في القاهرة كان يأخذ طابع التحرر من الآخر، غير
العربي، لمزيد من توضيح الهوية وتأكيد الاختلاف.
أما في بيروت فقد ازدوج هذا الصراع: انضاف إلى
هاجس اختلاف الذات عن الآخر، هاجس اختلاف
من نوع آخر! لقد صارت بيروت - حسب أدونيس
- مكاناً للسؤال حول كل شيء، ومكاناً لإفساد كل
شيء، بالمعنيين - الإيجابي السلبي - فهي ليست
مجرد مدينة بل كانت بقعة مصغرة لبلاد شاسعة،
وتاريخاً مصغراً لمسار ثقافي كامل، مع انفجار
المعاني، وحيث الثقافة تأخذ بالانفصال عن الثقافي
مع تغليب السياسي على الثقافي، ولينتهي أدونيس
هذا الجزء التحليلي بأن بيروت كانت أكثر من
مختبر كانت المرصد!؟...

مع تسلسل أقسام وصفحات الكتاب - السيرة
الشعرية الثقافية - نتابع مع أدونيس سيرته
الشعرية وآراءه بشعراء عصره وبقصيدة النثر التي
كان من أبرز مؤسسيها في خمسينيات القرن الماضي،
فمع انطلاقته بعد تخرجه من جامعة دمشق عام
١٩٥٤ يؤكد أدونيس هنا أن سنتين أمضاها في
خدمة العلم كانت حاسمة بتأثيرها على حساسيته
الشعرية ونظرته إلى الأشياء والناس، خاصة وأن في
ذلك الوقت كان نزار قباني يملأ دمشق وكان بدوي
الجبيل الصدر الذي يحتضن جسد الشعر العربي،

”

**. كان نزار قباني يملأ دمشق وكان بدوي
الجبل الصدر الذي يحتضن جسد الشعر
العربي، ويعيد تكوينه في اللغة، وبها،
أنيقاً، مترفاً، بهياً.**

“

المجلة من هجوم كاسح من شعراء القصيدة التقليدية العمودية، ومن النقاد العرب وحراس الإرث الشعري العربي الفراهيدي، خاصة وأن كل من هياً لهذه المجلة، وشارك في التخطيط لها، وفي مقدمتهم يوسف الخال يؤسسون بوعي كامل لمرحلة جديدة في الشعر العربي، وبكثير من التشويق للقارئ يكتب أدونيس عن لحظة طباعة العدد الأول من مجلة (شعر) وما ضمته من قصائد يقول هنا: في مطلع عام ١٩٥٧ صدر العدد الأول من مجلة " شعر " العدد الأول: كان صدوره فاتحة هجوم صاعق، ومن جميع الجهات، كان المهاجمون كثراً ومتنوعين: مزيجاً غريباً من الأشخاص: متشاعرين، شعراء، متحزبون، متعهدي وطنيات وأيدولوجيات.. لم نحزن على حالنا من هذا الهجوم، وإنما حزنا على الثقافة والوسط الثقافي، وحزنا على العقلية الكامنة وراءهما، حزنا على مستوى التفكير، ومستوى الأخلاق: فلم تبق شتيمة أو " تهمة " إلا وجهت إلينا؟!.. لقد افتتح العدد الأول بقصيدة لشاعر لم نكن نعرفه معرفة شخصية - يتابع أدونيس السيرة - أو نعرف من نتاجه إلا الشيء القليل، هو (سعدى يوسف) كما ضم العدد قصيدة لشاعرة كانت تقول إنها أول من كتب " الشعر الحر " أي أول من أطلق حركة التجديد، كما تفهمها، وهي

أدونيس ليتحدث عن لقائه بـ(يوسف الخال) ولكن بعد أن تعرف على بيروت شارعا، شارعا من الجهات كلها، خصوصاً من جهة البحر، هذا البحر الذي قلماً رأيته - يستدرك أدونيس (وهو ابن ساحل المتوسط السوري) - أعني قلما عرفت أن أراه في جبلة واللاذقية وطرطوس، حيث ولدت، ونشأت، أخذ يبدو لي كأنه شموخ بين أطرافي، وكأن نبض أمواجه يمتزج بنبض أعضائي، كنا مختلفون فتألفنا، وكنا منفصلون فتواصلنا؟!..

في الصفحات التالية والأجزاء المرقمة من كتابه يتحدث أدونيس عن لقائه الأول بـ(يوسف الخال) واتفاقهما على تأسيس مجلة (شعر) لتؤسس لمرحلة جديدة في الحياة الشعرية العربية، وهي مرحلة (شرعنة) قصيدة النثر أو القصيدة العربية الحديثة، كانت أفكاره تتلاقى مع الخال، وهما يبحثان ويتوقعان في كل لقاء ما ستعرض له





يختم أدونيس كتابه بالقسم العشرين من كتابه وبحوالي ٣١ صفحة برسالة وجهها إلى يوسف الخال من، ويتحدث في أسى عن انهيار بيروت والحداثة، ويراهن على بقاء فتنة الأسئلة والشعر



ويتساءل إذا صح ذلك فلماذا لا يصح القول أيضاً أنه سارق أي (الشاعر العربي) عندما يكتب بأوزان لم يبتكرها، بل انتحلها؟

يستفيض (أدونيس) في أقسام الكتاب الأخرى بالحديث عن (يوسف الخال) وتجديده الشعري وفكره ورؤيته للحياة ومع أن (أدونيس والخال) كانا مختلفين فنياً وفكرياً ولكن لم يكن هذا الاختلاف يعرقل عملهما المشترك أو يبلبل صداقتهما بل كان على العكس يزيدهما اتئلافاً، ويعمق معرفة كل منهما بالآخر ويوثق صداقتهما. يختم أدونيس بالقسم العشرين من كتابه وبحوالي ٣١ صفحة برسالة وجهها إلى يوسف الخال من باريس في ١٠ فبراير ١٩٨٧ (قبل وفاة يوسف الخال بشهر حيث توفي في يوم ١٠ مارس ١٩٨٧) إذ استقر هناك يتحدث فيها بكثير من الوفاء والحميمية عن كل الوقت الذي أمضاه مع يوسف الخال: كنا في حلم حقاً، حلم أن نكتب وأن نغير لغة الكتابة وأفق الكتابة.. في بيروت يكتمل انهيارها، والحداثة يكتمل ابتذالها، فلقد "عمّت حتى خَمّت": أُفْرِغَتْ من محتواها.. ليختم أدونيس رسالته الطويلة ليوسف الخال بقوله: إنها فتنة الأسئلة، إنها فتنة الشعر. سلاماً، سلاماً.. (أخوك وصديقك ورفيقك: أدونيس)؟!...

(نازك الملائكة) كما ضم العدد قصائد لشعراء يكتبون الشعر نثراً، وهم البير أديب وابراهيم شكر الله، وقصيدة موزونة مقفاة لبدوي الجبل وقصائد لشعراء آخرين، ومنهم فدوى طوقان وقصيدتين ليوسف الخال وأدونيس، ودراسات نظرية ونقدية.

يتابع أدونيس بعدها الحديث وبإسهاب عن نظريته للقصيدة العربية وموضوع التجديد الشكلي - الوزني ومستويات التجديد في الرؤية ليصل إلى اكتشاف مفارقة لا تزال شائعة في النتاج الشعري العربي "الحديث" وهي أن التجديد الشعري مسألة كيانية، وكلّية - فن ولغة - ليس الوزن أو عدمه إلا جانباً بسيطاً وثانوياً فيها.

يتذكر هنا أدونيس المحاضرة التي ألقاها يوسف الخال في أواخر عام ١٩٥٦ في الندوة اللبنانية بعنوان "مستقبل الشعر العربي في لبنان" ويصفها على أنها كانت بمثابة البيان النظري الأول عن الحداثة الشعرية العربية. ولذلك ومنذ البداية كانت نظرة مؤسسي مجلة "شعر" إلى قضية التجديد الشعري في إطار ثقافي شامل. في القسم الرابع عشر من الكتاب يتحدث أدونيس وبشيء من التحليل الفكري الثقافي عن مجيء الشاعر بدر شاكر السياب إلى بيروت، بدعوة من مجلة "شعر" كان ذلك في ربيع ١٩٥٧ فشكّلت زيارته حدثاً شعرياً - ثقافياً، حيث كانت بيروت نقطة لقاء بين الرغبة في الخروج من الثقافة العربية "النظامية"، الإيديولوجية والرغبة في الإفصاح عن المكبوت الثقافي - رمز الحرية والتحرر -

في القسم التاسع عشر من كتابه يستغرب أدونيس كيف يهتمون الشاعر العربي الحديث بأنه سرق أو انتحل قصيدة النثر (هناك من اتهمهم بتقليد وانتحال قصيدة النثر الفرنسية)

تأثير التكنولوجيا الحديثة في السلوك العدواني للطفل

،فإن الإنسان عموماً لم يستطع أن يستوعب تلك المتغيرات، بل وقف أمامها متوجساً، وكان عليه أن يحسن استقبالها وألا يقف أمامها موقف العداء، لأنها أصبحت جانب أصيل في نسيج حياته بكل تفاصيلها اليومية. فهي أشبه بإعصار عاصف، يجتاح العالم بمنتهى القوة والعنف، فمن يقف أمامها موقف الخصومة



محمد عبد الظاهر المطارقي*

والتحدى سوف تفتك به وتقضى على وجوده. وهذا ما نراه بأعيننا. فثمة مسافة زمنية شاسعة بين جيل الكبار وبين الجيل الجديد الذي صارت التكنولوجيا ووسائل التواصل هي المكون الأساسي لثقافته، بل صارت التكنولوجيا هي البنية الأساسية التي يبنى عليها كل حياته الحاضرة، ومستقبله بما يحمله من أحلام وطموحات.

وإذا كنا هنا بصدد الحديث عن الطفل وعلاقته بالتكنولوجيا الحديثة وأثرها السلبي. فينبغي أولاً أن نؤكد أن الطفل هو ابن شرعى لتلك البيئة العصرية، وهو يتعامل معها بمنتهى الأريحية. ولكن لا يفوتنا أن الطفولة في ذاتها تتكون من مراحل عدة، كل شريحة عمرية تختلف

لا يمكن لأى عاقل أن ينكر ما وصلت إليه البشرية من تقدم وازدهار في كافة مجالات الحياة وذلك بفضل التكنولوجيا الحديثة المتطورة.. لاسيما وقد حدثت طفرة هائلة ومتلاحقة في عصرنا الحالي.. فصارت التكنولوجيا ووسائل التواصل عنصراً مهماً وأساسياً من مكونات الواقع المعاش. وبرغم هذا

التطور العجيب المذهل الذى حدث



وكما أن الأسرة تعد هي المكون الأساسي والرئيسي في صيانة وحفظ وحماية أطفالنا من الألعاب العنيفة والإعلانات التي تتخلل تلك الألعاب بخبث وهى تحمل في مضامينها جوانب الشذوذ والاباحية الفاضحة التي لا تتناسب مع مراحل الطفولة بكل شرائحها. فإن دور العبادة لها دور مهم في توعية الصغار، وتقديم الدروس الواعية للكبار أنفسهم. وهناك قصور الثقافة والمدارس وكلاهما بما تتضمنه من أنشطة عديدة ومتنوعة يمكنها أن تغذى الطفل، من التشجيع على القراءة وممارسة الفنون التشكيلية والتعبيرية، وتقديم المسابقات والجوائز التي تحفز الطفل وتشجعه.

وهناك وزارة الشباب ودورها الحيوي والمهم في تشجيع الصغار على ممارسة الرياضة .. إن الاستخدام المفرط للطفل للوسائل التكنولوجية ومن بينها الهاتف النقال، واللوح الرقمي يؤدي إلى انتكاسات صحية قد تصل إلى حد العاهة المستديمة. كما تؤثر على الفقرات العنقية والابصار. كما تؤدي به إلى الانعزالية والوصول إلى حالة من التوحد الذاتي مع هذا العالم الافتراضي مما يجعله شخص غير فاعل في المجتمع، يغلب عليه الانطوائية والعزلة. إن من النتائج السيئة التي تصيب الأطفال من فرط استخدامهم للوسائل التكنولوجية بدون ضابط أو رابط أو رقيب شدة الادمان (وهو ما يعرف بالإدمان التكنولوجي) وقد يقع تحت سطوة الراشدين ممن هم منحرفون أخلاقيا، أو الخارجين على القانون. فهم بمقدورهم أن يتسللوا إلى عقل الطفل ويوزعوا إليه بالحيل الشيطانية حتى يصل به الأمر إلى السرقة أو القتل وربما الانتحار.. كلعبة الحوت الأزرق وغيرها من الألعاب.

• كاتب وباحث في أدب الطفل (مصر)

عن غيرها من المراحل السابقة واللاحقة. ومن ثم فإنه يتوجب على المجتمع أن يحسن تقديم الرسالة بما يتسق مع الفئة المستهدفة، وكذلك ما يتوافق أيضا مع القيم الثابتة والتقاليد الراسخة والعرف والدين والأخلاق السائدة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية. والمجتمع هنا يعنى مجموعة المؤسسات ذات الصلة بالطفولة . فالأسرة عليها أن تقوم بالرقابة على ما يتم تقديمه سواء كان ذلك من خلال القنوات الفضائية والبرامج الموجهة والأفلام الكرتونية التي تسعى جاهدة من أجل الوصول إلى عقول ووجدان أطفالنا وهى أفلام فائقة الجودة، جاذبة بصورة لافتة بيد أنها تصطدم بقيم وثوابت المجتمع. فنجد أفلام العنف والرعب والجنس، وزنا المحارم. والمثلية الجنسية . بدعوى الحرية والتحضر الإنساني.. وهى ثقافة ممنهجة ومقصودة من أجل الوصول إلى أهداف فاسدة .

إن احتلال عقول ووجدان أطفالنا بهذه الثقافة الزائفة لهو ضمانة أكيدة للسيطرة على الشعوب لاسيما الشعوب العربية والإسلامية.. فهى الشعوب التي لاتزال تحمل القدرة الحقيقية على التصدى لتلك الأعاصير الهوجاء بما تحتفظ به من أصول ثابتة وعقيدة صحيحة وراسخة.

إن التكنولوجيا الحديثة شأنها شأن النار والسكين. فكلاهما يمكن استخدامه بطرق مشروعة تحقق الفائدة المرجوة.. ولكن يمكن تحويل تلك الأدوات إلى وسائل قتل وحرق وهدم إن تم استخدامها في غير الموضع الذى جعلت له.

نحن هنا نؤكد أن التكنولوجيا على وجه العموم تحمل في فحواها أسرار التقدم والازدهار، وتيسير سبل الحياة واختصار المسافات الزمكانية. هذا لو أحسننا استخدامها بما يتوافق مع أهدافنا السامية.

رويدك يا شهر الصيام

الشاعرة / نجاه الماجد

وضيفُ أتى بالأمسِ ماضٍ يودُّعُ
وعيني على فرقاهُ تهمي وتدمعُ
سريعاً مضى والنفْسُ بعدُ شغوفةُ
لتنهّلَ من نهرِ الثوابِ وتجمعُ
كأن لم يَكُن بالأمسِ هلْ هلالُهُ
فأحيا قلوبَ الخلقِ ذكراً يُشعِشِعُ
رويدك يا شهرَ الصيام فإننا
بمرعاك كالجوعي تجودُ فنرضعُ
ألا أيُّها الضيفُ العزيزُ ترفقاً
لعلك للريانِ تهدي وتشفعُ
لعفوٍ وغفرانٍ وأجرٍ وجنةٍ
وعتقٍ من النيرانِ نرجو ونطمعُ

نقاء..

د. منى بنت صالح الحنيف

في زاوية من حنايا ذلك القلب وجد ظلًا رمادية
بدأ لونها بالتلاشي والتحول إلى بياض.. عَلمَ أن السواد
لا يدخل قلبها، فلا يمكن للدناءة والدناسة أن تغلب
النقاء مهما نازعته.. أنهى جولته وقرر الخروج، وعند
عتبات المخرج.. وجد ما لم يتوقعه.. بقعًا حمراء
لجرح بدأ يلتئم بعد نزف عميق..

قرر الدخول إلى قلبها.. أراد أن يعرف ماذا يخبئ
ذلك القلب البسيط في تعامله، الغامض في مشاعره..
وجد مدخلًا صغيرًا نفذ من خلاله.. أخذته الخطوات
إلى الداخل حيث الصمت الذي طالما تردد صداه على
مسامعه.. تلفت حوله.. لكنه لم يجد سوى البياض
يلتف حوله، وكأنه قد دخل إلى قلعة جليدية..

رغيف أسود

طقوس الوداع التي تمارسها الأسرة كلما حل موعد نزول (إبراهيم) إلى المنجم، يلتزم هو بالصمت كعادته، بينما تلهج زوجته بالدعاء، تدعو الله أن يحفظه وييسر أمره ويعيده سالما غانما، ويتعلق ابنه بساقيه، هذه الحركة بالذات تخلف الكثير من الأسى في نفسه. لما وصل إلى المكان، وجد الشاب (حميد) واقفا أمام مدخل المنجم يردد أغنية أمازيغية، صوته شجي، لكنه لم يستطع إخفاء رجفة لعينة أثرت على عذوبة صوته، كان متوترا، يمتلكه الخوف، فهذه مغامرته الثانية فقط، بعدما وجد نفسه مجبرا على ممارسة هذا العمل ليعيل أمه وإخوته الصغار بعد وفاة والده. سرعان ما انضم إليهما الرجلان الآخران، (عبد القادر) و (سعيد). المنجم عميق، وكلما انحدرت نحو الاسفل إلا وساد الظلام أكثر، وقلت نسبة الأكسجين، وضاق الممر بصفة أشد. ساد الصمت، أنفاس الرجال المتقطعة وحدها

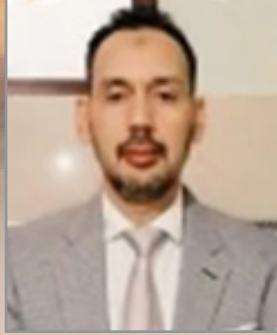
في طريقه إلى منزله، اشترى (إبراهيم) أرغفة خبز من محل لإعداد الخبز المحلي، وعلى مائدة الغداء، سأله ابنه الصغير باستنكار:

- هل سنأكل هذا الرغيف الأسود؟

اكتشف (إبراهيم) أنه مسح يديه الملطختين بسواد الفحم في رغيف الخبز دون أن يشعر، لم يجب، ركن إلى الصمت كما اعتاد أن يفعل دائما، ثم مد يده نحو الصحن وردد بهدوء:

- بسم الله.

حذت الزوجة حذوه، وتبعهما الابن أخيرا، فأمام سطوة الجوع لا تملك الخيار، حتى لو كان الرغيف أسود. اكتفى (إبراهيم) بلقيمات قليلة، قبل أن يهيئ نفسه للخروج، فقد حل الموعد. على عتبة الباب توقفت ثلاثة أجساد، كانوا في وضعية جمود، يتبادلون نظرات ذات معنى، وتهيم أرواحهم بين مشاعر وأحاسيس مختلفة. كان ذلك نوع من



هشام أجران
المغرب

صرخات (حميد) الملتاعة وحدها ترددت
في الأرجاء، بينما شلت الصدمة السنة
الآخرين، حافظ (إبراهيم) على هدوئه
وهو يخاطبهم بثقة:

- اهدؤوا، هذه أمور عادية، قريبا
ستأتي النجدة. هل لديكم بعض الماء
والطعام؟؟

منهم صوته الهادئ ونبرته الواثقة
شحنة كبيرة من الأمل، فأخرج (عبد
القادر) لفافة من حقيبته الصغيرة
بداخلها أرغفة خبز وهو يردد بمرح
مصطنع:

- لم يسبق لكم أن تناولتم رغيفا أسود،
اليوم ستناولون هذا الشرف؟

تبادلوا نظرات فيما بينهم، تشي بما
دار في عقولهم بعد عبارة رفيقهم، ولعل
الجواب نفسه تردد في أذهانهم: " ذلك
الشرف يا صديقي نعيش معه وبه مدى
العمر..."

ما تسمع، ولو أصخت السمع أكثر
لتناهى إلى سمعك صوت خفقان القلوب
الوجلة.

رفع (إبراهيم) يده معلنا الوصول إلى
المكان المقصود، عدل الرجال من وضع
المصابيح على خوذهم المعدنية، أخرجوا
فؤوسهم ومعاولهم وبدؤوا العمل.

بعد عمل دؤوب، انهارت قواهم
فاستلقوا على الأرض، وتعالى أنفاسهم
بفعل المجهود، وتصببت أجسادهم عرقا
باردا. لفترة لم يبادر أحد بالحديث،
فقد سرحوا في عالم أفكارهم، يفكرون
في الأحبة الذين ينتظرون عودتهم، في
المال الذي سيربحونه من بيع الفحم، في
مواعيد الطبيب، في كسرة الخبز...

في غمرة شرودهم اهتزت الأرض، ووقع
انهيار أرضي مفاجئ، ربما بسبب خطأ
ما في عملية الحفر، ليجدوا أنفسهم
محاصرين بالصخور وركام من التربة...



سورة النور

عباده مالم يعلمون وتفضل عليهم بالتوضيح والتفصيل، القرآن الكريم بجانب كونه شريعة ومنهاج مقدس وحدود مفصلة تضع قوانين واحكام حياة المسلمين وتضبطها على مسار سليم لتستوي وتستقيم، فهو أيضا نهج اخلاقي وتربوي يهذب ويقيم سلوك العباد في ادق المواقف الحياتية بل شمل حتى شعور الفرد ورغباته التي يراها البعض لا قيمة لها نجد الله سبحانه في



ريما علي

عند تلاوة القرآن والتنقل بين صفحات المصحف الكريم وعبق آياته الشريفة وبالإضافة إلى كسب الأجر والثواب والحسنات نكتسب الخلق ونتعلم الفضيلة في التعامل وحسن المعاملة الفاضلة بأمور حياتنا التي تهذب بها نفوس العباد ويستقيم عملهم ويزداد تحصيلهم وتزودهم من علم الغيب ومواقف الواقع الذي نعيش حتى في أبسط وادق تفاصيله، فسبحان الذي علم

فسكت عليه السلام تواضعاً وتعللاً منه حتى يبين الله له، إلى أن نزلت هذه السورة الكريمة في حب هذا الصحابي موضحة ومبينة بقوله تعالى "الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركه والزانية لا ينكحها إلا زاني أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين" وهنا رد الرسول عليه الصلاة والسلام على مرثد وأخبره النبي بأن لا يتزوجها وينصرف ويعرض عن الأمر، فما اجمل هذا الكتاب القيم وما اجمل بساطة تفاصيله وعظمتها التي تقوم حياتنا عليها في كل وقت وحين، سورة النور هي سورة مدنية وعدد آياتها أربع وستون آية وسميت بهذا الاسم لذكر كلمة النور بها شملت أيضاً على عدة أحداث وعلى أعظم المواقف عندما عادت السيدة عائشة مع الصحابة بعد غزوة بني المصطلق تبحث عن عقد ضاع منها وعندما وجدت عقدها تبين لها أن الصحابة رجعوا إلى المدينة وجلست تنتظر رجوعهم لها حتى نامت ووجدها صفوان بن المعطل ورجع بها للمدينة وعندما رآها عبد الله بن سلول في طريق العودة معه قال: والله ما نجا منها ولا نجت منه " فكان سبب في رمي أم المؤمنين زوراً وبهتاناً إلى أن نزل الوحي على رسولنا الكريم ليبين للمؤمنين حقيقة الافتراء وعواقبه (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) فكانت هذه المواقف التي ذكرت بها سبب في نزول هذا النور الذي أضاء وفصل وبين للمؤمنين ما غاب عنهم واحتراروا به وما وقع بينهم وما اختلفوا فيه من زور وضيم ليكون للمؤمنين دليلاً وتفصيلاً وهدياً عظيماً "

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً" فالحمد لله على نعمة الكتاب ونوره وهدايته في حياتنا.

كتابه العزيز لم يتجاوز ذلك بل اهتم بها ليظهر لعباده جمال لطفه بما تفيض به نفوسهم من احاسيس وحيرة وتخبط ليهديهم ويرشدهم إلى سبيله بالحكمة والمعوضة الحسنه ، عند تلاوة القرآن والتنقل بين مواعظ وقصص الكتاب نصل إلى سورة النور التي يقف الكثير في تأمل آياتها والمواقف التي تتحدث عنها خاصة في بدايتها عند الآية الثانية "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين"

هنا يقف كثير ممن يتلوا القرآن على التساؤل والتأمل في قوله الزانية؟ لماذا بدأت الآية في سورة النور بذكر الزانية (المرأة) دون الرجل والكثير يذهب بتفكيره أن المرأة هي من تبادر الرجل بالزنا بينما الآخر يعتقد أن المرأة هي التي تحمل وزر الزنا لأنها المتسببة في الوقوع بهذا الذنب العظيم والبعض الآخر يذهب مذاهب شتى في تصوره وتفكيره، لكن الحقيقة أن لكل سورة بالقرآن سبب وقصة نزلت بها لتعلمنا ما نجهل من مواقف وتفاصيل مهمة مهما كانت بسيطة وصغيرة ولا يلتفت لها احد لكن القرآن العظيم لم يتجاوزها للطف الله وسعة علمه بنا وبضعف نفوسنا وحاجتنا إليه، قصة هذه السورة الشريفة بدأت عندما أتى احد الصحابة إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام حيث كان الصحابي مرثد بن أبي مرثد يحب امرأة بغي اشتهرت بالزنا اسمها عناق وسأل مرثد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يتزوج عناق فسكت النبي عليه السلام وهنا يوضح هذا الموقف وبين جمال تواضع خلق رسولنا الكريم فلم يعترض ولم يتكلم أو ينهر الصحابي على شيء ليس له به علم أو يحلل ويحرم على هواه لأنه لم يكن يعلم الحكم في ذلك الموقف

الخصائص الاشتقاقية والصوتية والكتابية الفريدة للغة العربية اللغة العربية لغة مستقبلات



بداية القول:

العرب من أكثر الأمم اهتماماً بلغتهم فقد كانوا في صفاء عصورهم الفصحى يصرون على الدقة في اللغة، ويؤخذون على التهاون فيها، تقرّيعاً أو تأنيباً أو تبكيتاً. وهم بهذا يؤكدون أهمية حماية المكتسب في اللغة من دقة وغني، لأنهم يعرفون مدي أهمية اللغة لحياتهم ومجتمعهم وحضاراتهم. وليس العرب فقط هم من اهتموا بلغتهم، فلقد اهتم بها طائفة كبيرة من مفكري وفلاسفة الغرب وأفردوا في كتاباتهم وتأليفهم الكثير من الأقوال التي تشع حباً وتكريماً للغة العربية.



صلاح عبد الستار محمد الشهاوي



لغة القرآن الكريم، للكلمات حدود دقيقة، ولكل أمر في الحياة صغر أو كبر تعبير خاص به. لا يدخل شيء في حيز آخر، أو يتعدي ما وضع له، مما يدل على القدم والنضج.

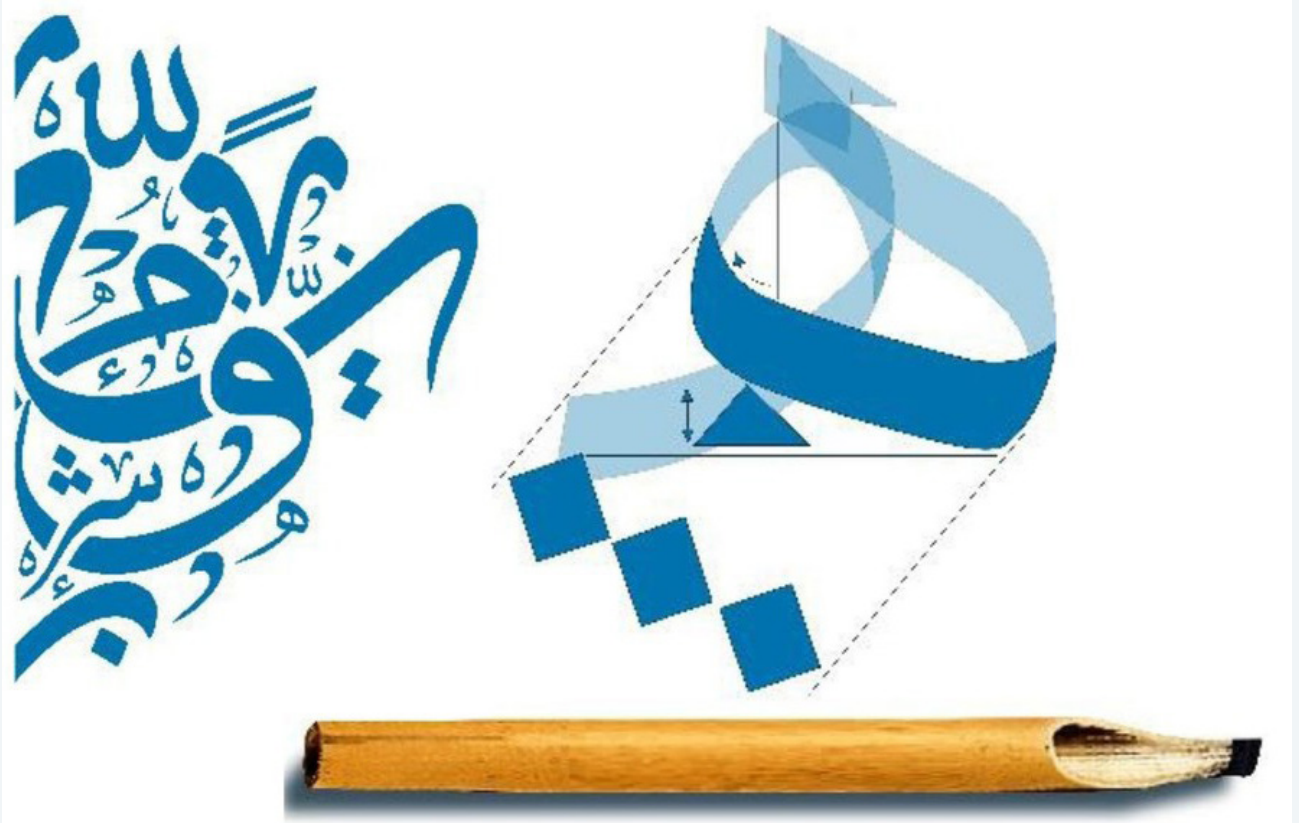
كما تتجلى عبقرية اللغة العربية في قدرتها الكبيرة على اشتقاق الألفاظ بعضها من بعض وتوليد المشتقات بمرونة تدعو إلى الإعجاب لمواجه مطالب المعاني والمسميات التي تظهر وتتجدد بمرور الزمان وتبدل الأحوال.

فالعربية لا تشبه لغة من اللغات ولا تشبهها لغة من اللغات، فهي نسيج وحدها المادة فيها تدور حول معني واحد، بمعنى أن كل مادة في العربية تدور حول معني واحد مهما تصرفت! وتلك ميزة عزت أن تكون في لغة من اللغات إلا في اللغة العربية؟! ((ذلك رغم أنك إذا نظرت إلى اللغة العربية من ناحية الألفاظ التي يستقل كل منها بصورة ومعني، وجدت أنها - أي العربية - من أقل اللغات الكبرى من هذه الناحية، فألفاظ العربية لا تصل إلى ثلثي ألفاظ الانجليزية (هناك ما يزيد على ألف كلمه عربية تستخدم في

وهذا ما أجبر الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العشرين عام ١٩٧٣م إلى إصدار قرار باعتماد اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية المقررة في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية، وفي عام ٢٠١٠م قررت الاحتفال بالأيام الدولية للغات الرسمية الست المعتمدة لديها، وتبع ذلك أن أصدر المجلس التنفيذي لليونسكو قراراً في شهر تشرين الأول (أكتوبر) من العام ٢٠١٢م بأن يكون يوم ١٨ من ديسمبر من كل عام يوماً عالمياً للغة العربية.

ومما يدل على عراقية اللغة العربية ومدى تأثيرها في ثقافة الشعوب أنه في عام ١٩٣٨م وضع أحد الباحثين اللغويين الأمريكيين ويدعي "Eric M. North" كتاباً بعنوان "The Book of a thousand tongs" حصر فيه ما يزيد على مئة وأربعين لغة كان أهلها يكتبون تراثهم بالخط العربي قبل أن يعمل الاستعمار على تحويل هذا الخط إلى الخط اللاتين.

واللغة العربية من أدق اللغات تعبيراً، ومفرداتها من أكثر المفردات في اللغات. طبيعتها اشتقاقاً وتصريفاً مكنتها من ذلك. ولا أدل من كمالها أنها



لا زلنا نشق ألفاظاً وننحت أخرى، فمثلاً: صيغة تفعيل، التي نضوغي اليوم في قلبها كثيراً جداً من الألفاظ التي نحتاج إليها في مطالب الحياة والحضارة اليوم مثل: ترشيد - تعويم - تقييم - تكوين - تسمين - تبريد - تسويق.. الخ، هذا إلى جانب الألفاظ القديمة الكثيرة الاستعمال. من هذه الصيغة: تعليم - تهذيب - تثقيف - تحكيم.. الخ.

فإذا أضفنا القدرات اللغوية للسان العربي التي تتمثل في:

- السمة الاشتقاقية وخضوعها لخطة الاشتقاق الوزني.

- سمة الارتباط بين الوزن والمعنى

- الاطراد في نظام أفعالها.

- منطقيتها في تقسيم المذكر / والمؤنث

فإننا نجد أن اللغة العربية قابلة للانتشار والتمدد بسبب:

أولاً: نظرة قطاع كبير من متحدثيها الأصليين بها

اللغة الانجليزية خاصة في مجالات الطب والكيمياء والفلك، كما أن هناك آلاف أخرى مشتقة من هذه الكلمات انتقلت من العربية بعد التحريف كما يقول المستشرق الانجليزي تيلور في كتابه: كلمات عربية في اللغة الانجليزية) والفرنسية (هناك سبعمائة كلمة عربية دخلت اللغة الفرنسية كما يقول المستشرق البلجيكي هنري لمنس)، ونصف ألفاظ الإسبانية - أغني لغات أهل الأرض من حيث عدد الألفاظ - (الكلمات العربية الموجودة باللغة الإسبانية تعادل ربع كلماتها كما يقول المستشرق رينهاردت دوزي في كتابه: معجم الألفاظ الأسبانية والبرتغالية من أصل عربي)).

والعربية أوسع لغات أهل الأرض لفظاً إذا حسبنا الاشتقاق أو المشتقات ألفاظاً. ففيها نستطيع أن نشق من الأصل الثلاثي أو الثنائي الواحد أي عدد من الألفاظ نحتاج إليها لمطالب حياتنا، على أن نراعي قواعد الاشتقاق وأصوله، فإلى يومنا هذا

ذلك منها وإنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا العهد لغاتنا" (١). ويعترف اللسانيون العالميون بأن اللغة العربية لغة عالمية بامتياز، يقول نيقولاس أوستر في كتابه تاريخ اللغات في العالم: "لقد كانت الدنيا مليئة بالعربية" وذلك للأسباب التي عددها وهي:

- الانتشار بين المستعملين.
- الفتوحات اللغوية التي أحرزتها، يوم أزاحت لغات أخرى من طريقها وحلت محلها عن طريق القبول الشعبي.
- الإنتاج الحضاري
- الارتباط بقيم دين عالمي.
- والثابت أن أول معجم عربي للكلمات العربية جمع فيه الخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ / ٧٨٦م) اثني عشر مليوناً وثلاثمائة وخمسة آلاف وأربعمائة واثني عشر كلمه، بعضها مستعمل وبعضها مهمل، صنعه وفق التقسيم العقلي للكلية الثلاثية العربية (مثلاً: كلمة مدح، يري الخليل أن الميم تحتل الحركات الثلاث الضم والفتح والكسر، والبدال تحتل السكون فضلاً عن الحركات الثلاث السابقة، لهذا يكون للكلمة الواحدة اثنتا عشر صورة) معتبراً عدد الكلمات العربية هو الأكثر على الإطلاق مقارنة باللغات العالمية.

ولتوضيح هذا نسوق هذه الأمثلة:

- مادة (س ل م) أحد أغني أصول العربية بالمشتقات والمعاني وتدور حول معني السلامة في تصرفاتها، نحو: سلم، ويسلم، وسالم، وسلمان، وسلمي، والسلامة، والسليم اللديغ، أطلق عليه تفاقلاً بالسلامة.

نشقت منها ألفاظ: سَلِمَ وأَسْلَمَ وسَلَّمَ وسالماً واستسلم وتسالم وغيرها. ومن الأسماء نشقت منها ألفاظ: سَلَم - سَلَم - سَلَم وسلام وسلوم وإسلام

إليها، وإيمانهم بوضعها المميز وقيمتها الكبيرة. ثانياً: تحرك اللغة العربية نحو المستقبل مدعومة بنجاحات تراثية في تحمل مضامين الوحي والشرعية والحضارة. ثالثاً: استصحاب نجاحات تاريخية في استيعاب علوم اليونان والسريران.

رابعاً: النجاحات الراهنة في المؤسسات العالمية. إضافة إلى أن الفحص العلمي للغة العربية، وتحليل نجاحاتها التاريخية والمعاصرة يكشف عن حيابة اللغة العربية لخصائص: المرونة، وثناء الرصيد المعجمي، والاستجابات للتحدي.

وهذه جميعاً تخطو باللسان العربي نحو منصة اللغات العالمية المتزايدة الانتشار من منظور المستقبلات.

يقول ابن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ / ١٣٣٠-١٤٠٦م) بصدد حديثه عن علم النحو ضمن كلامه عن علوم اللسان العربي: "به- أي بعلم النحو- يتبين أصول المقاصد بالدلالة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الإفادة، لأن الإعراب يدل على الإسناد والمسند والمسند إليه. وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور- اعني المضاف- ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى، وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب. وأما غيرها من اللغات فكل معني أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما نقره بكلام العرب، وهذا هو معني قوله صلي الله عليه وسلم: "أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً" (صحيح مسلم) فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات اعتبار في الدلالة على المقصود، غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون من



وقوة من عليه به، والبرج: لنقاء بياض العين وصفاء سوادها، لقوة أمرها وانه ليس بلون مستضعف.

الأصل الخامس: (ر ج ب) ومنه: رجب: لتعظيم العرب عظمته وقويت أمره ومنه: شهر رجب: لتعظيم العرب إياه عن القتال فيه، ومنه: الرجة، فإنه إذا كرمت النخلة على أهلها فمالت دعموها بالرجبة، وهو شيء تسند إليه لتقوى به، ومنه: الرجة: أحد فصوص الأصابع، وهي مقوية لها.

الأصل السادس: (ر ج ب) ومنه: الرباجي: وهو الرجل الذي يفخر بأكثر من فعله ليعظم نفسه ويقوي أمره.

كما أن اللغة العربية تمتاز بدوران موادها، وتقلباتها حول معنى واحد، وهذا من ميزات لغة العرب التي لا تتمتع بها اللغات الأخرى، فنظام الكتابة للغة العربية يحافظ محافظة كبيرة على تمثيل الصوتية الواحدة بحرف مفرد بشكل يفوق كثيراً من الأنظمة الكتابية الأخرى وهذا ما جعل نظام الكتابة للغة العربية ظاهر في انتشار خطها واستعارته لكتابة عدد كبير من اللغات التركية، والفارسية، والهندية، والأفريقية..

وتسليم واستسلام ومسألة وسلم وسلامه وغيرها. ومن أسماء الأعلام: سلم - سليم - سلمان - سالم - سلام - سلام - سليم وسلامة وسلمان - وسلمي - وسليمي - سلمة - سلمة - سلمى وسلامة وغيرها.

- مادة (ج ب ر) مادة فريدة فذة في اللغة العربية فهي أين وجدت وكيف وقعت من تقديم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه، إنما هو للقوة والشدة، وجهات تراكيب المادة الست مستعملة كلها لم يهمل شيء منها إلى اليوم وهي:

الأصل الأول: (ج ب ر): يفيد معنى الشدة والقوة، نقول: جبرت العظم والفقير إذا قويتها وشددت منهما، ومنه: الجبر: الملك لقوته وتقويته لغيره.

الأصل الثاني: (ج ب ر): رجل مجرب: إذا جربته الأمور ونجذته، فقويت منته، واشتدت شكيمته، ومن الأصل: الجراب: لأنه يحفظ ما فيه، وإذا حفظ الشيء وروعي اشتد وقوى.

الأصل الثالث: (ب ج ر): والأبجر والبجرة: القوي السرة.

الأصل الرابع: (ب ر ج): ومنه: البرج، لقوته في نفسه

وكل ما زاد على ثلاثة أحرف مثل: أعطى، مصطفى، اقتفى. هذا رأي جمهور علماء اللغة العربية ومنهم من لم يستثن ذلك).

- في اللغة العربية كل صورة كتابية لها نطق واحد بخلاف الأجنبية فمثلاً: حرف s تارة ينطق سينا وتارة زايًا، وحرف c ينطق سينا وتارة كافًا، وحرف t ينطق تاء وتارة سينا (يستثنى من ذلك في اللغة العربية الياء، فإنها ينطق بها في بعض الأحيان ألفا هذا رأي جمهور علماء اللغة العربية ومنهم من لم يستثن ذلك).

- لا يهمل من الحروف العربية المكتوبة شيء، بل كل ما يكتب يقرأ مع مراعاة الابتداء والوقف، ويستثنى من ذلك الألف بعد واو الجماعة فإنها زائدة نحو: "كلوا واشربوا ولا تسرفوا" (الأعراف: ٣١) والواو في عمرو، بخلاف اللغات الأجنبية فإن الكلمة يوجد فيها حرف أو حرفان أو ثلاثة لا نطق بها ككلمة (بوت) الإنجليزية بمعنى اشترى فإنها تكتب Bought ففيها ثلاثة أحرف لا ينطق بها.

- في العربية لا يهمل شيء من الحروف المففوظ بها بل يكتب كل ما لفظ به، ويستثنى من ذلك الواو في داود وطاووس، ونحوهما، والألف في ألفاظ معروفة كثيرة الاستعمال مثل: الله، الرحمن، الإله، ذلك، هذا، بخلاف الإنجليزية مثل لفظ (كرنل) فإنها تكتب Colonel ولا وجود لحرف الراء.

هكذا اتسمت لغتنا الخالدة بالتمام اللغوي، ولم يكن هذا التمام الكلي الشمولي الجامع للغة العربية ناجماً عن تطور تكاملي تدريجي متنام، استغرق أزماناً تاريخية مديدة، كما لم يكن ناتجاً عن عمل تشكيل مصنوع، نشأ على أيدي علماء اللغة، وإنما كان شيئاً ذاتياً مطبوعاً، فطرت عليه هذه اللغة منذ أن وجدت، ولازمها طوال حياتها، وسيكون ملازماً لها إلى أبد الأبد إن شاء الله.

وغيرها.

فمثلاً كلمتا: أخ وأخت ترجعان في العربية إلى مادة: أخو. على حين نجدتهما مختلفين لا رابط بينهما في اللغات الأجنبية، فهما في الفرنسية: Frere و Soeur، وفي الإنجليزية: Brother و Sister. وتلك ميزة للغة العربية، لأنه إذا اتفقت الحروف فيها أو تقاربت، اتفق أو تقارب المعنى، والعكس بالعكس.

أما عن الحروف العربية وخصائصها من حيث المقارنة باللغات الأخرى فإننا نجد:

- مسميات حروف اللغة العربية دائماً في صدور أسمائها، فصدر كلمة ألف (همزة) وصدر كلمة باء (ب) وصدر كلمة جيم (ج) وهكذا لآخر الحروف بخلاف اللغات الأجنبية فإن مسمياتها تارة تكون في صدرها، وتارة تكون في أعجازها، مثلاً: إف F، إل L، إم M، إن N، آر R، إس S، وتارة تكون عين الاسم كإكس X، وتارة تكون خارجة عن الاسم بالمرّة كإتش H.

- في العربية كل حرف لفظي بسيط له حرف كتابي بسيط بخلاف اللغات التي تكتب فيها الشين ch أو sh، والفاء تكتب في بعض الأحيان ph وفي بعضها F، والألف اللامالة تكتب أحياناً ai والهمزة المضمومة ou، وألف التفخيم تكتب أحياناً au وأحياناً eau.

- كل حرف عربي بسيط له صوت بسيط، بخلاف اللغات الأجنبية فمثلاً: حرف X ينطق به اكس، وحرف Z ينطقه الألمان: تس، والإيطاليون: تز.

- كل حرف صوتي عربي يصور بصورة واحدة مهما كانت حركته وتميز الحركة بالشكل بخلاف الحروف الأجنبية: الفاء تصور F وتارة تصور ph، والسين تصور S وتارة C، وتارة X، والكاف تصور K وتارة Q وتارة C. (يستثنى من تلك الخصيصة في اللغة العربية الألف اللينة فإنها تكتب أحياناً ياء، وذلك في ألفاظ محصورة: إلى، على، بلي، حتى، متى، أنى، لدى، الأولى، موسى، عيسى، مسرى، بخارى، وكل ثلاثي أصل ألفه ياء مثل: رمى الفتى، وسعى للأذى،



الإبل المطمئنة لنظرية العقد الاجتماعي... كيف كسرت السيارة ظهرها؟!

حقير، لا يتناسب مع قدرة الجمل على التقمص، فهو لا يستطيع أن يكون ضيقاً، ولا يمكنه أن يكون صغيراً، ولا يعرف الدناءة.

وماذا عن مشاهد الإبل وهي تهاجم رجلاً هنا، وآخر هناك، تلك التي تنتشر في وسائل التواصل الاجتماعي؟

ما يقفز عليه البعض، هو أن الإبل في تلك المشاهد، تردُّ على إساءات كانت تلقتها من هذا الشخص. لا



تركي الدخيل

ما اعتلى أحد مكانة عالية رفيعة، خلال أكثر من أربعة آلاف سنة في الجزيرة العربية، مثل الإبل (الإبل: تشمل المفرد والجمع، والذكر والأنثى).

ولا دأى أحد منزلة البعير الرفيعة، ولا ثقته العظيمة بنفسه، تلك التي لا شيء مثلها. لقد ظن بالأبل أن مشيتها

الرويداء تبخرت كبرياء! وما اقتربوا من طباع الإبل، ليعرفوا أن أي طبع



تُبادر الإبل بالإساءة، ولكنها لا تنسى الإساءة لها .

لا تنس الفارق الكبير، بين إباء الضيم، وبين الحسد والكراهية. البعير لا يقبل الإساءة إليه، وسيتذكر من ظلمه، ويحفظ ذكرى سوادء له، حتى تتاح له سانحه فينتقم.

والله تعالى، يقول: (أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير).

بالله عليكم، هل رأيتم يوماً ناقة نمّامة؟
حاشاها...

هل يمكن لأحد مهما شطح به الخيال، أن يخلق شخصية بعير كسول؟! لا يمكن!

هل مرّ بأطول الناس عشرة مع الإبل، أي جمل يخون صاحبه؟!!

إذا ما سرّ التبخر الذي نراه في مشية الإبل؟
شكرًا لك، ويجب العناية والاهتمام بالمصطلحات، ومراعاة أهمية التعريفات عند تكييف وضع، أو تنزيل حكم.
ما تسميه تبخّرًا، نميل إلى تفسيره على أنه طمأنينة مطلقة للعقد الاجتماعي، من قبل البعير .

عقد اجتماعي! ناقص تقول لي: إن بعارينك قرأت كتاب جان جاك روسو!
لا... لكن ربما يكون روسو وقف على سلوك البعير، واستفاد نظرية العقد الاجتماعي، من هذه الطمأنينة التي يمارسها الجمل.
لن أجادل... وش قصة اطمئنان البعير لنظرية العقد الاجتماعي؟



دون أن يلقي للموضوع بالاً...

كيف؟! هل هذا معقول؟

الحقيقة أن البعير لم يكن ير أي خصم له، ولا يؤمن بوجود ميدان معركة، البعير من الموحدين، لا يؤمن إلا بتحدٍ واحد عنده، هو السير حثيثاً بلا توقف، ليصل بصاحبه إلى نقطه الهدف، دون إبطاء أو إقصاء.

هل تذكر حين قلت لك إنه مطمئن لنظرية العقد الاجتماعي، هذه الطمأنينة، تجعله باحترافيته وإنصافه، يأبى أن يتخلف عن أداء أعماله التي يحسن القيام بها، فما بالك بمهامه التي تنص عليها نظرية العقد الاجتماعي؟!

حسنًا. عندما قلت: أن لا أحد اعتلى منزلة أعلى من البعير، طوال ٤ آلاف سنة في الجزيرة العربية، لم أكن أقصد الإنسان في الجملة، فالبعير حاز منزلته الرفيعة بالاتفاق الضمني الذي عقده مع الإنسان.

الطرف الأول؛ البعير، قال عملياً للإنسان: أعاهد الله، على أن أبذل الوسع والطاقة، في خدمتك، فأحميك، وأقلك وأقيك وأطعمك وأدافع عنك، وأعطش لتشرب، وأتعب لترتاح، وأقضي الأيام سيراً في الدروب بلا راحة ولا طعام ولا شراب، لأحصل منك على الاحترام، والتقدير قبل كل شيء. وعلى هذا العقد أحيا وعليه أموت. وقّع البعير، وتظاهر الإنسان بالتوقيع، أو أنه وقّع عن فترة ما، لا عن الزمان كله.

ألا ترى أن الشركة التي تمتد لأربعة آلاف عام، تدعو الشركاء والشهود والجميع للاطمئنان لهذه الشراكة؟

ولكن ماذا حدث مع الإبل بعد ذلك؟

تعرضت الإبل لمؤامرات كثيرة، طوال هذا الزمن الطويل، من حيوانات كثيرة، بل ومن الجمادات أيضاً، فطالما ترصدت له التضاريس، محاولة قهره، والانتصار عليه.

والعجيب، كيف كان الإبل يتعامل مع هذه التحديات، من أن تلوح لائحة المخاطر على بعد، وهي تقبل عليه راكضة أو مستعجلة، بل ماذا يفعل حين يلتقي الخصمان في أرض المواجهة وميدان النزال والمواجهة؟

ماذا كان يفعل؟

قد لا تصدق عندما أقول لك إن البعير، وإن ظهرت أسلحة خصومه المتطورة، نصب عينه، لم يكن ينظر إليها بأكثر من مدة الرؤية الطبيعية، لكل ما يمر قبالة ناظره، ثم يكمل النظر إلى ما كان يقصد، تاركاً الخصم خلفه،



ثم ماذا؟! أبدأ... كان السلوك الإنساني في التعامل مع الإبل على درجة راقية من المحبة الخالصة، التي ربما لم يمنحها الإنسان لنفسه وولده كما سخرها للبعير، فاقترب منه، وأنس منه وبه وعليه، وتعلم كُنْه همساته، وحركاته، وسكناته، فصار يتناغم معها، ويتفاعل بها، ويشترك برابطة جذرية قوية مع البعير، على اعتبار أن شعار هذه الرابطة: معًا دومًا... في الرخاء والشدة!

لقد خلق الإنسان فكرة الجداء، وهي الغناء بتطريب لقوافل الإبل، كي تجتهد في الإسراع

البعير يا سيدي لا يستسيغ لقمة، ولا يقبل شربة، قبل أداء أمانته كاملة، وكأنه يمارس بذلك حالة من حالات الزهد الراقى، بل كأنه يستحرم اللقمة والجرعة من الزاد، إذا لم يكمل عمله، وليس البعير الذي يغذو جسده بما في إباحته شك، ولو كانت لقمة، وكأنه يفقه جيدا، أن ما أسكر كثيره، فقليله حرام... إنها حالة وعي راقية عند البعير.

أرجوك ألا تغرب بنظرياتك، فتظن أن الوعي سلوك مقتصر على البشر، إذ لا يمكن لنظرية العقد الاجتماعي، التي أفرطت بشرحها لك سابقًا، ألا تنبع من قاعدة صلبة للوعي؟

دونها... لكن يبدو أن الإبل لا تتحدث في موضوع،
لم تثبت منه بما لا يدع مجالاً للشك، ولعل
هذا سبب عدم طرحها للموضوع... خصوصاً
وهي تعرف موقع الشعر في حياة العرب،
وعقولهم، ونفوسهم، ومضى معنا أن السلوك
الشائن، لا يمكن أن يحتويه قالب مسك بعيري.
والمساومة، والابتزاز، فيهما من الدونية، ما لا
يمكن تبييض سجلهما حتى للمجتهد.
كأنك تلمح لأمر طراً على علاقة الإبل والبشر،
ما الأمر؟

أبدًا... بقيت مسالك البعير أقرب للثبات، من
أي شي آخر...

لا بد أن أقول لك أننا في مراحل
كثيرة، وبخاصة عندما تزداد
حساسية التعامل بين
الأطراف، ويسود الصمت،
ويمتنع الجميع عن
الإدلاء بتصريحات

بالمشي، والمبادرة بالعدو، ففكرة الأصوات
المطربة التي يترنم بها الحادي، أن تصرف
النحاس عن الإبل، وتغذوها بالحماسة، فتقارب
الخطى وتحث السير وتسارع المسير، وتنتقل
من عدو إلى سبق. كانت الإبل تعرف تفاصيل
قصة الحادي، وأن الإنسان اخترعه لا من أجل
أذنه ليطربها، ولا من أجل نفسه ليمتعها،
ولا ليؤنس خاطره، بل من أجل جمال ونوق،
تحمل فوق ظهورها، ما ينوء بحمله غيرها،
من أشياء البشر وحاجاتهم.

كانت الإبل تعرف، لا يقيناً بل شكاً، أن ديوان
العربي، وهو الشعر، نشأ ففصلت وصيغت
البحور الشعرية، وفقاً لأصوات
أنغام الحداة، وهكذا
تشكلت العروض،
التي لا وجود
للشعر



الهامشي لو سمحت!

حدث الانهيار!

للصمت؟!

لا... للجمل!

كيف؟!

اخترعت السيارة. ولم يكسر ظهر الجمل شيء، منذ استؤنس قبل ٤ آلاف سنة، إلا السيارة، التي وصلت إلى الجزيرة العربية في عام ١٣٣٤ هـ، (١٩١٥ م)، وبعد سنوات تكاثرت أعداد السيارات، حتى صارت في كل بيت، وانتشرت السيارة، حتى أوشك كل رجل وامرأة أن يملكا واحدة.

غيّرت السيارة وجه الحياة، فحلت محل الإبل، وصارت وسيلة انتقال الإنسان، ونقل بضائعه، وازدهرت التجارة، ولم يعد للجمل إلا الاستفادة من ألبانه ولحومه، وإشراكه في السباقات.

ما كان يحدث من كبار شعراء العرب، منذ الجاهلية إلى الوقت المعاصر، من توصيف للناقة وصعودها، وهبوطها، وتجاوزها المفازات، وخوضها في الرمال، التي تبتلع كل شيء، وانتصار الناقة على كل المصاعب والتحديات، بثباتها، وصبرها، وقوتها، وتحملها، وهمّتها... انتهى!

جعلت السيارة العربي يتحول بشعره من الجمل والناقة إلى السيارة. قال شعراً يمدح فيه الفورت (Ford)، والجمس (GMC)، والونيت (١،٨)، وغيرها...

ماذا فعلت الإبل؟!

انهار كبريائها، فقد رأت بأم عينها، كيف مرّق الإنسان العقد الاجتماعي معها، واستبدله بعقد بنزين وقعه مع السيارة!

كيف عبّرت الإبل عن موقفها تجاه ذلك؟!

ستستغرب حينما أقول لك، إنها اكتفت

بالصمت... احتراماً للعشرة!

رسمية، أو تسريبات ضمنية، لا بد أن نكتفي بالظواهر، ونكل أمر السرائر إلى الله. أو من بأن من التجني، اقتحام دواخل شخص صامت، لم يقل شيئاً، ولم يُعبّر سلوكه عن تغير، أو امتعاض، أو استياء. قفز من يزعم أنه محلل على الصامت، وكأنه كشف عن صدره، شيء غير لائق أبداً، بل إنه إجحاف وظلم وتجنّب! إنه نزوح للإثارة الفارغة، التي لا تستند إلى ريشة علم!

الصمت موقف. والصبر على الصمت قدرة، يستحق من يدركها أن يُصمت عنه، أو أن يكتفي من يتحدث عنه بتوصيف صمته.

في المجمل، لا بد أن تنتهي مواجهة الصمت السالفة بفائز، فهي من المواجهات التي لا تقبل التعادل، ويقوم مقام الضربات الترجيحية هنا، انهيار جدار الصمت، فيه يعلن المنهار خاسراً، والصامد الصامت بطلاً.

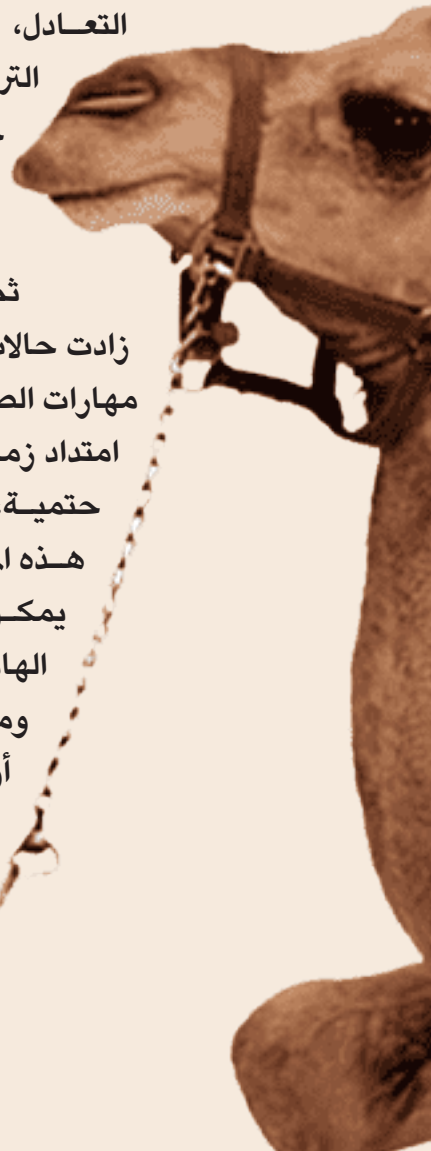
ثم ماذا؟

زادت حالات الصمت، وتعلم المتبارون مهارات الصمت، فأحسنوه، ما سبّب امتداد زمن المباريات، ولكن النهاية حتمية، وللتحمل حد وقدرة. إن هذه المظاهر، التي أحدثك عنها، يمكن القول إنها حدثت على الهامش، وإلا فمكانة الجمل ومنزلته لم تتأثر، وبخاصة أن بنود العقد الاجتماعي الرئيسية، نافذة.

وماذا حدث بعد

المظاهر الهامشية؟

حدثني عن غير



إشكالات النقد الثقافي بين أعين التلذذ والمراقبة



بدراسات بدأها بكتابه (النقد والطابو: النقد الأدبي والقيم) (١٩٨٧م)، حيث بلور منهجية جديدة سماها النقد الثقافي مستوحيا فلسفة (ما بعد الحداثة)، وتمثل آراء ما بعد الماركسية.

وقد أصل ليتش على ضرورة دراسة الخطاب في ضوء التاريخ والسوسيولوجيا والسياسة والمؤسسية ومناهج النقد الأدبي،

معتمدا على منهجيات جديدة في التعامل مع النصوص والخطابات ليس من الوجهة الجمالية ذات البعد المؤسسي، بل من خلال رؤية ثقافية



د. شاهر النهمري

في صحيفة الجزيرة الثقافية الغراء، كتبت مقالا ٨ مارس ٢٠٢٤م، عن رأيي في كتاب إشكالات النقد الثقافي، الصادر ٢٠٢٣م، عن المركز الثقافي العربي- المغرب، للكاتب عبدالله بن محمد الغزامي بعنوان "نظرة استبصار في كتاب الغزامي إشكالات النقد الثقافي" وقد تطرقت فيه إلى أسس هذا المجال النقدي المستحدث، والذي

يعد الناقد الأمريكي: فانسان ليتش (Leitch.Vincent.B) من أوائل من اهتموا بذلك الجانب من النقد الثقافي منذ ثمانينات القرن العشرين،

والكشف عما فيها من جوانب قوة أو ضعف أو جمال أو قبح قبل إصدار الحكم الأدبي الفني النقدي عليها، ما يجعل مجالات النقد واسعة وعميقة، ومؤصلة لجزئيات معاني الثقافة، وبكل المؤثرات فيها من شخوص وبيئة وثقافات أصيلة أو متردية أو مستوردة.

وبدراسة الكتاب وجدته ممتعا، يتجول بين الثقافات والمعاني، فلا تكاد تعرف له خصوصية إقليمية ضيقة، حيث كان يتنقل بين الثقافات الإغريقية بفلسفاتها القديمة، وكذلك العربية بعاداتها وتقاليدها، وما وصلنا من الجاهلية، وصولا إلى البدوية الصحراوية، مع بعض الوقفات في الحضارة الحالية، عربيا، وأمريكا منذ غزو "كريستوفر كولومبوس" للقارة الأمريكية، وحتى غزو الأمريكان للقمر، ما يجعله مستساغا بعدم الانغلاق على حضارة بعينها.

وقد أكملت الدراسة بتحديد رؤيتي الخاصة في الإشكالات التي تتبع النقد الثقافي، فأزعم أنها تأطير لرؤية الناقد الثقافي، ما يجعله أسير بين الحدود والشبوك القديمة والمستحدثة، يحاول فهمها، وفك أقفال بواباتها، وتفسير أسباب قيام المبدع باختيار كلمة عن كلمة، وإشارة عن إشارة، وتلك واقعا ما لا يحتاجه الكاتب الإبداعى، والذي بموهبته وإبداعه وحرية يتمكن من تسطير نصوصا عاشرها وفرزها، ووجد فيها ما في عينه وقلبه وذاكرته من الجماليات والقبح، وعلى عكس عين الناقد، التي تستخدم أعتا الحفارات وطائرات التمعن والقياس بما حول المقال من مقالات، رغبة منه في إعادة تصنيف زوايا العمل الثقافي، وفصفاة أجزاءه، ومحاولة الغوص في التوقعات لسبر ما أثر في أسلوب المبدع، وما صنع حالته النفسية، ومفاهيمه، وحسب ثقافته وظروفه المعيشية، والوسط الثقافي

شعبية تستكشف ما هو غير مؤسساتي وما هو غير جمالي.

وقد قمت في مقالي باستعراض فصول ونقاط كتاب الغدامي، وأشارت إلى أنه ليس كتابه الأول في هذا المجال، حيث سبق ونشر كتابه "النقد الثقافي" سنة ٢٠٠٠م، والذي استدعي بأصدائه الكثير من الحوارات والمناقشات العربية الثقافية من الكتاب والنقاد السعوديين والعرب، وما زال، وبمواجهات تكبر وتمتدح، وربما تنتقص وتنتقد، من مثقفي دول المغرب العربي، ومصر والعراق، نظرا لحساسية وتمكن وأقدمية النقد الثقافي في تلك البلدان.

وقد وجدت أن كتابه الثاني يأتي في ١٤٤ صفحة، على شكل دليل "manual" تمكن الكاتب من رص محتوياته التشريرية التركيبية، بشكل مختصر، وبتعريفات وافية، وشروح ليست بالطويلة، طارحا من خلاله جل صور مشكلات النقد الثقافي، وبما تحتاجه من أمثلة تلامس الحياة الشعبية والثقافية، ما يجعل الكتاب مرشحا لأن يُدرَس لطلبة الكليات الأدبية، للتعرف على تلك النقاط الجوهرية، ومعرفة المقصود بالنقد الثقافي، وإلى أين يأخذ الناقد. ويمكن تعريف النقد الثقافي بأنه: مقارنة متعددة الاختصاصات تبني على التاريخ وتستكشف الأنساق والأنظمة الثقافية المختلفة، وتجعل النص أو الخطاب وسيلة أو أداة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي والشعبي، وتلك تعد من أهم الظواهر الأدبية التي رافقت ما بعد الحداثة في مجال الأدب والنقد، والتي تأثر بها مثقفو السعودية حينها، وتمكنوا من البروز في مضمارها عربيا.

وفي النقد الأدبي يتم دراسة الأعمال الأدبية من نواحي البنيوية والتكوين والبيئة المحيطة،



إنشاء عمله الفني أو الأدبي أو التشكيلي، فتكون نقاط انطلاقه وبلوغه حرة لا خشية فيها من نقد مستقبلي حين يتناول ما حوله بكل مشاعره، وروحه الحرة التي تبقى خالدة، مهما قام النقاد بتأطيرها، وتعريتها، ومحاولات تسخيفها، وكما صور لنا ذلك الشاعر الفذ المتنبي بثقة تتعدى الغرور باليقين، مصورا حالة المبدع المثقف، حينما لا يعود يفكر ولا يخشى وقع سيوف النقد على هامة أعماله، ولا يخاف ممن سيبحثون فيها عن إشكالات النقد الأدبي:

سيعلم الجمعُ ممن ضمّ مجلسنا
بأنني خيرُ من تسعى به قدمُ
أنا الذي نظَرَ الأعمى إلى أدبي
وأسمعتَ كلماتي من به صممُ
أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهرُ الخلق جَراها ويختصمُ
وجاهلٌ مدُّهُ في جهلِهِ ضحكي
حتّى أتته يدُ قرّاسةٍ وفمُ
كتاب يضم للمكتبة العربية، بكل ترحيب، واحترام.

المحيط، ومساحات الحرية، ورؤيته المستقبلية، وقدراته على التعايش والإبداع والتمكن من نبذ القيود الفكرية والاجتماعية والتاريخية والدينية والسلطوية.

الكاتب الأصيل هو من يجد ثقافته تتكلم صراحة في ثنايا نصوصه بلغة حميمة، وصور تفهم وتؤثر بعمقها وشواردها في محيطه، ومن يجد المعاني المطروحة الدالة على زوايا ثقافته، ومعتقده، وحياته المعيشية، ومدى عاطفته وراحته أو شقائه، وارتباطه بالأرض والمجتمع والبيئة وما تحتويه من بيئة وكائنات ومتغيرات وبشر، ونقمته على بعض الغموض والعسر وتأثيرات الموجودات والميتافيزيقا، وكيف يستطيع بلورة كل ذلك دون تكلف يفسد للإبداع قضية، وجعل القارئ للعمل الأدبي أو حتى للعمل الإبداعي الفني، يشعر بنفس مشاعر وأنفاس المنشئ سمو في الإبداع وقدرة في التوصيل والتقصص ووضع النفس محل طموحات بوحه.

المبدع المثقف الأصيل ينطلق من وحي جوفه، ولا يحسب حسابا للناقد إلا بعد أن تنتهي عمليات



ثامر عدنان شاكر

اغتيال الشهامة.. ولا زال البحث جاريًا عن الجاني!!

محقُّ أنت يا صديقي.. أين ذلك الشهم الذي يضع يده في جيبه، لا يعطيك مالاً وإنما ليخرج لك من ردائه معطفاً يقيك برد الزمن أو ربما من صدره ابتسامة حانية؛ فيمنحك من خلالها محبة الدنيا.. أو من شفثيه قُبلة يطبعها على جبينك، هامساً: لا تحزن، وإن طال الليل.. فالفجر لا محالة قادم.. يطبطب على روحك بقلبه، يحفظ سرك، ويحترم ضعفك، ويحتضن همك، ملاكُ نزل عليك من السماء، ويبيده رسالة من الله أن اطمئن فالعطايا قادمة.. وهذه لبشرى.

انتهى لقاءنا.. لكن نظرة عيني صديقي المنكسرة لم تغب عني لحظة.. لقد كان جريحاً مذبوحاً، أما القاتل فمجرمٌ اغتال الشهامة بدمٍ بارد!!

أتعلمون من هم أردأ أنواع البشر؟! هم الذين تتبدل ملامحهم فجأة حين تطرق بابهم باحثاً عن طوق نجاة، مستغيثاً من فجيرة الأيام.. هم الذين ما إن يستشعروا حاجتك، حتى يتحولوا إلى ذئابٍ شامته.. أو إلى ألواح خشبٍ مُسنَّدة باردة يابسة.. لا تغني ولا تسمن من غرق.. وقد خدعتك ملامحهم الوديعه البريئة ذات

قابله ذلك اليوم.. كان مختلفاً.. كل ما فيه كان يبدو غريباً؛ وكأن شمس عمره غربت!! وقد كان نهاراً في حضوره، وفي غيابه!! حاولت أن أمازحه، فلم يبتسم حتى!! لكزته في كتفه كما جرت عادتنا حين كنا نخرج ونتجرد من قيودنا الرسمية؛ وكأننا نحتفل بلحظة إلقائنا لأقنعتنا التي نرتديها فنتحرر من عبودية الزمان والمكان بعد عناء ومشقة.

لكنه أطرق بعينيه وطف ابتسامة ذابله بالكاد ترسم على شفثيه..!! لم يكن هناك مفرٌّ من المواجهة: سألته، أأنت بخير يا صديقي؟!

سرح بعيداً ثم انفجر كسيل، ترحزح آخر حجر زاوية في سده المتهالك: أتعرف؟ رغم أنني أعلم جيداً أننا لا نملك هذه الدنيا بين أصابعنا، ولا نتحكم بالمقادير بأيدينا.. لكن ما يؤلني ليس الخسارة أو السقوط.. بل خذلان الصديق.. وجفاء القريب.. أدميا قلبي.. ولم أكن أتوقع، بل وأن تأتي من أقرب المقربين، فطامة أدمت الفؤاد والروح.. إنها المذلة يا صديقي!!

ولم أعرف ماذا أقول لرفيقي المكلوم!!

يوم.. وظننتهم بشراً لهم قلب.. وخيل لك أنهم الملجأ والملاذ والوطن!! تتساءل مفاجئاً: أين رحلت الطيبة واللفظ والمحبة الزائفة؟! كيف غاب الاحترام وأصبحوا يتجاهلون وجودك ويفرون منك؛ وكأنك سَفَّاح مطلوب للعدالة؟!

نعم.. هؤلاء.. هم أسوأ أنواع البشر.. أحسنوا معاملة من تبدلت أحواله وكسرت الدنيا قاربه ومجدافه.. أحسنوا ضيافة المغلوب، وافرشوا له الأرض وروداً إن طرق بابكم مستنجداً من تقلبات الدهر وأهواله.. فوالله ما أتاكم إلا وعلى أكتافه حمولة الجبال، وما سعى إليكم إلا وفي قلبه ثقة الكون، بإنسانيتكم الظاهرة!!

إياكم أن تتحولوا إلى أشباح لمن ظن أنكم الظهر والسند، فتكسرونه في أقصى لحظات الألم.. وتوغلوا نصل خناجركم في جراحه الدامية!!

امنحوا المستغيث المحبة.. في زمن قلَّ فيه الوفاء وشحَّت فيه الشهامة.. فهذه أدنى مراتب المروءة والشرف..



رواسي

أ. حاتم بن فهد الرويثي

رئيس مجلس إدارة جمعية الأدب والأدباء

رئيس تحرير مجلة أحد الثقافية

بعد أن كان العدد الأول «البذرة الأولى» لمجلة أحد الثقافية الصادرة عن جمعية الأدب والأدباء بمنطقة المدينة المنورة.

ها نحن اليوم بتوفيق من الله عز وجل نصدر العدد الثاني على أمل أن تكون «شجرة ورافة» بالثقافة في الأعداد القادمة.

الذي نسعى في كل عدد أن تكون مجلة أحد الثقافية ميداناً تجري فيه أقلام الأدباء من جميع أقطار العالم العربي؛ ولقد سرني أيما سرور عدد النصوص الأدبية المرسلة من الخليج إلى المحيط التي تجاوزت ٣٠٠ مشاركة أدبية.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على حجم انتشار العدد الأول بين الأدباء، وربما كان ذلك بعد أن سلطت قناة mbc الثقافية في برنامج «مساء الثقافية» مع المقدم الرائع أ.عبد الله الجمعة، الضوء على العدد الأول من مجلة أحد الثقافية.

على أمل أن تكون مجلة أحد الثقافية بمكانة نقطة إبداع تجتمع حولها تلك الأقلام المبدعة، وسنعمل ما بوسعنا لخدمة الثقافة في مدينة رسول الله على نحو خاص والمملكة العربية السعودية والوطن العربي بوجه عام .

لكل عدد حكاية، خلفه فريق متكامل يعمل بحب ليظهر في أبهى حلة وأجمل صورة لتحقيق رؤى عراب الثقافة الأمير بدر بن عبد الله بن محمد بن فرحان آل سعود.

بالختام بقي أن أقول:

بأن شجرة مجلة أحد الثقافية التي نمت من بذرة إلى غصن ستثمر بعد توفيق الله بدعمكم، وإن تناسيت لا أنسى بأن المجلة ترحب باستقبال مشاركاتكم الأدبية عبر البريد الإلكتروني لمجلة أحد الثقافية literatureksa@gmail.com



تَهْنِئَةٌ

ترفع جمعية الأدب والأدباء بمنطقة المدينة المنورة

أسمى آيات التهاني والتبريكات

لمقام خادم الحرمين الشريفين

الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

وولي عهده الأمين الأمير

محمد بن سلمان بن عبدالعزيز آل سعود

وللشعب السعودي الكريم

وللأمتين العربية والإسلامية

بمناسبة عيد الفطر المبارك

داعين المولى - عز وجل -

أن يعيده علينا بالخير واليمن والبركات))



جمعية الأدب والادباء

جمعية الأدب والادباء

منارة ثقافية سمتها العطاء



نحلم ونحقق
اليوم الوطني السعودي 93

مجدها عز وحاضرها فخر

